الرحلات الأوروبية :

تجوال، في بلاد البرتغال

رحلة وحديث في أحوال المسلمين

بقلم
محمد بن ناصر العبودي



الرحلات الأوروبية:

تجوال في بلاد البرتغال

رحلة وحديث في أحوال المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

تجـوال في بلاد البـرتغـال : رحلة وحديث في أحـوال المسلمين / محمد ناصر العبودي - الرياض ، ١٤٣٣هـ

٢٤٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢-٤-٩٠٣٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١- البرتغال - وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٠,٤ ١٤٣٣/٥٧٤٦

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٥٧٤٦

ردمك: ٢-٤-٩٠٣٠٩-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظـرة فـي وسـط إفريقيـة- مطـابع الفـرزدق التجاريـة، الريـاض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون فـي لاوس وكمبوديـا: رحلـة ومشـاهدات ميدانيـة- نشـرته رابطـة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) فـي جنـوب الهنـد (مـن سلسـلة الـرحلات الهنديـة) طبـع مطـابع الفـرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطـابع التقنيـة في الريـاض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) فـي غـرب الهنـد (مـن سلسـلة الـرحلات الهنديـة) نشـرته رابطـة العـالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حـديث قيرغيزستان، دراسـة فـي ماضـيها ومشـاهدات ميدانيـة- نشـرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيـارة رسمية لتـايوان، نشـر دار خضـر للطباعـة والنشـر فـي بيـروت عـام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض،١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) طبع في مطابع العلى في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتيقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، طبعته مطبعة لنرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٣) جمهوريات القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (تحت الطبع).

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

(١١٨) حصاد الرحلات، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٩) رحلات ونظرات حول المسلمين في العالم، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٢٠) قول أوفى، في كوسوفا، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣١هـ.

(١٢١) القول المجسّد من الجولة في الجبل الأسود، وهو هذا الكتاب.

(١٢٢) رحلة إلى المدينة المنورة قبل ستين سنة: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٣٣١هـ.

(١٢٣) في أعماق الصين الشعبية: رحلة في مقاطعة منقوليا الداخلية وحديث عن الإسلام والمسلمين: طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١٢٤) العودة إلى غرب إفريقية، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٥) في أقصى شرق الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٦) غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة (تحت الطبع).

(١٢٧) شرق أستراليا (الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٢٨) تَجْوال في بلاد البرتغال، (وهو هذا الكتاب).

مؤلفاته المطبوعات في غير فن الرحلات

(١٢٩) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)- نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٣٠) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٣١) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٣٢) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣٣) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٣٤) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣٥) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٦) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٧) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣٨) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٩) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٤٠) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٤١) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٢) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٤٣) وجهة نظر، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(١٤٤) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٤٥) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٤٦) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٧) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤٨) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤٩) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٥٠) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٥١) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٥٢) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٥٣) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٥٤) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٥٥) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٥٦) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٥٧) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥٨) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٩) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٠) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦١) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٢) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٣) هذا ما أستوحيته من الناس، كتاب أدبي طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٦٤) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٦٥) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ

(١٦٦) أخبار الملا ابن سيف نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٧) أخبار قني نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٨) أخبار مطوع اللسيب نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٩) مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة، تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٧٠) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

(١٧١) كلمات قضت (في مجلدين كبيرين: معجم بالفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت) نشرته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

(١٧٢) معجم النخلة في المأثورات الشعبية، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

(١٧٣) معجم المطر والسحاب، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٤) معجم الأنواء والفصول، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٥) معجم الديانة والتدين، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٦) معجم ألفاظ الصيد والقنص، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٧) معجم ألفاظ المرض المرض والصحة في المأثور الشعبي (تحت الطبع).

(١٧٨) معجم ألفاظ الحرف والصنائع في المأثورات الشعبية (تحت الطبع).

(١٧٩) معجم الحيوان عند القامة، نشرته مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض عام ١٤٣١هـ.

(١٨٠) الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد كما عرفته: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٢هـ.

(١٨١) معجم أسر بريدة في٢٣ مجلداً، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٠هـ.

(١٨٢) المستدين: قصة طبعت في مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١٨٣) الأصدقاء الثلاثة (رواية) طبعته مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الذي أنعم علينا فأجزل، ورزقنا من الخير الأول ثم الأول، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد فإن رحلة الأندلس تعتبر من رحلات الأماني، إذْ كنت زرت (مدريد) وودت لو كتبتها كما سماها أسلافنا المسلمون (مجريط) ولكن هكذا أصبح اسمها، وهكذا كتبناها مع التنويه بأن أهلها يذكرون أن الاسم عربي، ولو دققوا لقالوا: إنه بربري لأن (مجريط) ليست من اللغة العربية في شيء.

كانت زيارة مدريد في وقت مبكر هو عام ١٣٩٠هـ أي منذ ثلاث وثلاثين سنة، وكنت في رحلة إلى المغرب الأقصى لحضور اجتماع لجمعية الجامعات الإسلامية يعقد في المغرب الشقيق وبالذات في مدينة الرباط.

كنت آنذاك (الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة) وذهبت إلى الرباط لتلك المهمة بتلك الصفة، وعندما انتهى عملنا في الرباط سافرت إلى مدينة طنجة في المغرب وكنت غيرت تذكرتي لتكون من الرباط إلى طنجة، ثم من طنجة إلى مدريد، مدفوعاً للسفر إلى طنجة بما كنت قرأته عنها في الكتب العربية من كونها أقصى بلاد المْغرب جهة الغرب، ولذلك تكون أقصى العالم الإسلامي.

وقد نوه من ذكروها بأنها التي عند الزقاق وهو المضيق البحري الذي يفصل بين قارتي إفريقية وأوروبا.

بعد أن لبثت في طنجة بعض الوقت وكنت وحدي في الرحلة كلها سافرت إلى مدريد ولم يستقبلني أحد لأنه لم يعلم بقدومي أحد، وكان أشق ما عليّ أنني لم أجد غرفة خالية في أي فندق إلا بعد سعي من سائق سيارة الاجرة الذي أقلني من المطار إلى مدريد.

وزرت السفارة السعودية فأكرمني القائم بالأعمال فيها آنذاك وهو من أسرة (السليمان) التي رأسها الشيخ عبدالله بن سليمان الحمدان أول وزير في المملكة العربية السعودية ثم عرف بأنه وزير المالية.

ولم أطل المقام بها لأنني حرصت على أن أكشف على عيني عند طبيب للعيون إسباني مشهور هو باركيه في مدينة برشلونة، وهذه المرة وجدت عدداً من الناس يستقبلونني في مطار برشلونة مع أن الجو كان ماطراً بل عاصفاً، وذلك أن القائم بالأعمال وهو الأستاذ محمد السليمان القائم بالأعمال في سفارتنا في مدريد أخبرهم، بل أمرهم باستقبالي وقد وجه أمره إلى شخص فلسطيني يتعامل مع السفارة في الإشراف على مرضى العيون الذين ترسلهم المملكة على نفقتها إلى برشلونة، وكان معه أحد الإخوة السعوديين وهو الأستاذ منصور بن عساف الحسين الذي كان حضر إلى برشلونة للكشف على عينيه، وهو صهر الملك فيصل بن عبدالعزيز إذْ الأمير عبدالله بن فيصل كان تزوج أخته، وقد أصبح منصور العساف هذا بعد ذلك أميراً على الرس لمدة طويلة.

ومع ذلك لم أشف النفس آنذاك من مدريد، ولم أكتب عنها في مذكراتي شيئاً رغم كوني ذهبت مع رحلة سياحية (تور) على معالمها.

وذلك أنني كنت في مرحلة من الرحلات لم أكتب فيها شيئاً لأنني لم أكن طبعت كتابي الأول في الرحلات ولم أكن أعرف فضلاً عن أن أقدر أن القراء الكرام يحبون أن يقرؤا ما أكتبه من كتب الرحلات.

لذلك وجدتني أسر بهذه الرحلة إلى الأندلس التي سأزور فيها المركز الإسلامي في مدريد الذي تديره الرابطة، وقد هاتفني الدكتور صالح السنيدي مدير المركز أنه قد أعد رحلة لي لزيارة عدد من المدن الإسبانية تبتدئ من مدريد وتنتهي بمالقة، وهذا أمر يسرني.

أما البرتغال فإنني قد زرت لشبونة مرتين، الأولى كانت بمثابة الإلمامة والثانية قصيرة ولكنها مشبعة بالعمل وبالمعلومات، فقد زرت فيها المركز الإسلامي الذي لم يكن موجوداً عندما زرتها لأول مرة، إضافة إلى أن الزيارة الأولى كانت قبل أن ألتحق بالعمل في رابطة العالم الإسلامي، وكان عملي آنذاك (الأمين العام للدعوة الإسلامية وأمين الهيئة العليا للدعوة) ومقرها في الرياض وهي وظيفة حكومية.

وكنت آنذاك ذاهباً إلى فنزويلا فاخترنا السفر من السعودية إلى كاراكاس عن طريق الدار البيضاء ثم لشبونة.

لذلك لم نتمهل في لشبونة، وكانت في عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

أما الزيارة الثانية فكانت منذ عهد قريب لم تمض عليها إلا سنتان أو أكثر من ذلك قليلاً، وكنت قادماً من الولايات المتحدة الأمريكية إلى لشبونة في طريق العودة من جولة متعددة الرحلات والوقفات في البحر الكاريبي

حيث زرنا فيه كوبا وهايتي وجزر البهاما وجزيرة برمودا وكان يرافقني الأستاذ رحمة الله بن عناية الله مدير الدراسات في رابطة العالم الإسلامي، وهو مثلي يحب الإطلاع، فتجولنا في لشبونة وشفينا النفس منها في يومين غادرناها بعدهما إلى الدار البيضاء فجدة.

ولذلك لم يكن في نفسي شيء من عدم الإطلاع عليها وإنما سوف أقوم في هذه الرحلة بإذن الله بزيارة عدد من المدن البرتغالية التي يوجد فيها مسلمون لهم جمعية إسلامية أو مصلى بغية الإطلاع عليها ومساعدتها مما نحمله من قليل من المال وبما سنرسله إليها في المستقبل بعد أن نكتب تقريرنا عن الرحلة.

وأنوي أن أجعل عنوان هذا الكتاب الذي يتعلق بزيارة البرتغال (تجوال، في بلاد البرتغال).

أما الكتاب الذي يتعلق بأسبانيا فسيكون اسمه (رحلة الأندلس) والله المستعان على كل حال.

سبب الرحلة إلى البرتغال:

عندما عدت من رحلتي قبل نحو سنتين ونيف من الأيام التي شملت زيارة البرتغال والإطلاع على المركز الإسلامي العظيم في عاصمتها لشبونة وما ذكره الإخوة المسلمون من وجود مراكز إسلامية أخرى سواء في العاصمة أو خارجها، ويريدون بذلك المساجد التي صارت تسمى مصَلّيَات- جمع مصلى- وهو الذي تقام فيه الصلوات، ولكنه ليس على هيئة المسجد، وإنما يكون بمثابة الشقة الكبيرة في العادة أو الدور من البناء المتعدد الطبقات ويكون المسلمون يشغلونه بالأجرة.

وهي مهمة بل هي في الحقيقة مساجد إذْ يحصل المقصود فيها من الاجتماع على الصلاة، وما يتبع ذلك من تعارف المسلمين واتصال بعضهم ببعض مما ينشأ عنه في الغالب التآلف والتعاون على البر والتقوى، وإذْ جربنا أنه كثيراً ما يكون اتخاذ مصلى في مكان ما مقدمة لبناء مسجد أو لشراء مبنى واسع يتخذ مسجداً.

لذلك كان من عملنا في أنحاء العالم أن نحرص على زيارة أماكن الصلاة هذه وتقديم شيء من المساعدات العاجلة للقائمين عليها من أجل تسيير العمل فيها، وتقوية الجماعة المسلمة التي تشرف عليها.

ويتبع ذلك أيضاً أن نسجل تلك المصَلّيَّات لدينا في رابطة العالم الإسلامي، مع المعلومات الصحيحة عنها حتى يمكن الرجوع إليها عند الحاجة، والحاجة عندنا هي التأكد من استحقاقها للمعونة المالية ومعرفة حال القائمين عليها من المسلمين.

وقد اقترحت في التقرير الذي قدمناه أنا وزميلي في ذلك الوفد صرف مبلغ ١٨٧ ألف ريال سعودي للجمعيات الإسلامية خارج المركز الإسلامي الرئيسي في لشبونة، وأن يساعد المركز الإسلامي مساعدة أكبر.

وكان من يمن الطالع أن يسافر إلى البرتغال الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض زيارة رسمية وأن يحمل معه مليون دولار أمريكي تبرعاً من خادم الحرمين الشريفين للمركز الإسلامي في لشبونة.

ولم يكن لتقريرنا ولا لرحلتنا دخل في ذلك، أي ان اعتماد مبلغ المليون دولار من المملكة للمركز الإسلامي في لشبونة جاء بمبادرة كريمة من الأمير سلمان.

كذلك جدَّ في الأمر جديد وهو أن المسلمين في المركز الإسلامي أشاروا لسفير المملكة العربية السعودية في لشبونة بأنهم يرغبون أن تسهم رابطة العالم الإسلامي في إدارة المركز وأن تتحمل في مقابل ذلك طائفة من نفقاته المتكررة.

وقد صدر الأمر السامي الكريم بالموافقة على اقتراحنا بصرف المبلغ المذكور للمراكز الإسلامية الصغيرة في البرتغال على أن يتم توزيعها بالاتفاق ما بين رابطة العالم الإسلامي وبين السفارة السعودية في البرتغال.

كما صدر الأمر السامي الكريم فيما يختص بالمركز الإسلامي الكبير في لشبونة أن تبحث رابطة العالم الإسلامي موضوع توليها إدارته وتوجيه سياسته.

وهكذا كان فقد سافرت إلى البرتغال لهذين الغرضين وسوف يأتي في اليوميات بيان تطبيق ذلك.

إلا أن طبيعة العمل في رابطة العالم الإسلامي التي تقضي أن نطلع على أحوال جميع الجمعيات الإسلامية والمراكز وأماكن الصلاة في أي مكان في العالم جعلتنا نتوسع في الزيارة من أجل الإطلاع على تلك المراكز أو أماكن الصلاة.

وطبيعة خاصة بي وهو طبيعة الفضول والاستطلاع للأمور العامة، أضافت إلى ذلك شيئاً آخر للإطلاع على المزيد من الأماكن في البرتغال.

وقد دونت ذلك كله في هذا الكتاب، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



خريطة البرتغال

البرتغال

الموقع والجغرافيا:

تقع البرتغال في الجزء الغربي لشبه جزيرة ايبريا (Iberia) في ساحل جنوب غرب أوروبا الذي يطل على المحيط الأطلسي التي كان أسلافنا العرب يسمونه البحر المحيط الأعظم.

ويتميز سطحها بالمرتفعات التي تتركز في الوسط حيث سلسلة جبال سيرا دا ايستريلا (Serra da Estrela) التي يبلغ قمتها ١٩٩١ متراً وتخترقها أربعة أنهار تنبع من إسبانيا وتعبر اثنان منهم البرتغال فتصبان في المحيط الأطلنطي: نهر مينو (Minho) الذي يشكل جزءاً من الحدود الشمالية مع إسبانيا ثم يخترق المرتفعات التي تمتد إلى القرب من نهر دورو (Douro) في الجنوب حيث تنحدر المرتفعات إلى السهول حول نهر تاجاو (Tagus) الذي يعتبر أطول الأنهار ومصبه في لشبونة، وأما نهر غواديانا (Guadiana) فيشكل جزءاً من الحدود الشرقية.

تسميتها:

معظم البلدانيين العرب الذين تكلموا على الأندلس جعلوها قسماً من الأندلس ولم يذكروا لها اسماً غير ذلك.

مثلها في ذلك مثل (إسبانيا) التي أغفلوا اسمها الحالي أو كادوا، وأطلقوا عليها (بلاد الأندلس) إلا في باب التعريف بما كان أهلها في القديم يسمونه به أنفسهم.

فقد ذكروا (بلاد اسبان) واشبانيا- بالشين المعجمة.

وكذلك البرتغال كان عامة البلدانيين يذكرونها بكونها جزءاً من بلاد الأندلس فحسب، ولكن بعضهم يذكر أن اسمها بلاد البرتغال، ويذكر بعض صفات (البرتغال) أهلها، وبخاصة من كان من المؤلفين أولئك من أهل الأندلس، أو من أهل المغرب كالشريف الإدريسي في كتابه: (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق).

فقد ذكر بلاد (اشبانية) وهي إسبانيا فقال عن (المحيط الأطلسي) فأول ذلك البحر الغربي هو بحر الظلمات الذي قدمنا ذكره والظلمة لا تفارقه في طرفي النهار البتة ويجاور شنترة ولشبونة، من بلاد إشبانية مدينة قلمرية وهي مدينة صغيرة متحصرة عامرة كثيرة الكروم والفواكه من التفاح والجراسيا والعيون ومكانها في رأس جبل تراب منيع لا يمكن قتالها، وهي على نهر يسمى نهر منديق وهو يجري منها في شرقيها وعليه أرحاء طاحنة.

وبين قلمرية وشنترين في جهة الجنوب ثلاث مراحل وبين قلمرية والبحر في جهة الغرب اثنا عشر ميلاً وهناك يصب نهرها المسى منديق.

وعلى مصب النهر في البحر حصن منيع جداً يسمى منت ميور وهو في نحر البحر ولها زراعات وفوائد.

والطريق من قلمرية إلى شنت ياقوب وذلك إن شئته في البحر سرت من حصن منت ميور إلى موقع فهر بوغو سبعين ميلاً وهو أول أرض (برتقال) وهو مجرى إلا شيئاً، و(برتقال) أرض معمورة بالقرى والحصون والعمارات المتصلة وبها خيل ورجال حرابة يغيرون على من جاورهم ولا يستضاء بنارهم.

وقال الإدريسي أيضاً في موضع آخر من كتابه:

إن هذا الجزء الأول من الإقليم الخامس تضمن قطعة من شمال الأندلس فيها بلاد جليقية وبعض قشتالة وبلاد بيطو وبعض بلاد غشكونية من أرض الإفرنج.

فأما بلاد برتقال فمنها مدينة قلمرية ومنت ميور ونجاو وسرتان وشلمنقة وسمورة وآيلة.

وفيه من بلاد جليقية شقوبية وليون وشورية وبرغش وناجرة ولكروي وقسطيلة وبنت لرينة وبنبونو وشنت مارية ودبلية وشنت جليانة وشنت بيطر وشنت أردم وشنت شلبطور[1] ذولبيدة وبيونة.

مناخ البرتغال:

تتسم البرتغال بمناخ البحر المتوسط المعتدل رغم من كونها تطل على المحيط الأطلسي، فهو في الربيع والصيف حار وجاف وقليل المطر، وأما الخريف والشتاء فهو بارد وغزير المطر، كما يختلف مناخها عموماً لاختلاف مناطق المرتفعات والسهول ولكن يتميز شمالها عن جنوبها بالبرودة، حيث يبلغ متوسط درجة الحرارة في شمال نهر دورو (Douro) عشر درجات تقريباً، وبين تاجو (Tarus) ودورو (Douro) ١٦ درجة، و في وادي نهر غواديانا (Guadiana) ١٨ سنتي في السنة، كما أن الأمطار أكثر في الشمال، حيث يبلغ متوسطها ١٤٠٠ ملم، بينما في الجنوب هو ٥٠٠ ملم في السنة.

---

(١) لفظة (شنت) هذه التي تكررت هنا هي (سانت) بالسين المهملة التي معناها قِدِّيس.

تبلغ مساحة البرتغال التي تضم جزر أزور (Azores) (وتتكون من تسع جزر مساحتها ٢٣٣٥ كيلومتراً مربعاً) وماديرا (Madeira)(وتضم جزيرتي ماديرا (Madeira) وبورتو سانتو (Proto Santo) المأهولة مع مجموعتين غير مأهولة تقدر مساحتها جميعاً ٨٦١ كيلومتراً مربعاً) في جنوب غرب لشبونة في المحيط الأطلنطي، وكلها ٩٢,٣٩٠ كيلومتراً مربعاً، وتتكون البرتغال إدارياً من ١٨ مقاطعة ومنطقتي حكم ذاتي، وأما استغلال الأراضي فهي: ٣٢% أراضٍ زراعية، ٦% محاصيل دائمة، ٦% مروج ومراعي، و ٤٠% غابات و١٦% منشآت، و٧% أراضٍ مروية، ومساحتها ٦,٣٠٠ كيلومتراً مربعاً في عام ١٩٩٣م.

الاقتصاد:

بالنسبة لأوروبا الغربية تعتبر البرتغال أحدث الدول الأوروبية تطوراً اقتصادياً، فالصناعة فيها جديدة، ومع ذلك فإن نسبة مساهمتها في الاقتصاد الوطني تقدر بنحو ٣٦% والزراعة والصيد بنسبة ٤%، وتأتي مساهمة الخدمات العامة بنحو ٦٠%، وذلك بموجب تقديرات عام ١٩٩٨م، وقد بلغ النمو الاقتصادي ٤,٢% كما بلغ متوسط دخل الفرد ١٤,٦٠٠ دولار في عام ١٩٩٨م، وأما الموارد الاقتصادية فهي:

الزراعة: التي تتمثل في القمح والذرة والبنجر والأرز والزيتون والفواكه، أهمها الكروم، والخضروات أهمها البطاطس والطماطم، بالإضافة إلى صيد الأسماك التي منها القد والسردين والتونة، وهناك تربية الأبقار والأغنام والدواجن.

وأما الثروة المعدنية ففيها خام الحديد وتونغستين والنحاس واليورانيوم، والذهب والقصدير والرخام، وتنحصر الصناعة حالياً في المنسوجات والألبسة والأحذية والأخشاب والفلين والورق والبتروكيماويات والصناعات الغذائية والسيارات، ولكن صناعة السياحة تعتبر من أهم الموارد الاقتصادية إذْ زار البرتغال ٢٣,٣ مليون سائح في عام ١٩٩٦م.

والتجارة الخارجية للبرتغال تتمثل في الصادرات والرئيسية هي الملابس والمنسوجات والفلين والورق والمنتجات الغذائية، وقد بلغت قيمة صادراتها ٢٥,٨ بليون دولار في عام ١٩٩٦م، وأما الواردات فهي من المكائن والأجهزة والمنتجات الزراعية والنفط والكيميائيات وقُدِّرت قيمة وارداتها بنحو ٣٤,٢ بليون دولار في عام ١٩٩٦م، وهي بذلك تعاني عجزاً في موازنة تجارتها الخارجية وتعاني تضخماً بلغت نسبته ٢,٨% في عام ١٩٩٨م، والعملة البرتغالية هي ايشكودو (Escudo) والدولار الأمريكي يساوي نحو ٢٠٠ ايشكودو.

النظام والحكومة:

يقوم الحكم البرتغالي على النظام الجمهوري البرلماني الديمقراطي الذي رسمه الدستور الذي اعتمد في ٢٥ أبريل ١٩٧٦م، وجرى تعديله أربع مرات آخرها ما تم في ٣ سبتمبر ١٩٩٧م، وتمثله أجهزة الحكم الثلاثة وهي:

الجهاز التنفيذي: ويرأسه رئيس ينتخب إنتخاباً مباشراً لمدة خمسة أعوام، وهو القائد العام للقوات المسلحة ويحق له تعيين رئيس الوزراء

واعتماد الوزراء بترشيح من رئيس الوزراء والرئيس الحالي هو جورج سامبايو (Jorge Sampaio) وهو من الحزب الاشتراكي المنتخب بنسبة ٥٣,٨% في ٩ مارس ١٩٩٦م، أما رئيس الوزراء فهو انتونيو مانويل دي أوليفرا غوترسي (Antonio Manuel de Oliviera Guterres) منذ تعيينه في ٢٨ أكتوبر ١٩٩٥م مع خمسة عشر وزيراً.

الجهاز التشريعي: يمثله المجلس الوطني الجمهوري ويتكون من ٢٣٠ عضواً يتم انتخابهم لمدة أربعة أعوام بنسب معينة من كل مقاطعة ومنطقة حكم ذاتية، وحق التصويت هو لكل من يبلغ من العمر ١٨ عاماً ورئيس المجلس الوطني هو انتونيو دي الميس سانتو (Antonio de Almeis Santo).

الجهاز: القضائي: مستقل والمحكمة العليا التي تعرف باسم المجلس الأعلى للعدل (Supremo Tribunal de Justica) وتضم تسعة أعضاء هي أعلى سلطة قضائية للاستئناف، وهناك أيضاً أربع محاكم استئناف ومحاكم محلية متنوعة على مستوى المقاطعات.

السكان:

يقدر عدد سكان البرتغال (١٠,٠٤٨,٢٣٢) نسمة بموجب تقديرات عام ٢٠٠٠م والنمو السكاني هو ١% ومتوسط عمر ا لرجل ٧٢,٥ سنة والمرأة ٧٩,٥ سنة، ويعمل ٥٦% منهم في الخدمات، و٢٢% منهم في الصناعة و١٢% في الزراعة، و٩% في البناء، و١% في المناجم، ونسبة البطالة هي ٥% ونسبة المتعلمين، ٨٥%.

ويـدين ٩٧% مـن البرتغـاليين بالكاثوليكيـة الرومانيـة، و١% مـنهم بالبروتستانتية، ٢% منهم بمعتقدات أخرى، ويشمل ذلك المسلمين واليهود، والحرية الدينية مكفولة بالدستور.

وأما التركيب العرقي فهو في الأغلب عنصر مختلط من شعوب البحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى ما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ نسمة من الزنوج المهاجرين من المستعمرات البرتغالية السابقة في إفريقيا، ويتكلم الجميع اللغة البرتغالية التي هي من اللغات اللاتينية وتتماثل باللغة الرومانية، حيث يمكن كل من متحدثي اللغتين أن يفهم بعضهم كلام الآخر.

التاريخ:

الايبرويون هم من أوائل القبائل التي استوطنت أسبانيا والبرتغال، ومن أسمهم اشتق اسم شبه الجزيرة، فسميت ايبريا ومن قبائلهم التي سكنت البرتغال قبيلة لوسوس (Lusus) منذ أكثر من خمسة آلا ف عام، وقد أشار إليهم مؤرخو الإغريق مثل بوليبيوس (Polybius) وسترابو (Strabo)، وقد خلدهم الشاعر البرتغالي كاموس (Camoes) في ملحمته المسماة لوسياداس (Lusiads) يعني أبناء لوسوس.

ثم قدم إليها الفينيقيون كما تشهد عليه مستوطناتهم التي أقاموها على طول ساحل البرتغال في الألف الثاني قبل الميلاد وتلاهم السنت، والإغريق الذين يعود إليهم بناء مدينة أوليسيبو (Olissipo) في موقع مدينة لشبونة الحديثة، ثم الرومان وقد أخذ البرتغاليون منهم لغتهم ودينهم المسيحي واسمهم (البرتغال) الذي يعود إلى اسم مدينة بورتو (Porto) الساحلية حيث شيد

الرومان قلعة بورتو (Porto Cale)، كما قدمت إليها قبائل شمالية من الوندال (Vandal)، والسوفي (Suevi)، واللان (Alan)، والقوط الغربيين (Visigoth)، في القرون الأولى الميلادية.

ثم فتح العرب المسلمون البرتغال إبان عهد موسى بن نصير عام ٩٣هـ-٧١٣م، ولكن خروج المسلمين من شماله الغربي عام ١٢٣/٧٤٤م أدى إلى عودة المسيحيين وتكوين أمارة برتغالية أخذت تنتهز الفرص لتوسع رقعة الامارة حتى تمكن الفونسو هنريك (Afonso Henriques) من الإنتصار على المسلمين عند أوريق قرب باجه عام ١١٣٩م ثم أعلن نفسه ملكاً على البرتغال.

وفي المعاهدة التي تمت في زامورا (Zamora) اعترف أمراء البرتغال به ملكاً على البرتغال باسم الفونسو الأول (Afonso1) عام ١١٤٣م، ثم اعترف البابا بملكه واستقلال البرتغال في عام ١١٧٩م، وهكذا ولدت دولة البرتغال.

ولكن استقرار وازدهار البرتغال بدأ مع الملك جون الأول من أسرة بورغونديان (Burgundian) التي عرفت باسم أسرة افيز (Aviz)، الذي استطاع أن يوحد البرتغال ويصد غارات المسلمين، ووقع معاهدة ويندسور (Windsor) مع ملك إنكلترا في عام ١٣٨٦م، وفي عهده بدأت الاستشكافات البحرية وتولى ابنه الامير هنري الملاح الغزوات البحرية.

وبعد اكتشاف كولومبوس لأمريكا في عام ١٤٩٢م، تم تقسيم النفوذ والأراضي مع إسبانيا حيث منحت البرتغال بموجبها كل الأراضي التي لم تكتشف شرق خط ٣٧ غرب جزر كابو فيرده (Cabo Verde Islands) بموجب معاهدة عام ١٤٩٤م، وكانت رحلات بارتولوميو دياس (Bartolomeu Dias) وفاسكودا غاما (Vasco da Gama) وماجلان

(Magllan) أدت إلى اتساع الممتلكات البرتغالية عبر البحار في الفليبين وإندونيسيا والملايو وسواحل الهند والصين والخليج العربي في عام ١٥١٥م، وكذلك إفريقيا والعالم الجديد أمريكا، ولم ينتصف القرن السادس عشر الميلادي إلا والبرتغال أكبر إمبراطورية، وأغناها في العالم حينذاك.

غير أن هذا الأمر لم يدم طويلاً إذْ قتل الملك سبيستيان (Sebastian) في معركة شنها ضد المسلمين في المغرب عام ١٥٧٨م، كما أن خلفه الملك هنريك لم يتمتع بالحكم طويلاً إذْ مات في عام١٥٨٠م، وانتهز فيليب الثاني ملك إسبانيا الصراع الذي نشب على الحكم للاستيلاء على البرتغال في عام ١٥٨١م، ولم يتمكن البرتغاليون من التحرر من الحكم الإسباني رغم ثوراتهم ضده إلا في عام ١٦٤٠م، ثم انتخب جون دوك براغانجا (Duke Braganca) ملكاً على البرتغال باسم الملك جون الرابع (John IV) مؤسساً لأسرة براغانجا (Braganca) المالكة التي حكمت البرتغال إلى زمن إعلان الجمهورية فيها في عام ١٩١٩م.

وقد تمكن الملك جون من إخراج الهولنديين من البرازيل وتجديد العلاقات التقليدية مع إنكلترا، وقد استطاعت البرتغال أن تستعيد ازدهارها باكتشاف الذهب والألماس في البرازيل في القرن السابع عشر الميلادي.

وفي عام ١٨٠٧م، ولما غزا نابليون بونابرت البرتغال انتقلت العائلة المالكة إلى البرازيل ومع أن إنكلترا ساعدت البرتغال في دحر القوات الفرنسية في عام ١٨١١م، إلا أن الأسرة المالكة آثرت البقاء في البرازيل وعملت على إنشاء مملكتين في البرازيل والبرتغال في عام ١٨١٥م، وكان الملك جون الرابع ملكاً على المملكتين ولكن الجيش البرتغالي قاد ثورة ضد

الحكم تطالب بالإصلاحات وتحويل الحكم إلى ملكية دستورية في عام ١٨٢٠م، فاضطر الملك جون إلى العودة إلى البرتغال وترك إبنه دوم بيترو (Dom Pedro) في عرش البرازيل.

غير أن الحركات الجمهورية والراديكالية استمرت في نضالها ضد فساد الحكم الملكي وبخاصة في عهد الملك كارلوس الأول (Carlos 1) مما أدى إلى انتحاره هو ونجله الأول، وتولى الحكم ابنه الثاني مانيويل الثاني (Manuel II) في عام ١٩٠٨م، ولكن الجيش والبحرية البرتغالية تمكنت من إقصائه من الحكم وإعلان الجمهورية وانتخاب مانيويل جوزيه دي ارياجا (Manuel Jose de Arriaga) أول رئيس لجمهورية البرتغال في الخامس من أكتوبر عام ١٩١٠م.

وخلال الحرب العالمية الأولى حارب البرتغال إلى جانب الحلفاء، وفي ٩ مارس ١٩١٦م، أعلنت ألمانيا الحرب ضد البرتغال، وقد عانى البرتغال كثيراً من جرائها كما ضرب استقرارها الاضطرابات الداخلية التي أدت إلى صعود البروفيسور انتونيو اوليفيرا سالازار (Antonio Oliveira Salazar) إلى الحكم في عام ١٩٣٢م، وقد حكمها حكماً دكتاتورياً إلى عام ١٩٦٨م، ومع أن خلفه مارسيلو كاتانو (Mrcello Caetano) قاوم الحركات التحررية بقوة إلا أن الضغوط الدولية وتزايد المقاومة الانفصالية أدت إلى استقلال غينيا بيساو في عام ١٩٧٤م، وتبعتها جزر الرأس الأخضر، كابو فيرده وموزمبيق وانغولا في عام ١٩٧٥م، ثم تولى ماريو سواريز (Mario Soares) الرئاسة كأول رئيس مدني بعد ٦٠ عاماً، وذلك في ١٦ فبراير ١٩٨٦م، وفي أكتوبر ١٩٩٥م فاز الحزب الاشتراكي في الانتخابات وأصبح عمدة لشبونة جورج سبايو (Jorge Sampaio) رئيساً لحكومة اشتراكية في ١٩٩٦م.

الإسلام والمسلمون في البرتغال:

بدأ موسى بن نصير فتح البرتغال عند فتحه للاندلس ولكن الفتح اكتمل على يد ابنه عبدالعزيز في عام ٩٧هـ- ٧١٦م، حيث استولى على يابرة وشنترين وقلمرية في طريقه إلى استراقة، وهكذا لم ينته القرن الهجري الأول إلا والبلاد التي سموها برتقال خضعت للسلمين تماماً.

غير أن الخلافات التي دبت بين القادة العرب أدت إلى أن يترك البربر مناطقهم الجبلية الباردة منحدرين إلى الجنوب حيث الخصب والدفء، والحياة مما شجع على عودة المسيحيين إلى المناطق الخالية لغزو الأندلس حيث تمكن الفونسو الاول صاحب اشتروريس (٧٣٩- ٧٥٧) من توسيع رقعة سلطانه بضم المناطق التي هجرها المسلمون ولما تولى ابنه فرويلا الأول (٧٥٧- ٧٦٨) بسط سلطانه على شمال البرتغال حتى استولى الفونسو الثاني على لشبونة عام ٧٩٨/١٨٢م، غير أن المعارك استمرت بين المسلمين والمسيحيين بين المد والجزر إلى أن سقطت لشبونة بيد الفونسو هنريك الذي أعلن نفسه أول ملك على البرتغال، وذلك في عام ٥٤١هـ- ١١٤٧م، ولكن الجنوب البرتغالي وقصبته شلب لم تسقط نهائياً إلا في عام ٦٤٧هـ- ١٣٤٩م.

وكانت البرتغال في العهدالإسلامي مثل سائر أطراف الأندلس تعج بالمسلمين ونشاطهم وحضارتهم التي شملت كل مرافق الحياة حتى إن بعض مدنها وقراها أصبح أهلها يتكلمون العربية، حيث ذكر الإدريسي عن شلب أن سكان قراها وسكان المدينة يتكلمون بالعربية الخالصة.

وقد أخرجت مدن البرتغال الإسلامية جملة من العلماء ذكرتهم كتب التراجم العربية من أشهرهم ابن بسام الشنتريني المتوفى في عام ١١٤٧م، وأبو الوليد الباجي وابن عمار الشاعر وأبو القاسم أحمد بن قسي الذي ولي شلب لعبد المؤمن الموحدي وقتل عام ١١٥١م.

كما ألف أبو بكر بن محمد بن إدريس الفرابي العالوسي كتاباً عن مسقط رأسه لشبونة باسم (الدرة المكنونة في أخبار لشبونة) ومن شعرائها المشهورين أبو زيد عبدالرحمن بن مقانا وقد مدح الخليفة إدريس بن يحيى بن حمود في مالقة بقصيدة مطلعها:

البرق لائح من اندرين ذرفت عيناه بالماء المعين

وأما الآثار الإسلامية التي كانت منتشرة في البرتغال، ففي لشبونة لم يبق منها شيء سوى مسجد اشبونة الكبير الذي حول إلى كنيسة وهي كاندراتية لشبونة الحالية، والمنطقة القديمة التي لا تزال تحمل الاسم العربي القديم المفاما (Alfama) يعني فم العين كما يترجم المرشد السياحي، وهي تقع على ربوة عالية تشبه القصبات في المدن المغربية بشوارعها الصغيرة المتعرجة وبيوتها ذات الرحبة، وعلى القمة أطلال الحصن الأندلسي الذي كان يقوم في وسط القصبة، ويعرف الحصن اليوم باسم حصن القديس جورج (Castelo de Jorge).

بيد أن حقد البرتغاليين على كل ما هو مسلم وعربي بلغ ذروته عندما تزوج مانويل (Manuel) ملك البرتغال بأخت ايزابيلا الأولى (Isabella1) ملكة إسبانيا في عام ١٤٩٧م، وكان شرط الزواج هو طرد المسلمين من البلاد،

فأجبر المسلمون على الهجرة أو اعتناق المسيحية ثم نصبت محاكم التفتيش لاضطهاد الأقلية المسلمة المستضعفة لمعاقبة كل من يثبت تمسكه بالإسلام أو بمظاهره وتراثه بالقتل حتى لم يبق أحد منهم سراً مع مرور الزمن.

والرئيس البرتغالي جورج سامبيو في افتتاح ندوة التراث العربي البرتغالي المشترك التي عقدت في لشبونة في شهر مايو ١٩٩٧م اعتذر عن الجرائم التي ارتكبها البرتغاليون ضد المسلمين في القرون الماضية.

ومع أن النظام الجمهوري اعتمد الدستور اللبرالي العلماني في عام ١٩١١م إلا أن الموقف العدائي ضد الإسلام لم تخف وطأته إلا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث واجهت حركات انفصالية في مستعمراتها الإفريقية فاضطرت إلى تخفيف القيود عن الممارسات الدينية بهدف احتواء الثورات الوطنية التي اندلعت في مستعمراتها الإفريقية والآسيوية وقدم إليها المسلمون من تلك المستعمرات وتزايد عددهم، مما أتاح لهم تأسيس جمعية رسمية باسم الجماعة الإسلامية للشبونة (Comunidade Islamica de Lisboa) وذلك في ٢٨ مارس ١٩٨٦م، وأقام المسلمون مقراً لجمعيتهم في شقة مستأجرة يؤدون فيها صلاتهم واجتماعاتهم، ولكن بعد الثورة التي نفذها الجيش ضد الحكم الاستبدادي والتي سميت بثروة زهور القرنفل الحمراء في ٢٥ أبريل ١٩٧٤م وتوفر قدر من الحكم المعتدل، وتحقيق قدر أكبر من الحرية الدينية وتزايد عدد المسلمين القادمين إليها من المستعمرات البرتغالية المستقلة التي منيت بالثورات الشيوعية شجع المسلمين على مطالبة حكومة البرتغال بمنحهم أرضاً وترخيصاً لبناء إسلامي فصدرت موافقة بلدية لشبونة على منح

المسلمين أرضاً لبناء مسجد ومركز إسلامي في لشبونة في عام ١٩٧٧م، ثم تأسس مجلس إشرافي من سفراء الدول الإسلامية المعتمدين لدى البرتغال برئاسة الأستاذ سلامة بن سليم سفير المغرب حينذاك، وقام المجلس المذكور بالإشراف على الإدارة القائمة ببناء المركز الإسلامي الذي تولى رئاسته الدكتور موسى عمر في عام ١٩٨٥م، ثم الأستاذ عبدالمجيد وكيل الرئيس الحالي منذ عام ١٩٨٨م.

بالإضافة إلى هذا المركز الإسلامي الذي يعتبر الأول من نوعه بعد زوال الحكم الإسلامي في القرن الخامس عشر الميلادي يوجد حالياً في البرتغال مسجدان و١٧ مصلى، ومعظمها في لشبونة ما عدا أربعة منها في مدن كويمبرا (Coimbra) في وسط البرتغال وفيلا دو كونده (Vila do Conde) في الشمال، وافروا (Evora) في الجنوب وبرتو (Porto) التي تعتبر من أقدم المدن البرتغالية، وأما الضواحي حول لشبونة هي:

لارانجيرو (Laranjeiro) التي يقطنها أكثر من ٢٠٠ أسرة مسلمة لهم مسجد صغير يسع نحو ٢٠٠ مصلٍ أقامته جمعية جنوب تيجو الإسلامية (Counidade Islamic do sul Tejo) في عام ١٩٨٠م، وكذلك ضاحية أودي فيليس (Odivelas) التي تبعد عن لشبونة بنحو عشرة كيلومترات التي يوجد فيها مسجد صغير يتسع لأكثر من مائة مصلٍ.

وفي ضاحية بالميلا (Palmela) توجد مدرسة دار العلوم الإسلامية التي تضم أيضاً مصلى خاص، ثم ضواحي بوفوا دي سانتو اندريو (Povoa de Santo Andreao) وسانتو انتونيو دوس كافليروس (Santo Antonio dos

(Cavaleiros وكولينا دو سول (Colina do Sol) وبروتلا دي ساكافيم (Portela de Sacavem) وفورت دي كاسا فيالونغا (Forte de Casa Vialonga).

وإلى جانب حلقات القرآن الكريم والدروس الدينية في المساجد والمصليات المنتشرة فهناك فصول لتعليم اللغة العربية والمواد الإسلامية في المركز الإسلامي ومدرسة دار العلوم الإسلامية التي تأسست في عام ١٩٩٥م، في ضاحية بالميلا في لشبونة ويديرها الأستاذ رضوان إسماعيل ويقدر طلابها نحو ٧٠ طالباً وطالبة، ويقوم على تدريسهم ٧ مدرسين وهي تعادل المرحلتين الإعدادية والثانوية.

كما أن هناك نشاطات إسلامية ثقافية واجتماعية تمارسها بعض الهيئات الإسلامية من أهمها جمعية النساء المسلمات التي ترأسها الدكتورة فريدة قمر الدين، وقد تأسست بترخيص رسمي بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٨٧م، وهدفها كما جاء في دستورها تشجيع إقامة المراكز الاجتماعية الإسلامية، ونشر الإسلام وتنمية العلاقات الثقافية مع بقية المنظمات النسائية.

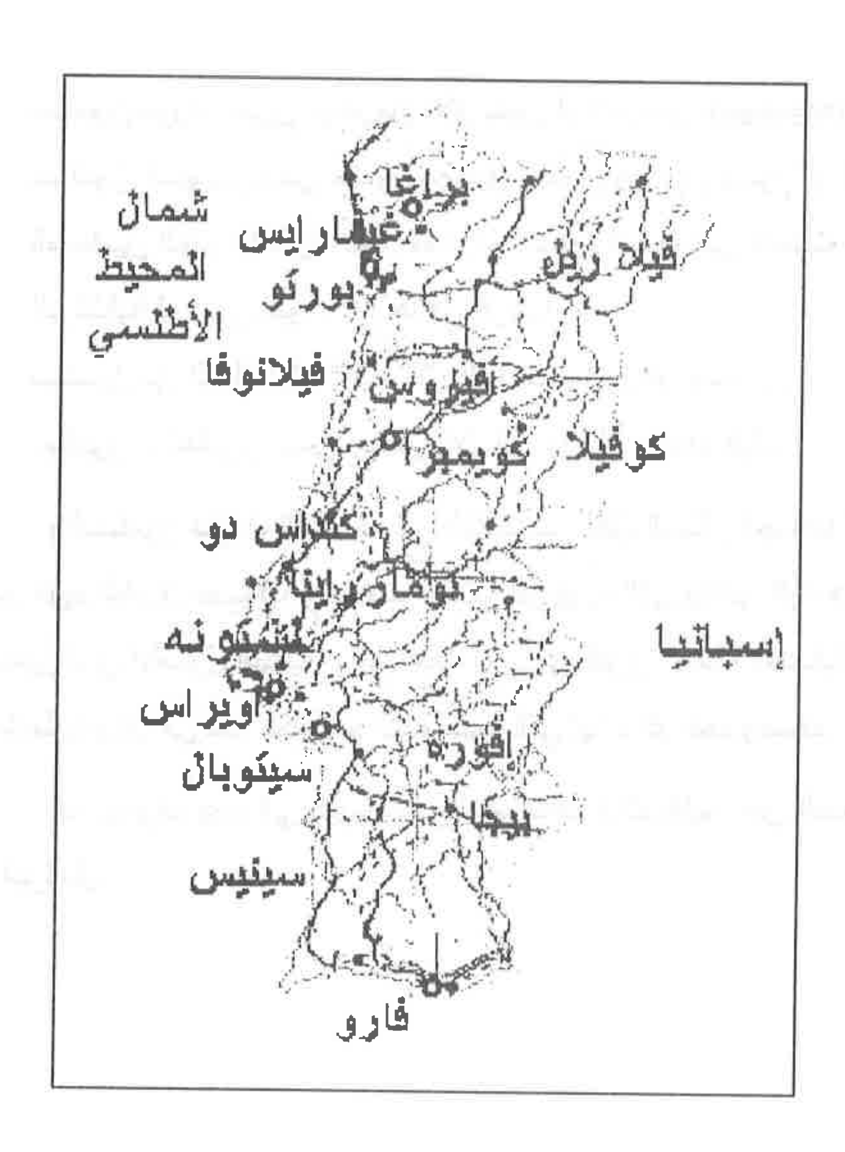
وكانت الجماعة الإسلامية للشبونة برئاسة الدكتور سليمان والي محمد تصدر مجلة فصلية باسم إسلام (O Islao) وذلك عن الثقافة الإسلامية باللغة البرتغالية ثم قام الأستاذ فاروق علي غاديت بمساعدة من جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا بنشر مجلة باسم (القلم) ربع سنوية كما أصدرت الجماعة الإسلامية في لارانجيرو مجلة (النور) باللغة البرتغالية مرة كل شهرين.

ويقدر عدد المسلمين في البرتغال بنحو أربعين ألف نسمة ويمكن تقسيمهم حسب الفئات التالية:

١- مسلمون موزامبيقيون: وهم من الإفريقيين أو المولدين (Mestizo).
٢- مسلمون آسيويون: من مكاو (Maco) وغوا (Goa) وتيمور أو أحفاد المسلمين الهنود الذين كان يعمل أجدادهم وآبائهم في المستعمرات البرتغالية في موزمبيق وغيرها في إفريقيا.
٣- مسلمون من الدول الإسلامية: مثل المغرب والجزائر ومصر.
٤- مسلمون برتغاليون: ممن اعتنقوا الإسلام حديثاً وعددهم قليل.

والمسلمون في البرتغال هم في الغالب من أهل السنة والجماعة الذين تنتشر فيهم الطرق الصوفية و بخاصة طائفة البريلوية التي ينتشر أفرادها بين المسلمين ذوي الأصول الهندية، ولكن هناك أيضاً من الفرق الضالة القاديانية التي لها نشاط يتمركز في نشر الكتب ثم الإسماعيلية التي لها مركز فخم وضخم.

هذا وسوف يرد في اليوميات والمشاهدات كلام كثير عن المسلمين في البرتغال.



خريط مبسطة للبرتغال

وهذه نشرة أصدرتها الجمعية الإسلامية في لشبونة فقالت:

مسجد لشبونة

معلومات عامة عن المسلمين في البرتغال

المسلمون في البرتغال:

الحضور الجغرافي: يقطن المسلمون (٨٥- ٩٠%) في منطقة لشبونة الكبرى على جانبي نهر تاجو.

المساجد والمصليات: تنتشر المساجد والمصليات في إحدى وعشرين (٢١) منطقة مما يعطي فكرة عن أماكن انتشار المسلمين، و تقع المساجد والمصليات في الأماكن التالية:

المساجد في منطقة لشبونة الكبرى:

مسجد لشبونة المركزي: ويقع في شارع روادي مسكيتا أي شارع المسجد (تسميته في ٢٠٠١م).

مسجد عائشة الصديقة: ويقع في (أوديفيلاس) شمالي نهر تاجو.

مسجد لارانحيروا: ويقع في لارانحيروا جنوبي نهر تاجو.

المصليات:

هناك عدد من المصليات الموزعة كالآتي: مصليان في الجزء الجنوبي من نهر تاجو وعشر مصليات في الجزء الشمالي منه.

المساجد في وسط البرتغال:

مسجد كونيمبا.

المساجد شمال البرتغال:

مسجد بلال في منطقة (بورتو).

المصليات:

مصلى (سانقيدو).

المساجد والمصليات في جنوب البرتغال (ألينتيجو والغرب):

المصليات:

مصلى (إيفورا).

مصلى (إستريموزا).

مصلى (البوفيرا).

مصلى (بورتيماو).

مصلى (أرماسو دي بيرا).

المصليات في منطقة (آزور):

مصلى (بونتا ديلقادا).

المدارس الإسلامية:

توجد في المساجد الكبرى وفي غيرها من أماكن العبادة مدارس إسلامية لتعليم القرآن وغيره من العلوم الدينية، كما وأن هناك دارين للعلوم يقعان

على ضفتي نهر تاجو في منطقة (بالميلا) في الجنوب ومنطقة (أوديفيلاس) في الشمال، علماً بأن دار العلوم الواقعة في (بالميلا) تدار بإشراف مدرسة إسلامية في المملكة المتحدة.

الأصول (العرقية) والجنسيات التي ينتمي إليها المسلمون:

تتألف الجماعة المسلمة من أبناء آسيا وإفريقيا بشكل رئيسي وبعدد متساوٍ تقريباً، يليهم عدد قليل من الأوربيين حديثي العهد بالإسلام (شخصان في المتوسط يعتنقان الإسلام في الشهر) ثم أبناء المغرب العربي (المغرب- الجزائر- تونس) وعددهم حوالي ٢٥٠٠.

أما بالنسبة للجنسيات فأغلب المسلمين يحملون الجنسية البرتغالية لأنهم من أبناء المستعمرات السابقة (موزمبيق- غينيا بيساو) الذين جاءوا وهم يحملون الجنسية البرتغالية أو المتجنسين.

هذا ورغم من صعوبة الحصول على الجنسية البرتغالية هذه الأيام بسبب انضمام البرتغال إلى الاتحاد الأوروبي، إلا أنه لا توجد أية عراقيل خاصة بالنسبة للمسلمين بسبب ديانتهم.

والمعلوم أن المسلمين البرتغاليين يتمتعون بكامل حقوق المواطنة، مثلهم في ذلك مثل سائر المواطنين البرتغاليين، ولا ينظر إليهم كأقلية إلا من الزاوية الدينية فقط، فالدستور البرتغاللي يكفل جميع الحقوق للمواطنين البرتغاليين بما في ذلك حق اختيار الديانة التي يرغب المواطن في اتباعها.

ومع ذلك فقد أصدر البرلمان قانوناً جديداً عرف بـ(قانون حرية الأديان) وذلك لتنظيم بعض الجوانب المتعلقة بالحقوق المكفولة لأتباع الديانات غير

الكاثوليكية والتي ما زالت تنظمها الاتفاقية المبرمة بين البرتغال والفاتيكان وقد يتم التوقيع على اتفاقية مماثلة بين الدولة وبين أتباع الديانات غير الكاثوليكية المعنية للدفاع عن أية جوانب قد لا تكون مشمولة في القوانين العامة السائدة في البلاد.

اللحم الحلال:

للمسلمين جزارون يذبحون على الطريقة الإسلامية، وتعد عملية الذبح على الطريقة الإسلامية عملية قانونية لأن مثلها قائم منذ سنين في أوساط الجالية اليهودية.

المقبرة:

تم تخصيص جانب من مقبرة لشبونة لدفن موتى المسلمين تحت إشراف بلدية لشبونة، ونفس الشيء ينطبق على مدينة أوديفيلاس.

أراضي خاصة بإقامة المساجد:

تمت إقامة مسجد لشبونة في وسط المدينة وعلى قطعة أرض مؤجرة إيجاراً طويل الأمد (٩٩ سنة قابلة للتجديد) وللاستعمال الديني فحسب، ويجري نفس الترتيب في إحدى ضواحي المدينة وهي ضاحية (سانتو أنطونيو دي كافاليروس) بينما تنتظر مدينة بورتو قرار عمدتها بالموافقة على تخصيص قطعة أرض لبناء مسجد في هذه المدينة الشمالية.

هذه هي النظرة العامة للوضع الشامل للإسلام في البرتغال.

لشبونة في ٢٠٠٢/١٠/٤م- ١٤٢٤/١/٩هـ

اليوميات

يوم الخميس: ١٤٢٣/٧/٢٦هـ ٣ سبتمبر ٢٠٠٢م:

من جدة إلى باريس:

غادرنا مطار جدة في الواحدة والنصف وخمس دقائق من قبل فجر اليوم الخميس مع طائرة الخطوط الجوية السعودية من طراز بوينغ ٧٧٧، وقد هيأوا فيها الدرجة الأولى التي ربكنا فيها تهيئة خاصة بحيث صارت واسعة لم أر مثلها في سعتها في أية طائرة من هذا الطراز.

وهذا راجع إلى كثرة الذين يركبون في الأولى من السعوديين سواء منهم من كانوا من موظفي الحكومة التي ينص نظامها على أن كل من كان في المرتبة العاشرة فما فوق يركب في الدرجة الاولى إذا كان في مهمة رسمية، أو من رجال المال والأعمال الدنيوية المزدهرة وهم كثر ولا يزالون يكثرون بسبب اتصالهم بالدوائر المالية في الخارج.

ولذلك رأيتها مزدحمة وجميع من فيها هم من السعوديين وفيهم نساء محافظات بدليل أنهن قد بقين في ملابسهن وعباءآتهن، كما هن عليه في السعودية، وقد سترن وجوههن حتى في الطائرة ما عدا واحدة منهن.

كان في وداعي في المطار ابني الأستاذ خالد نائب الرئيس العام للمؤسسة الإسلامية العالمية، وسائقي (مرزا الباكستاني) الذي اعتاد على العمل لي في الترحيل لكثرة ما كان معي في الاستعداد للرحلات.

لم تتأخر الطائرة في الإقلاع عن الموعد المحدد لها في الأصل إلا ثلث ساعة ولا يعتبر ذلك تأخراً في هذه الرحلات الدولية في الطائرات الكبيرة

التـي ركـب فيهـا عـدد كبيـر مـن النـاس يصـعب انجـاز معـاملاتهم بسـرعة، ويصعب عليهم هم أن يأتوا كلهم في المواعيد المحددة.

وكنـا قد دخلنـا إلـى قاعـة الدرجـة الأولـى فـي المطـار ويسمونها القاعـة الذهبية، وكذلك الدرجة الأولـى يسمونها (الذهبيـة) وهذه تسمية سبقتهم إليهـا الخطوط التايلندية.

وعندما ركبنا في الحافلة التي توصلنا إلى الطائرة لم يكن معنـا أحد من موظفي السعودية، بل وقف السائق وربما كان أجنبياً وموقعه منفصل عنا أمام سلم الطائرة فصعدنا إليها مع بقية الركاب من بـاب الاجتهاد بـأن تكون هـي رحلتنا، والعادة عند معظم الشركات العالمية أن يرسلوا أحد موظفيهم وغالبـاً مـا تكـون امـرأة جميلـة مـع الركـاب، وبخاصـة ركـاب الدرجـة الأولـى حتـى يصعدوا سلم الطائرة.

وقد عادت المؤسسة السعودية وهي تحسن خدماتها إلـى العنايـة بالهديـة التي تقدم لراكب الدرجة الأولى فجعلتها اثنتين إحداهما خفيفة كالعلبة فيهـا مـا هو معتاد من معجون الأسنان ونحوه ولفافة أخرى فيهـا نعـال خفيفـة للطـائرة وحوارب مثلها.

وقد أبطأوا في إحضار الطعام والسؤال عما يريد الراكب أن يطبخوه لـه، فكانت المضيفات يسألن الركـاب عن ذلك ويكتبنـه وقد نـام بعضـهم، وأنـا منهم قبل أن يقدموا العشاء مع أنني بحاجة إليه لأنني تركت بيتي في مكة المكرمة في العاشرة من دون أن أطعم شيئاً لأنه لا أحد فيه غيري، أمـا بقيـة الأسرة فـإنهم فـي الريـاض، وأنـا لـم تمض

عليّ إلاّ ثلاثة أيام منذ أن عدت إلى مكة المكرمة بعد أن قضيت إجازة رسمية لي في الرياض والقصيم امتدت أربعين يوماً.

ثم جاءوا بالعشاء جيداً وافراً وكنت طلبت سمكاً من سمك الهامور مطبوخ بطريقة خاصة عرضوها علينا بعد أن ركبنا الطائرة.

وقد نمت لبعض الوقت نوماً احتاجه لأننا سنبقى فترة في مطار باريس.

وبعد مضي خمس ساعات وخمسين دقيقة كانت الطائرة تحط في مطار باريس وحل ظلام دامس إذْ لم يكن الفجر قد انبلج على باريس بعد.

وقد أعلن مضيف الطائرة من المكبر أن وقت صلاة الفجر يحين في السادسة والربع بتوقيت باريس وأنه بقي عليه ٢٠ دقيقة قال ذلك وهو يعلن ربط الأحزمة للهبوط.

وبالفعل لم نر من المطار ولا ما حوله أي شيء بسبب سيطرة الظلام.

وقفت الطائرة عند كمّ من أكمام مطار شارل ديقول المألوفة لي إلا أن الشديد غير المألوف هو ما تلا ذلك، إذْ ما أن وصلنا وسألنا عن مكتب تحويل الرحلات حتى أشار موظف سألناه إلى جهة رأينا عندها امراة ورجلاً طلبوا الجوازات للتأكد من حامليها ثم أشاروا إلى درج غير بعيد بأن ننزل معه، فوجدناه يفضي إلى باب مغلق كتب عليه أنه باب يفتح آلياً عند ما تصل الحافلة، وكنت ذهبت معه قبل أربع سنين فوجدت أنه متاهة إلا لمن يحتاط في الأمر فيجد من يكتب له القاعة التي سينزل إليها من هذه الحافلة (الباص) لأنه يقف عند قاعات متعددة وفي مواقف كثيرة.

وهنا وجدنا في الحافلة عدداً من الذين يتكلمون العربية وهم من العرب، ذوي المظهر الأوروبي الجنوبي كاللبنانيين والمغاربة إذا لبسوا الثياب الأفرنجية.

وقفت الحافلة عند القاعة (الترمنال) المطلوبة لنا فوجدنا فيها أفواجاً من الناس يؤلفون مئات إن لم يصلوا إلى الألوف وقد انتظموا في صفوف طويلة، وإذا بهم كلهم ينتهون إلى مكاتب عليها ضباط وضابطات مهمتهم أن ينظروا في الجواز الذي يحمله الراكب وما إذا كان له الجواز حقيقة ويقارنون بين صورته فيه ووجهه، ولم يتوقفوا عند جوازي بل لم يفعلوا به أكثر مما فعلوه بجوازات مجامل.

وتبين أن هذه البوابات هي لمواطني الاتحاد الأوروبي وليست لمواطني فرنسا وحدها، ولذلك كان هذا الازدحام وهذا التشديد الذي يشمل البيض من الأوربيين، بأن ختموا على جوازي ختماً واحداً بسرعة، وفعل ذلك ضابط فرنسي، ومن عندهم وصلنا إلى القاعة المطلوبة فوجدنا فيها مكاتب على أحدها امرأة فرنسية نصف أي في نحو الأربعين من عمرها وهي تعمل بدقة وأنهت ما نحتاجه من قطع التذكرة وأعطتنا بطاقة الصعود للطائرة وأرشدتنا إلى قاعة درجة رجال الاعمال وهي درجة الأفق عندنا أو (البزنس كلاس) كما صارت تعرف عالمياً، و جعلنا نسأل عنها حتى وجدناها نظيفة واسعة فيها مآكل خفيفة ومشارب باردة وحارة كثيرة من غير إسراف.

وقد استرحنا في هذه القاعة وصلينا صلاة الفجر وجلست أكتب ورفيقي يقرأ في انتظار قرب موعد الدخول إلى الطائرة.

من باريس إلى لشبونة:

عند الموعد المحدد لدخول الطائرة كان الدخول من البوابة معتاداً، إلا أننا وجدنا في الطريق قبل الوصول إلى الطائرة امرأتين تنظران في الجوازات وتطابق الاسم الذي في بطاقة الصعود إلى الطائرة (البوردنغ) على الاسم في الجواز، وقالت صغراهما وأكثرهما جمالاً عندما رأت جوازي (السلام عليكم) مجاملة لنا ويظهر أنها فرنسية وليست من بنات المسلمين.

ثم الدخول إلى الطائرة وهي من طراز (إيرباص ٣٢١) تابعة لشركة (ايرفرانس) ركبنا في مقدمتها في درجة رجال الأعمال، ولم يصنعوا فيها إلاَّ أنهم الغوا الكرسي الثالث، إذْ الأصل فيها أن يكون الصف من الكراسي ستة ثلاثة عن يمين الممر وثلاثة عن يساره فهم جعلوها أربعة فقط والأوسط منها الغوا الركوب فيه.

والركاب لم أر فيهم أسود واحداً وإنما أكثرهم أوربيون متغيرون من جهة جنوب أوروبا الذين ليس على وجوههم إشراق.

ولا غرو فأغلب البرتغاليين ليست عليهم وجاهة الفرنسيين لا من حيث المظهر العام المتمثل بالملابس، وما يتعلق بها، ولا من حيث الشكل وتقاسيم الوجوه ونضارتها.

أقلعت الطائرة في العاشرة و٣٨ دقيقة ضحى، متخلفة عن الموعد المحدد لإقلاعها في الأصل وهو العاشرة والثلث ٢٨ دقيقة.

وهي مليئة بالركاب ودرجة رجال الأعمال فيها ضيقة المقاعد قد قاربوا بين صفوفها حتى تتسع لأكبر عدد من الركاب فهي أقل سعة من الدرجة السياحية في طائراتنا الكبيرة وحتى تنجيدها فهو نظيف ولكنه غير فخم.

ثم جاءوا بالغداء ليس فيه من الحرام شيء والطبق الرئيسي فيه سمك جيد من سمك السالمون مطبوخ معه قليل من البطاطس المطحون، وصحن مقبلات من كبد البط لم أذقه لعدم رغبتي فيه، وكذلك صحن من ثلاثة أنواع من الجبن كما هو المعتاد عند الفرنسيين في أكل الجبن في آخر الوجبة قبل الحلوى، وأما الحلوى فإنها شوكولاته معها مكسرات مجروشة، والشراب ما شئت من حلال بلال، أما الحرام فإنه قد بغاه غيرنا من الركاب وإن كان بعضهم مثلنا طلب عصير الفاكهة، وبعضهم اكتفى بالماء القراح.

وقد لاحظت هدوءاً عجيباً في هذه الطائرة من أسرة الحافلة ا لجوية (اير باص) وكنا نعهده عندما بدأ الأروبيون بصنعه كثير الاضطراب في الجو غير ثابت الجأش أثناء الطيران وربما كانوا حسنوا هذا لأنه طراز متأخر.

وهذه الشركة الأوروبية هي المنافس الوحيد في العالم لشركات صناعة الطيران الأمريكية (بوينغ) و(دوجلاس).

فوق لشبونة:

في الساعة الثانية ظهراً بتوقيت بلادنا، وهي الثانية عشرة بتوقيت لشبونة بدأت الطائرة تحوم فوق ضدواحي لشبونة وبدا لنا الخور العظيم الذي نوه به أسلافنا العرب في كتبهم بأنه خور لشبونة أو (اشبونه) هكذا كانوا

يكتبونها باللام (لشبونة) وبالألف (اشبونة) ويسميه بعضهم النهر نهر تاج ولا تزال هذه التسمية باقية إذْ يسميه البرتغاليون (نهر تيجو) أي نهر تاجو ولكنهم يميلون الألف حتى تصبح ياء خفيفة.

وهو في الحقيقة ليس كله نهراً وإنما تختلط مياهه بمياه البحر الذي هو المحيط الأطلسي في حالة مد البحر.

لذلك لا يصدق من يراه بأنه كله نهر لسعته وكثرة مياهه.

ولم يشغلني منظره الرائع الذي هو منخفض جداً أو لنقل: إن مدينة لشبونة العربية القديمة التي تسمى الآن (الفاما) تطل عليه من علٍ، وإنما كنت أحدث نفسي عماذا يقوله هذا النهر العظيم لو نطق، وماذا كان يقول عن مساجدنا ومعاهدنا، بل وعن مسارح إخواننا ومضارب أبطالنا في أعدائهم من الصليبيين المتعصبين.

ثم قد يصل في حديثه إلى ما أعقب ذلك من حروب تخاذل فيها أبناء قومنا المسلمين ولم يكن ذلك لتخاذل دينهم، حاشا وكلا، وإنما هو لايثار الرئاسة والطمع في الدنيا والحرص على ذلك أكثر من الحرص على المصلحة الإسلامية العامة، بل إنه بلغ الأمر ببعضهم في بعض الأحيان أن يتعاونوا مع أعدائهم أعداء الإسلام ضد إخوانهم وأبناء جلدتهم من الحكام المسلمين في الأندلس، نكاية بهم أو طمعاً في بلادهم، أو لشيء في نفوسهم عليهم، ولم يتصوروا أن ذلك معناه الخراب بل الزوال للجميع.

وربما وصل حديث النهر إلى آخر ملك أو حاكم منهم على لشبونة ولسان مقاله أو لسان حاله يقول: إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

وما دام أن هذا النهر لا ينطق، إما لكونه لا يريد ذلك أو لكونه لا يستطيعه فإن الكتب تحدث بعض الحديث عما كان عليه الأسلاف، وكيف كانت عاقبة الاختلاف، وربما نستطيع أن نستنطق تلك الكتب فتستطيع أن تنطق بما سجله كاتبوها وهم بعض المتكلمين ببعض الكلام عما صار في سالف الأدهار فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ثم حامت الطائرة فوق (لشبونة) فرأينا من كثرة الأبنية المتعددة الطبقات ما استغربته، ليس ذلك لكون تلك الأبنية غريبة، بل هي مألوفة في أكثر البلدان ومنها بلادنا ولكن لكون المساحة التي تشغلها واسعة جداً، فالمعتاد أن تكون تلك الأبنية (العمارات) في منطقة من وسط المدينة، وأماكن من ضواحيها، وأما بقية المنازل والأبنية، فإنها تكون في أماكن محدودة، غير أن هذه واسعة جداً، حتى شملت المدينة كلها وبدت الشوارع التي تمر بينها ضيقة من الطائرة، وتبين لنا بعد أن دخلنا المدينة أنها أيضاً ضيقة بالفعل.

وكأنما تلك الشوارع كانت قديمة فحافظت المدينة على قدمها ولم تفتح فيها شوارع جديدة تهدم لها أبنية (عمارات) مما يعترض مسارها كما فعلنا نحن، وفعل أناس كثير غيرنا.

ومنظر المنازل في المدينة تحتنا جميل إذْ يغلب عليها الطلاء الأبيض وسقوفها حمر من الفخار الأحمر الحسن المنظر.

وفي ضواحي المدينة خضرة من أشجار غير عالية، وأعشاب لا تكاد تبدو من الرقع الضيقة التي لم يشملها البناء وذلك معتاد، وإنما الذي طرأ على ذهني أن أقوامنا العرب القدماء من سكان الأندلس التي وصفوها ومدحوها لم تقع أعينهم عليها من حالق وهو المكان المرتفع كما كنا ننظر إليها الآن من الطائرة.

وإنما كانوا إذا أرادوا النظر من فوق يصعدون تلة أو جبلاً، ويتخيلون أن ذلك أقصى ما يمكن أن يصل إليه إنسان في العلو في هذه الناحية.

وأجمل ما في لشبونة من الطائرة منازل تشبه (الفيلات) الدارات محاطة بالحدائق النضرة أو هي فيها حدائق نضرة في جهة من جهاتها، وظني أن العرب الأندلسيين لو رأوها لأعجبتهم مثلما أعجبتهم المنازل التي تحيط بها الخضرة الطبيعية أو توشحها الأزهار في تلك الأدهار.

مطار لشبونة:

هبطت الطائرة في مطار لشبونة في الساعة الواحدة بالضبط بتوقيت باريس التي غادرناها وهي الثانية عشرة بتوقيت لشبونة، ولكنها الثانية بتوقيت بلادنا.

وكانت مدارج المطا رمحاطة بخضرة ربيعية من أعشاب تبدو كأنها هي ربيعية وهي صيفية وذلك بأن لشبونة تنزل عليها أمطار في الصيف أيضاً مثل الشتاء.

وصلنا بسرعة إلى السيور العريضة المتحركة التي تحمل الأمتعة القادمة، وذلك قبل أن نصل إلى مكاتب الجوازات التي لم نصل إليها مطلقاً،

وذلك بأننا قادمون من دولة من دول الاتحاد الأوروبي، وهي فرنسا وقد أصبحت دول الاتحاد الأوروبي العشر بمثابة الدولة الواحدة في الدخول والخروج إليها سواء للأجانب أو لمواطني تلك الدول بمعنى أنه لا يلزم من يدخل من دولة من تلك الدول الأوروبية العشر أن يحصل على سمة دخول خاصة بها ولا بأن يبرز جواز سفره للسلطات الحكومية فيها.

ولو فتش مفتش في جوازي عن ختم واضح يبيح لي الدخول في دول الاتحاد الأوروبي العشر لم يستطع رؤيته لأنه ختم صغير وضعه الضابط الفرنسي بجانب سمة الدخول التي منحتها لي السفارة الإيطالية في المملكة إحدى دول الاتحاد الأوروبي وهي ممتدة لمدة سنة واحدة ولعدة رحلات متكررة.

وفي جوازي أيضاً سمة لا تعنيني الآن ولكنها قد تفيد لو لم تتأكد من جوازي في أوروبا وهي من السفارة البريطانية في بلادنا فقد منحتني تلك السفارة منذ سنتين سمة دخول إلى بريطانيا لمدة خمس سنوات ولسفرات متكررة أثناءها، وكانت فعلت ذلك على جواز لي قبل هذا الذي أحمله الآن قد امتلأت صفحاته، فأعطتني وزارة الخارجية السعودية جواز سفر دبلوماسياً جديداً ارسلته للقنصلية البريطانية في جدة فوضعت فيه سمة الدخول للسنوات الثلاث الباقية.

كانت أمتعتي تتضمن حقيبتي المعتادة التي سافرت معي سفرات لو كانت قاصدة اتجاهاً واحداً لكانت دارت حول الأرض عدة دورات وهي ثقيلة ومعي أيضاً صندوقان من الورق المقوى (الكارتون) فيهما تمر من نخلات لي في بريدة أهدي منه- في العادة- إلى رؤساء الجمعيات الإسلامية، وبخاصة أننا الآن مقبلون على شهر رمضان، لهذا كان لابد من عربة يد

معتادة ولكن الصعوبة جاءت من كون عربات اليد في هذا المطار مربوطة برباط لا يفلتها إلا إذا وضعت فيه عملة أوروبية (يورو) وليس معنا تلك العملة ظناً منا بأن الدولار يكفي عنها لذلك كان لابد من البحث عن مصرف، وبعد لاي وجدناه فصرف العملة الأمريكية وحصلت على عربة يد وهي بالإنكليزية (ترولي).

وبينما أنا كذلك إذا بمندوب من السفارة السعودية يحضر إلينا في منطقة تسلم الأمتعة ويسلم ويقدم نفسه بأنه (محمد شيشاح) من السفارة السعودية وأنه مغربي مقيم في البرتغال منذ سنين ومتزوج من أهلها وله بنت اسمها (نجاة) من زوجته البرتغالية، ويتكلم البرتغالية بطلاقة، ويحتفظ أيضاً بالجنسية المغربية.

ثم حضر الأخ عبدالحميد السيف سعودي من الخرج قرب الرياض وهو الرجل الثاني في السفارة، لذا هو القائم بالأعمال معتذراً عن عدم حضور السفير إلى المطار.

وكان المطار مزدحماً بالقادمين.

وقد ذهبنا معهما بسيارة للسفارة يقودها برتغالي إلى فندق كانت السفارة قد حجزت لنا فيه من قبل واسمه (دوم بدرو) وهو من فنادق الدرجة الأولى ذوات النجوم الخمس، كتبوا ذلك على بابه وأوراقه.

وقد أنزلونا في غرفة فيه في الطابق التاسع تطل نافذة الغرفة على جانب من مدينة لشبونة الذي يعتبر وسطها الحديث ويتألف من أبنية عالية متعددة الطبقات (عماير).

وقد كلمني بالهاتف سفيرنا في لشبونة الشيخ (محمد بن حمود الرشيد) وذكر أنه سيأتي إلى الفندق للقاء والسلام فشكرته على ذلك وقلت له: سيكون اللقاء عندك الليلة في بيتكم، وكان اتصل بي أمس وأنا في مكتبي في مكة موضحاً أنه يدعوني على العشاء غداً- يريد الليلة- في منزله في لشبونة فشكرته وأجبته إلى ذلك.

وقد أخلدنا إلى راحة كنا بحاجة إليها لأننا غادرنا بلادنا بعد منتصف الليل وكنت غادرت بيتي في مكة في العاشرة ليلاً إلى جدة ولم أنم.

الرفيق قبل الطريق:

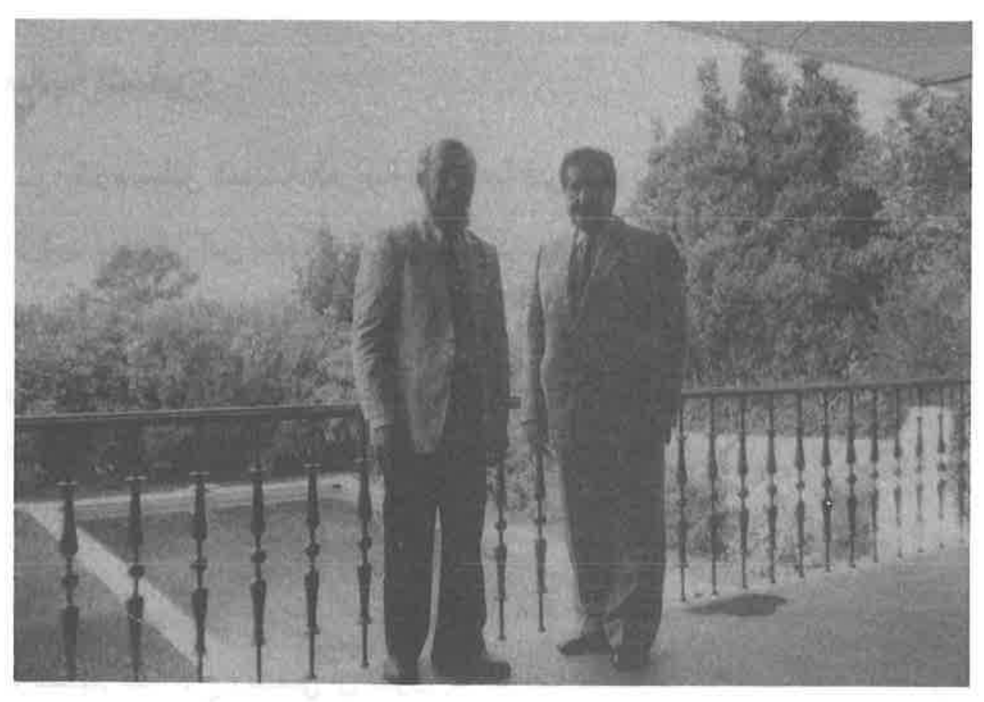
هذا مثل عربي قديم وهو مثل حكيم يقول: (الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق) وبعض العرب القدماء يفردونه مثلين آخرهما ما ذكرته، وكنت اعتدت في أكثر رحلاتي القديمة التي كانت إلى أقاصي العالم ألا أصحب أحداً ولا أصطحب أحداً، وإنما أقوم بجميع شئوني بنفسي إلا أنني صرت أخيراً أحرص على وجود مرافقٍ معي، لاسيما أن وظيفتي في رابطة العالم الإسلامي هي المركز الثاني، وذلك يتيح لي أن اصطحب أحد موظفي الرابطة.

وكنت اعتدت على أن أخذ معي في رحلات الصين وروسيا وشرق أوروبا ووسط آسيا الأستاذ رحمة الله بن عناية الله مدير إدارة الدراسات في الرابطة، إلا أن العمل كان يقتضي وجوده في هذه الأيام في الرابطة فأخذت بديلاً عنه الدكتور عبدالرحمن بن محمد العيفان مدير إدارة الشئون الثقافية والنشر في الرابطة وهي المرة الأولى التي يصحبني فيها في السفر.

مأدبة السفير:

كرم سفير المملكة العربية السعودية في لشبونة الأستاذ محمد بن حمود الرشيد بدعوتي إلى مأدبة عشاء رسمية دعا إليها رئيس المركز الإسلامي في البرتغال (لشبونة) واسمه عبدالمجيد وكيل ويسمونه هنا رئيس الجالية الإسلامية، وأنا أكره تعبير الجالية من كل مسلم في هذه البلدان الأوروبية وأمثالها، وأفضل أن يقال فيه إنه رئيس المسلمين في البلاد أو رئيس الأقلية العددية الإسلامية أو رئيس الطائفة الإسلامية، لأن الجالية وصف لمن أجلوا عن بلادهم بمعنى أنهم أجبروا على الجلاء وهو النزوح عنها، مع أن معظم المسلمين ليسوا كذلك فرئيسهم هنا الأخ وينبغي أن نقول إذا التزمنا الشكليات له (صاحب المعالي) الأخ شغل وظيفة وزير في السابق وهو ا لآن رئيس بنك هو من أصل هندي هاجر أجداده بمحض إرادتهم إلى موزمبيق في شرق إفريقية، وكانت مستعمرة برتغالية كما هو معروف فكانت جنسيته برتغالية لذا ذهب إلى البرتغال واستقر فيها، فلم يجله أحد عن بلده ولذلك لا يصح أن يسمى جالياً.

كما دعا الأخ السفير ثلاثة من رؤساء الجمعيات الإسلامية التي تشرف على مصليات أي مساجد ليس لمقارها صفة أبنية المساجد، وكذلك حضر بعض العاملين في سفارة اثنتين من الدول الإسلامية، وجميع موظفي السفارة السعودية.



مع السفير محمد بن حمود الرشيد في حديقة السفارة في لشبونة

رحب بنا صاحب السعادة السفير وأفضى من كرمه على هذه المأدبة ما لم نكن نتوقعه إلا إذا تذكرنا أنه سليل أسرة كانت حاكمة في نجد، فهو من أسرة (الرشيد) حكام حائل ثم حكموا نجداً كلها على وجه التقريب في عهد الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد، ثم في عهد ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي لم تستقر له الأمور بسبب تعسفه وشدة تعامله مع الناس بخلاف عمه محمد، كما أن الملك عبدالعزيز آل سعود قد خرج مطالباً بملك آبائه وأجداده على نجد الذي انتزعه محمد بن رشيد من آل سعود، فجرت حروب كبيرة بين عبدالعزيز وعبدالعزيز حتى تم الأمر للملك عبذالعزيز آل سعود بعد أن قتل عبدالعزيز بن متعب آل رشيد في روضة مهنا (شرق بريدة) عام ١٣٢٤هـ.

كان أول ما بدرنا به السفير التمر السكري معه القهوة العربية المبهرة بالهيل قائلاً بهذا اللفظ التقليدي: الله يحييكم، وهو يوجه كلامه للجميع من سعوديين وغيرهم الذين هم من أهل البرتغال.

كانت الأحاديث على المائدة مفيدة جداً، لذلك انصتُّ إليها، وكنت في بعض الأحيان استفسر عن بعض الأشياء التي لا أعرفها، أو لا أتيقن من معرفتي لها، فكان الجواب يأتي من السفير أحياناً ومن رئيس المسلمين أحياناً أخرى، وكان الكلام على المأدبة بالإنكليزية التي يفهمها الجميع إلا من نشأوا في البرتغال وهي تكفينا مؤونة الترجمة من العربية إلى البرتغالية وبالعكس.

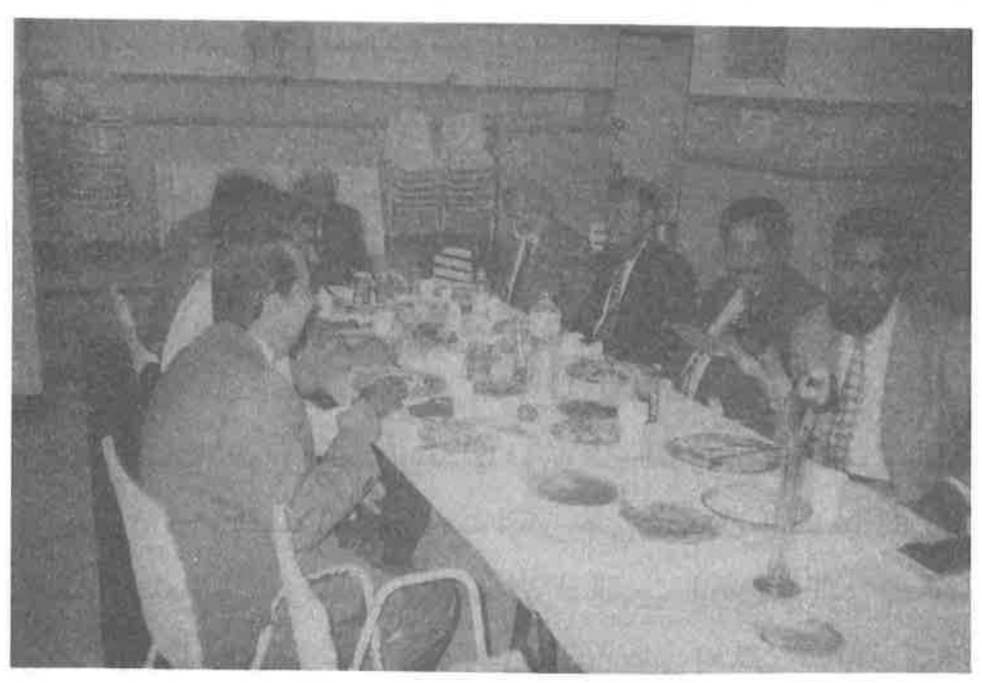
إلا أن الأستاذ عبدالمجيد وكيل رئيس المسلمين قال مخاطباً السفير والحاضرين: إن فلاناً ويقصدني يعرف اللغة البرتغالية معرفة جيدة.

ومع أنني أعرف قدراً من البرتغالية يكفي للحاجات السوقية غير المعقدة فإنني لا أعرف تصريفات كلامها العميق وبخاصة في مثل كلامنا الذي شمل السياسة والتاريخ وأمور الدين المعقدة، وقد عرفت ذلك الشيء القليل النافع من اللغة البرتغالية عندما كنت في البرازيل التي كانت مستعمرة برتغالية ولكنها انفصلت عنها وأعلنت استقلالها في أوائل القرن التاسع عشر، وذلك في عام ١٨٢٢م بالضبط، وهو وقت مبكر على استقلال المستعمرات لكن عسف المستعمرين البرتغاليين وظلمهم لأفراد الشعب البرازيلي الذي يخالفهم وبعد البرازيل عن البرتغال حمل البرازيليين على إعلان استقلال البلاد وانفصالها عن مملكة البرتغال.

كانـت المأدبـة حافلـة فيهـا الأرز بـاللحم وفيهـا خـروف كامـل (مَصْـلي) والمصلي غير المشوي فالمشوي هو الذي ينضج بوضعه على النار مباشرة، وأما المصلي فهو الذي يوضع قريباً من النار ولكنها لا تباشره وإنما ينضجه حرها.

وفيها سمكة ضخمة كاملة وأسماك أخرى رأيت لحم تلك السمكة الكبيرة فاخراً قليل النظير فيما عرفته من لحم السمك، وقد ذكروا لـي اسمه وأنسيته إلى جانب أنواع منوعة من الأطعمة والسلطات والمقبلات والأشربة المباحة.

وزان ذلـك تلـك الأحاديـث المفيـدة عـن ماضــي هـذه الـبلاد الأندلسـية وحاضر البلاد البرتغالية كما صارت تسمى الآن.



مائدة العشاء في منزل السفير السعودي في لشبونة، وهو الثاني من اليمين على يمينه المؤلف فالأستاذ عبدالمجيد وكيل

وقد استمرت الجلسة إلى قرب الثانية عشرة حيث ودعنا السفير مشكوراً إلى خارج بيته الذي يقع موقعاً ممتازاً مرتفعاً وهو ملك لبلادنا مثله في ذلك مثل بيت السفارة كلاهما ملك للمملكة.

وأكد عليَّ السفير ما كان أبلغني به الأستاذ عبدالحميد السيف القائم بالأعمال بالسفارة من أن السفير قد وضع تحت تصرفنا سيارة السفارة من حين قدومنا حتى مغادرتنا فشكرته على ذلك.

يوم الجمعة: ١٤٢٣/٧/٢٧هـ ٢٠٠٢/١٠/٤م:

إلى بلدة بالميلا:

وبلدة (بالميلا) بلدة صغيرة قريبة من العاصمة لشبونة ومعنى اسمها النُّخيلة لأن (بالم) هي بمعنى النخلة والباقي نسبة، ونحن نعرف معنى (بالم) من الإنكليزية واللغات اللاتينية بمعنى شجرة أو الأصابع الخمسة إذا مدت اليد ورفعت أصابعها إلى أعلى على شكل شجرة.

والمراد من ذهابنا إلى بلدة (بالميلا) هو زيارة جمعية إسلامية مهمة فيها لها مدرسة جيدة كما أخبرونا، وتمتلك أبنية عدة أنشأتها على أرض واسعة صارت لها.

كان خروجنا من الفندق في التاسعة ومعنا الأخ المغربي (محمد أحمد شيشاح) الذي فرغته السفارة لمرافقتنا في البرتغال، ومعنا سيارة السفارة وسائقها برتغالي متمرس بالعمل، وترافقنا سيارة أخرى للجمعية الإسلامية في بالميلا.

وتبعد بالميلا عن قلب العاصمة لشبونة ٣٥ كيلومتراً وهي أقرب من ذلك لضاحيتها الجنوبية.

وأول ما يستعري انتباه الذي يخرج من لشبونة ذلك الجسر الطويل الذي يسمى (جسر ٢٥ أبريل) الذي يرمز لثورة الشعب البرتغالي على الحكم الدكتاتوري الذي كان بدأه (سالازار) وكانت شرارة تلك الثورة قد انطلقت في ٢٥ أبريل من عام ١٩٧٥م، فالجسر طويل يكفي أن يتصور المرء طوله إذا عرف أنه يمر فوق نهر (تاجو) العظيم الواسع الذي تمده مياه المد البحري حيث تختلط به عند مصبه وهو واسع المجرى وإن أردنا الدقة قلنا: إنه واسع الوادي، ولذلك

أسماه عرب الأندلس هنا بالخور: خور (إشبونة) وإشبونة بالألف في أوله هي لشبونة الأن، هكذا كان بعض العرب القدماء يسمونها فيذكرون خور اشبونة هذا وينوهون به، والخور عندهم هو الخليج من البحر الداخل في البر.



ريف منطقة باميلا

ويفصل النهر الذي فوقه هذا الجسر بين مدينة لشبونة القديمة المعروفة الآن بـ(الفاما) وبين لشبونة الحديثة، وإن كان توجد عمارة قديمة في القسمين كليهما في القديم، وسوف يأتي الكلام على (الفاما) عندما نتجول في لشبونة فيما بعد بإذن الله.

لم نقف عند هذا الجسر لأن لنا موعداً مع الإخوة المسلمين الكرام أهل (بالميلا).

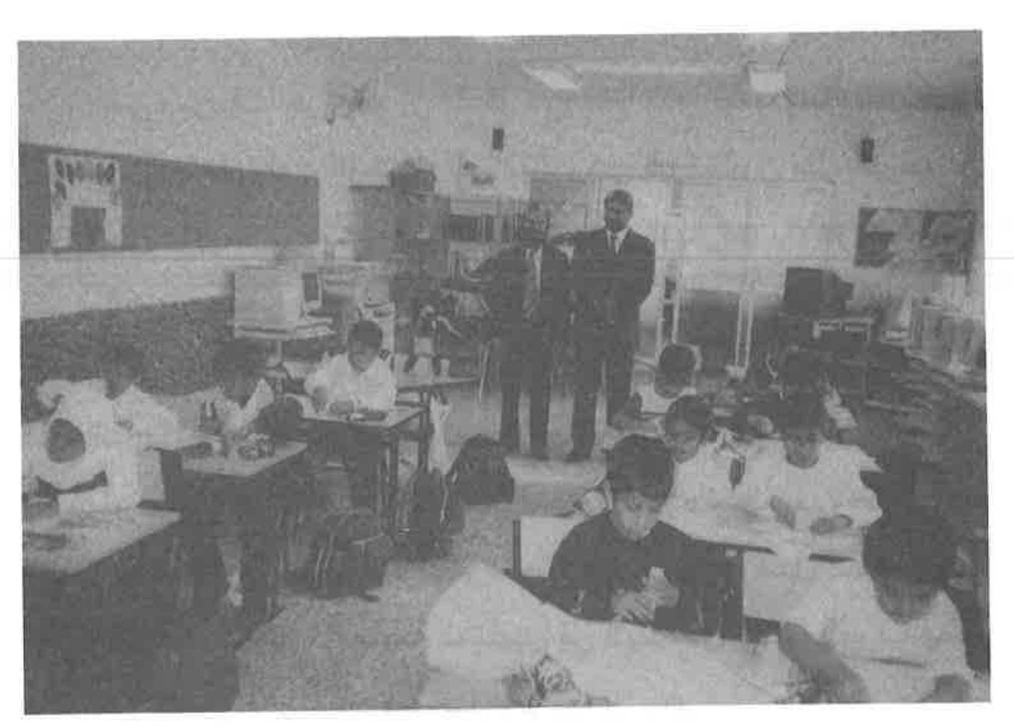
وصلنا إلى بلدة يسمونها (الماداة) بمعنى الجيش متصلة بلشبونة وبعضهم يخصصها أي يخصص اسم (المادا) للجيش البحري، وتقع في موقع مرتفع وهي حديثة الإنشاء، والطريق التي تسير معها واسعة سريعة من اتجاهين.

ولاحظت أن الضواحي والقرى قرب المدينة تتصل بعضها ببعض فتكاد تكون متلاصقة وإن كان ذلك مع أمكنة من الفراغ فيها الأشجارأو مستودعات المؤسسات العامة وأشجار الغابات موجودة ولكنها قليلة قطعوا بعضها من أجل إقامة المنازل في مكانها.

المدرسة الإسلامية:

كان أول من استقبلنا فيها الشيخ (رضوان بن داود بن إسماعيل) أصله من (موزمبيق)، وموزمبيق كما نعلم كانت مستعمرة برتغالية مهمة في شرق إفريقية بل كانت أولى المستعمرات البرتغالية في إفريقية، أو هي من أولاها، حصل عليها البرتغاليون بالمصادفة، إذْ كانت سفنهم ذاهبة من غرب إفريقية جهة الجنوب تريد اكتشاف آخر هذه القارة الإفريقية اليابسة، ولم يكن آخرها معروفاً لأحد، فسارت بقيادة القائد (دياز) حتى وصلت إلى مبتغاها في رأس الرجاء الصالح الذي هو آخر القارة الإفريقية من جهة الجنوب، وعنده يقترن المحيطان الأطلسي والجنوبي المتصل بالمحيط الهندي.

وقد مات (دياز) ودفن فوق رأس الرجاء الصالح زرت قبره عندما كنت في سياحة لضواحي مدينة (كيب تاون) التي معنى اسمها (مدينة الرأس).



المؤلف على يساره محمد اشفاق طيُّوب رئيس جمعية بالميلا الإسلامية في أحد فصول مدرسة الجمعية

والذي جر الحديث هنا أن البرتغاليين عندما وصلوا إلى سواحل شرق القارة الإفريقية رأوا فيها العمانيين يشبهون المغاربة فأسموهم المور مثلما كانوا يسمون المسلمين المغاربة بذلك.

ولم يجدوا من يتفاهمون معه في المنطقة الجنوبية من موزمبيق إلا رجلاً اسمه (موسى بن بيك) ولم يكونوا يعرفون اسم المنطقة فأسموها (موزمبيق) على اسمه مُحرَّفاً، وبقي عليها هذا الاسم.

وشيء مؤسف آخر وهو أن فاسكو دي جاما الذي خلف (دياز) في قيادة الأسطول البرتغالي أراد الوصول إلى الهند وكان البرتغاليون مثل غيرهم من الأوروبيين مدفوعين بالرغبة في الحصول على البهارات والأفاويه الهندية التي لم تكن توجد في أوروبا في تلك الأزمان إلا بأثمان غالية بحث عندما كان في مدينة (مالندي) على ساحل البحر في شرق إفريقية عن دليل يدله على الطريق في البحر الزنجي والمحيط الهندي فوجد البحار العربي العماني (أحمد بن ماجد) فبذل له من المال ما كفاه، ودله البحار العربي على كيفية الإبحار والانتقال في البحر العربي والمحيط الهندي حتى وصل بسببه الهند، وكانت في ذلك الخسارة العظيمة للمسلمين في الهند، بل النكبة للعرب أيضاً ما لم يكن يتصوره ابن ماجد فلا حول ولا قوة إلا بالله.

جالت هذه الأفكار في خاطري ونحن نصل إلى (بالميلا) ويستقبلنا الأخ (رضوان بن داود بن إسماعيل) وبنوه المرافقون وبنوه هو نفسه بأنه من موزمبيق، وكنت زرت موزمبيق قبل ذلك، وذكرت خبر الزيارة في كتاب: (صلة الحديث عن إفريقية).

جلنا مع الإخوة وبخاصة الأخ (رضوان بن داود) على ما يصح أن يسمى بالمركز الإسلامي هنا لأنه مسجد بل مسجدان أحدهما للذكور والآخر للنساء، ومدرسة إسلامية، بل مدرستان.

ويشغل مساحة طيبة من الأرض.

وكان أول ما رأيناه مدرسة جيدة الأبنية فيها فصول دراسية منظمة وملاحق أرونا بعض الفصول الدراسية، وأولها الفصل الأصغر بمثابة الروضة وهو مختلط بين الذكور والإناث لكونهم غير مميزين.

ونوهوا بأن هذا الاختلاط هو في السنة الاولى الابتدائية فقط وما بعدها هو منفصل ما بين الذكور والإناث.

رأيت مدرِّسة مظهرها غير مسلم فذكر أنها واحدة من اثنتين في هذه المدرسة من غير المسلمات يدرسن العلوم المجردة البعيدة عن الدين، وأنهن من المؤهلات تربوياً حسب الشروط البرتغالية.

وقد جاملنا هاتين المدرستين على اعتبار أنهما كالضيفتين هنا فذكرنا أن العمل في المدرسة فيه خدمة للثقافة والمدنية وتقوية للعلاقات بين الأقلية المسلمة في هذه البلاد وبين الأكثرية غير المسلمة فيها.

عدم زيارة الكبيرات:

وصل بنا التجوال إلى غرفة مغلقة الباب مستورة النوافذ أمامها كومة كبيرة من أحذية نسائية ذكروا لنا أنها غرفة الكبيرات من الطالبات اللاتي لا يسمح للزوار برؤيتهن، قد اكتفوا عن ذلك برؤية أبعاد الغرفة من الخارج.

وهذا أمر جيد في هذه البلاد التي يرى الرجل المرأة فيها في كل مكان، لأنها تعمل في كل ميدان، ولكن الشعور بوجوب ستر المرأة حتى في دور التعليم والعبادة أمر معروف عن الإخوة مسلمي الهند حتى إنهم يبالغون في هذا الأمر أحياناً، ومن ذلك أنهم يخصصون للمصليات صلاة الجمعة أو

التراويح في رمضان غرفة محكمة الإغلاق مصمتة الحيطان بحيث لا يرين الإمام ولا أحداً من المأمومين خلفه، ولا تربطهن بالمصليين من الرجال رابطة إلا مكبر الصوت.

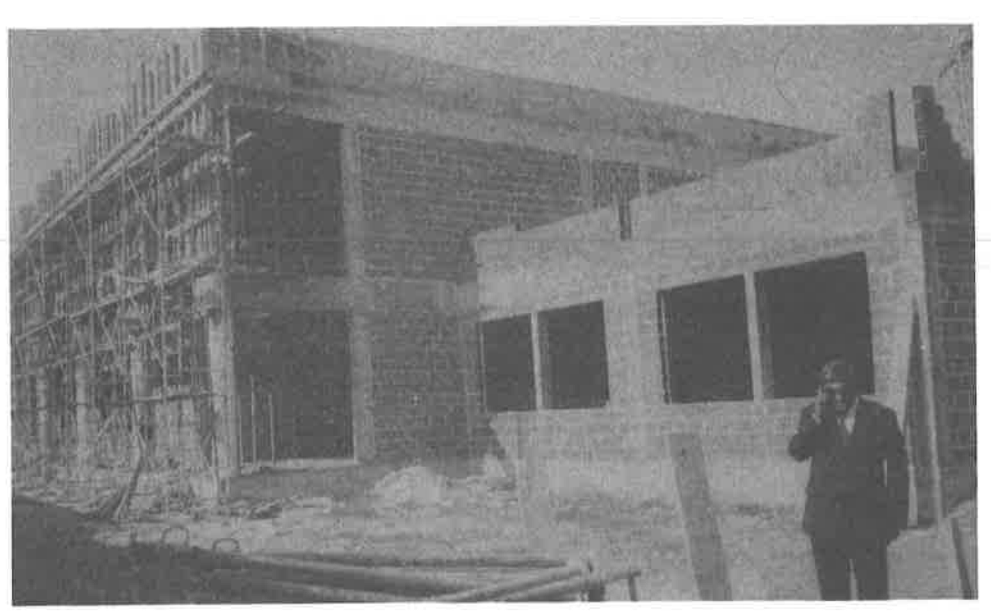
وهذا خلاف ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن النساء كن في عهده صلى الله عليه وسلم يصلين خلف الرجال، ولذلك جاء في الحديث: (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء أخرها وشرها أولها).

وقد فسر العلماء ذلك بأنه لكون آخر صفوف الرجال يكون قريباً من النساء وأول صفوف النساء يكون قريباً من الرجال.

وورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم انتقل إلى صفوف النساء خلف الرجال فوعظهن وذكَّرهن إلى آخر ما جاء في الحديث.

هذا وقد انطبع في أذهاننا عن هذا المشروع الإسلامي بأنه عظيم حقاً لأنه قائم على تبرعات المحسنين، وجهد المجتهدين الناصحين من هؤلاء الإخوة الكرام.

فمثلاً تبرع أحد المحسنين واسمه (عبدالعزيز بن إبراهيم) وهو أخو نذير إبراهيم أحد الذين يرافقوننا في هذه الجولة بأرض تبلغ مساحتها خمسة آلاف متر مربع هي إحدى الأراضي التي تتبع هذا المشروع، وذكر الإخوة أنها ثمينة، وأنها لا تسمح نفس أحد بالتبرع بها إلا إذا كان مؤمناً يبتغي الخير للمسلمين.



المباني الجديدة لمدرسة بالميلا ورئيس الجمعية يتكلم بالهاتف الجوال

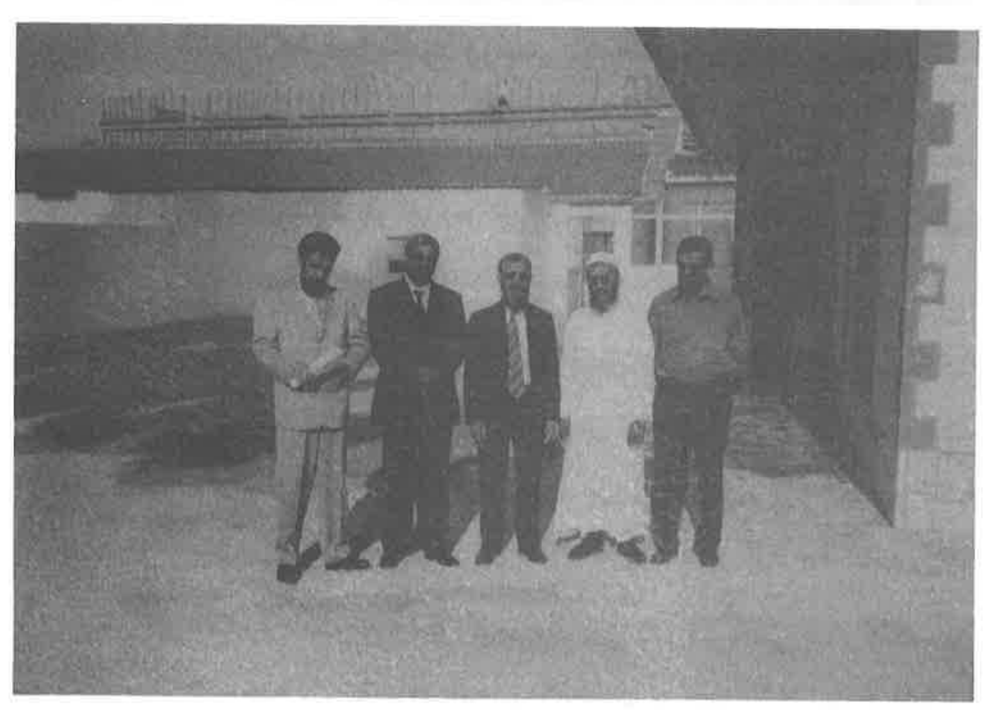
ولا شك في أنها من أفضل القربات لأن نفعها للمسلمين متجدد، إذْ يتعلم فيها الطلبة من بنين وبنات أفواجاً بعد أفواج، مما يكون عاملاً على عصمتهم من الذوبان والاضمحلال في هذا المجتمع غير المسلم.

وعندما أبدينا إعجابنا أدخلونا إلى فصل دراسي لبنات متوسطات أعمارهن نحو العاشرة وأرونا كتاباً وجدناهن يتعلمن فيه قراءة الحروف العربية وهو كتاب من جملة كتب واردة إليهم من (جامعة أم القرى) في مكة المكرمة حيث تدرس مثل تلك الكتب في تعليم العربية لغير العرب.

وكان يرافقنا من لشبونة رئيس الجمعية التي تشرف على هذه المدرسة بل المدارس والمسجد، بل المساجد بمعنى المصليات فيها الأخ محمد اشفاق طيُّوب) وهو مثل رضوان أصل أجداده من ولاية كجرات في الهند، ولكنه جاء إلى البرتغال من موزمبيق.

مدرسة الأبناء:

قطعنا شارعاً يقع إلى الشرق من هذه المنشآت القائمة على الأرض الواسعة، وقد حذرنا الإخوة المرافقون من السيارات المسرعة التي تمر من هذا الشارع فوصلنا إلى أرض واسعة أيضاً تابعة للجمعية نفسها وفيها عدة منشآت لها، وتبلغ مساحة هذه الأرض الثانية خمسة آلاف متر أيضاً، وليست تبرعاً لهم من أحد المحسنين كما هي حال الارض الأولى، و إنما اشتروها بأموال متبرعين من المسلمين جزاهم الله خيراً وبلغت قيمتها ثلاثمائة وأربعين ألف دولار أي نحو مليون ومائة ألف ريال أو تزيد على ذلك قليلاً.



داخل مباني الجمعية الإسلامية في بالميلا على يميني رئيس الجمعية وعلى يساري إمامها

أول ما رأيناه من هذه الأرض بئر ارتوازية كانت السيارة التي تحمل الحفار لحفر البئر لا تزال موجودة، نوهوا بأنه كانت توجد عندهم بئر قديمة ولكن ماءها قليل فحفروا هذه التي يتوقعون أن يكون ماؤها كثيراً، وذكروا أن الماء الذي ينشدونه يقع على عمق ١٨٠ متراً تحت سطح الأرض، وهذا عمق بعيد كما ترى حتى بالنسبة إلى كثير من الآبار في بعض مناطق بلادنا كمنطقة القصيم، وأذكر أن عمق بئر الماء الذي في مزرعتي التي فيها بيتي ونخلي في مدينة بريدة عمقه ١٨ متراً فقط ولكن ماؤه غير عذب.

وهناك مناطق في القصيم لا ينبثق الماء فيها معيناً كثيراً إلا من خمسمائة متر أو نحوها ولكن ذلك ليس بالقاعدة العامة.

ويذكرون أن ماء البئر الأرتوزاية يكون هنا عذباً في العادة.

انتقلنا عبر فناء مكشوف واسع في هذه الأرض فيه أشجار من الأشجار المثمرة إلى (مدرسة الأبناء) فدخلنا فيها فصلاً صادف أنه فصل تلاوة القرآن الكريم أو هو (تعليم القرآن) كما عبروا به.

واسم المدرس (زبير بن أيوب) ورأيت بعض الطلاب في هذا الفصل يحفظون سوراً من القرآن تلاها بعضهم أمامنا، و نوه المرافقون بأن بين تلاميذ هذه المدرسة عشرة يحفظون القرآن الكريم.

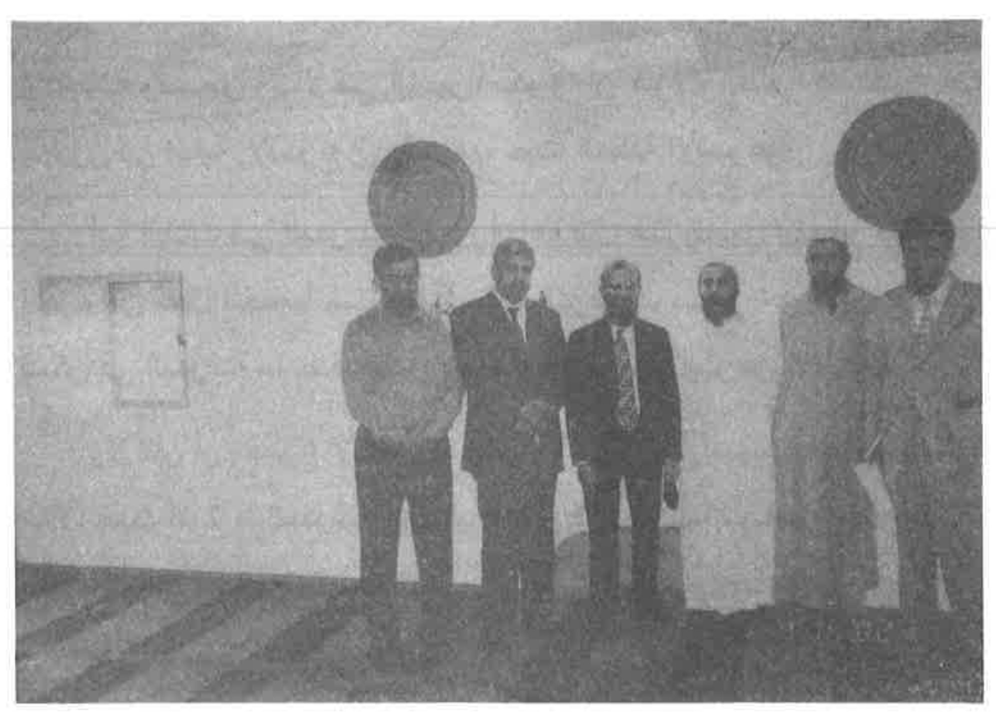
وممن يحفظون القرآن الكريم كله الطالب (عبدالله بن ولي محمد) قرأ من أول سورة النحل حسب اقتراحنا، ولم نلاحظ عليه أية غلطة أو لحنة مثلاً.

وقد ألقيت فيهم كلمة سمعها المرافقون ومنهم القائمون على هذا العمل الجليل، قلت فيها: إنكم أيها الأبناء على خير كثير لأنكم تدرسون أفضل العلوم

وهـو العلـم المتعلـق بكتـاب الله عـز وجـل مبنـى ومعنـى، وأنـتم أيهـا الآبـاء المدرسون: إنكم تقومون بوظيفة الأنبياء والمرسلين وهي تعليم الخير للناس.

وهـذا للإخـوة القـائمين علـى هـذا العمـل مـن التجـار والمتبـرعين ومـن القائمين بجهودهم الشخصية في هذه الأعمـال الجليلـة أجر عظيم، بـل إن هذه منة من الله تعالى عليهم، إذْ وفقهم لعمل الخير الذي هو العمل البـاقي المستمر لصـاحبه أجـره وأجـر مـن عمـل بـه إلـى يـوم القيامـة مـن دون أن يـنقص مـن أجورهم شيء.

ومما ينبغي أن يتذكروه أن الإنسان الذي لا يقوم بعمل من أعمال الخير، إنما يشبه الحيوان الذي هو يأكل ويشرب ويموت، وقد ميز الله الإنسـان علـى الحيوان بالعقل، ووعد بالثواب الجزيل من عمل الخير للنـاس، ومـن أهم ذلك بـل هـو أمـه تبيـان الحـق فـي الـدين، وبخاصـة فـي هـذه الـبلاد، ذات الأكثريـة المسيحية التـي يجب أن يتأكد فيهـا معنـى قولـه تعـالى (أدع إلـى سـبيل ربـك بالحكمة والموعظة الحسـنة) فـي نفـوس الـدعاة إليهـا، لأنـه إذا فـرض أن أحداً دعـا إلـى الله بـالعنف ومـن غيـر حكمـة فـإن ذلـك سـوف ينعكس ضـرراً عليـه، وعلى القائمين بالدعوة الإسلامية فيها.



في مسجد الجمعية الإسلامية في بالميلا

مساكن الطلبة:

اطلعنا على الفصول الدراسية في مدرسة الأبناءهذه فذهبوا بنا إلى مساكن للطلبة يجعلون كل أربعة منهم في غرفة واحدة لدى كل واحد من الساكنين فيها ما يحتاجه من خزانة ومكان للكتب فضلاً عن الأشياء الأخرى اللازمة للمسكن، وهم هنا يطعمون ويشربون ويعيشون.

وأخبرونا أن المدرسة تتقاضى شيئاً من المال من القادرين على دفعه من أولياء أمور الطلبة وهم الأكثر، أما الفقراء وهم الأقل فإنهم لا يأخذون منهم شيئاً، ومقدار ما يأخذونه من الطالب الغني هو (١٢٥) يورو أي نحو

أربعمائة وتسعين ريالاً في الشهر، ذكروا أن هؤلاء الطلبة الساكنين هنا يذهبون في نهاية الأسبوع إلى أسرهم، حيث العطلة الأسبوعية.

أما البنات في المدرسة التي رأيناها قبل هذا يفصل بينها و بين هذا الجزء من عمل الجمعية شارع فإن عدد الدراسات منهن ٤٥ منهن ١٤ بنتاً يسكن في المدرسة ما عدا عطلة الأسبوع فيذهبن إلى أسرهن كالأبناء.

ولا أظن أن مجموع الأبناء يزيد على ١٢٠ ولكن تدريسهم والعناية بهم يكلف مالاً، حيث تشترط الحكومة البرتغالية على كل مدرسة ترخص لها وتعترف بالشهادات التي تصدرها مثل هذه المدرسة أن يكون المدرسون فيها مؤهلين تربوياً.

وجميع نفقات المدرسة والجمعية على وجه العموم قائمة على تبرعات أهل الخير الذين هم من المقيمين في البرتغال في الأغلب.

وتلك سنة حميدة عرفناها من إخواننا المسلمين ذوي الأصول الهندية حتى وإن كان بعد عهدهم وعهد آبائهم بالهند، وذلك لكونهم عرفوها في الهند، إذْ كان الواجب عليهم أن ينشؤا المدارس الخاصة لتعليم أولادهم أمور دينهم، كما هو معروف وقد ذكرت في كتبي عن الهند من ذلك نماذج، بل عجائب من الصبر على النفقة، ومن التبرع من أناس يصفهم بعض الناس بالحرص على جمع المال من التجارة ونحوها قرشاً قرشاً، بل فلساً فلساً.

وقد جرت عادة الوجهاء والأثرياء من المسلمين في الهند أنه لا يكاد يوجد رجل واحد منهم، بل ولا حتى امرأة قادرة على تقديم عقار أو تعيين وقف من أرض أو منازل على المدارس الإسلامية يصرف ريعه لهذا

الغرض إلاَّ وفعل، وأكثر الطلاب عليهم المظهر الهندي المتطور فهم في لون يشبه لون أهل نجد، وفي أجسام تشبه أجسامهم وكلهم كذلك ما عدا نحو ٣% منهم من أولاد إخواننا مسلمي إفريقية.

المبنى الحديث للمدرسة:

انتقلنا معهم بعد ذلك عائدين إلى القسم الغربي من هذا المشروع، بل العمل الرائع العظيم فقطعنا الشارع أيضاً ووصلنا إلى مبنى ضخم بالأسمنت المسلح القوي لمدرسة عصرية على أحدث طرق هندسية في بناء المدارس.

وتقع وسط فناء واسع جداً مما يعطيها موقعاً دراسياً خلوياً متميزاً اشتروا أرضها عام ١٩٩٨م، بـ٥٠ ألف دولار جمعوها من التبرعات المحلية، وهي رخيصة ذكروا أنها الآن تساوي أكثر من ذلك.

وتبلغ مساحة أرض المدرسة الحديثة هذه خمسة آلاف متر مربع.

ويقولون: إنهم ينوون أن يجمعوا فيها كل الفصول الدراسية وكانوا بدءوا العمل في المدرسة لأول مرة عام ١٩٩٤م.

ولم أرهم زادوا على الطابق الثاني فذكروا أن الحكومة لا تعطي الترخيص في هذه المنطقة لأعلى من طابقين، وهذا أمر مناسب، لأن هذه البلدة تكاد تعتبر كلها ضاحية ليس فيها وسط تجاري يحتاج إلى أبنية متعددة الطوابق تستوعب مكاتب الشركات والمصارف ونحوها، وذلك لقربها من مدينة لشبونة.

وذكروا أن خطتهم أن تكون مدرسة الأولاد كلها محلاً لمساكنهم، وأما البنات فإن مساكنهن جاهزة بجانب مدرستهن.

وقد حضر ونحن نتفقد المدرسة رئيس الشركة التي تنفذ بناء المدرسة وهو برتغالي ليست له علاقة بالمسلمين من جهة الدين أو نحوه فأوصيته بإجادة العمل وقلت له في محضر من الجميع: إن هذه المدرسة هي مدرسة خيرية لا يقصد منها الربح المادي، وينبغي أن تسهم شركتكم في هذا العمل عن طريق إجادة العمل وعن طريق التسامح فيما قد يكون زائداً على ما في العقد مما تحتاجه المدرسة، فأظهر الموافقة على ذلك.

كان الرجل الذي يتكلم أكثر من الجميع عن هذا المشروع وغيره من شئون هذه المؤسسة هو الدكتور (طيوب) الذي تقدم ذكره، وذلك أنه رئيس المؤسسة وهو رجل نشط ومتحمس لأمور دينه وهو رجل أعمال مالية متفرغ لذلك رغم كونه يحمل شهادة الدكتوراه.

وقد صمموا فصول المدرسة بحيث لا يزيد عدد الطلبة في كل فصل عن ثلاثين، وفي المبنى مصلى وأمكنة للمختبرات.

ونوهوا بأن الحكومة تعترف بالشهادات التي تصدرها هذه المدرسة وهو أمر ينبغي أن ينوه به، لأن المدرسة الدينية الإسلامية إلى جانب دراسة صلب المنهج الحكومي وبخاصة ما يتعلق بالمواد العلمية التجريبية هو أمر يحتاج إلى عزيمة من المدرسين والطلاب.

ومعنى كلمة (بالميلا) النخلية نسبة إلى النخلة لأن (بالم) نخلة كما نعرف ذلك بالإنكليزية وإن كانوا قالوا: إن الأصل في ذلك بالإنكليزية هو أصابع اليد الخمسة إذا مدت ورفعت بحيث تبدو كالنخلة.

وقد تقدم ذلك إلا أننا ينبغي أن نذكر أن كلمة (بالمو) معناها نخلة أو شجرة من فصيلة النخل في اللغات اللاتينية التي أعرف منها شيئاً وهي الإسبانية والبرتغالية.

ولكن المهم عندي ليس هو معنى الاسم في حد ذاته، وإنما هو البحث عن التسمية العربية لهذه البلدة، بل للمنطقة أو الناحية التي فيها هذه البلدة (بالميلا).

لم أجد منهم من يعرف أن (بالميلا) اسم عربي قديم، ولو أدعى مدع منهم ذلك لكان الرجوع إلى المراجع العربية يكفي لتأكيد دعواه أو نفيها.

ونظراً إلى أن منطقتها منطقة معمورة في العهد العربي لكونها بجانب مدينة لشبونة أو (اشبونة)كما تعرف في بعض المصادر العربية، وبخاصة هذا المكان الذي يقع إلى الجنوب من لشبونة وقد قال لي بعضهم وربما كان لا يعرف ما تعنيه لي عبارته من الأهمية: إن في بالميلا قلعة عربية ومقبرة عربية.

فقلت: لابد من زيارتهما ولابد من الإطلاع على القلعة خاصة لأنها هي التي سوف تهدينا إلى الاسم العربي أو لنقل: إنه اسم مدينة المنطقة في عهد الحكم العربي.

وقال لي أحد الإخوة الموجودين: إن هذه المنطقة كانت تسمى (المعدن) عند العرب أي مكان التعدين، ولكن هذا لا يكون اسماً في الغالب وإنما يكون وصفاً لمدينة أو منطقة، فما هو اسم هذه المدينة أو الناحية هذه في العهد العربي؟

واستزدناهم من المعلومات عن (بالميلا) هذه فذكروا أن عدد سكانها ٣٢ ألف نسمة منهم مائتا أسرة من المسلمين موجودون في هذه البلدة و ضواحيها الجنوبية أي التي في غير جهة العاصمة (لشبونة).

ونوهوا بشيء أعجبنا وكنا سمعنا بمثله من قبل في غير هذه البلدة وهو أنهم تأتيهم أعداد من البرتغاليين غير المسلمين يريدون منهم الحصول على المعرفة بالإسلام ومبادئه وأصوله من باب حب الإطلاع أو المقارنة مع المذاهب والأديان الأخرى.

قالوا: ولم يسلم عندنا من البرتغاليين الأصلاء إلاَّ أربعة أشخاص، وهذا عدد جيد، إذا ما بورك فيه، لأنه قد يكون واحد من هؤلاء الأربعة مهتماً بنشر الإسلام فيوصل ذلك إلى مئآت إن لم يكن إلى الآلاف.

وقالوا شيئاً مستغربين له: إنه بعد حوادث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة وهو يوم الهجوم بالطائرات على مبني التجارة العالمي في نيويورك، ومقر إدارة الدفاع الأمريكية في واشنطن قد ازداد إقبال البرتغاليين على السؤال عن الإسلام، ومحاولة الحصول على معرفة الكثير عنه، وعن المسلمين، وقالوا: إن (١١ سبتمبر) قد فتح عيون الناس وبخاصة في أوروبا وأمريكا إلى الإسلام.

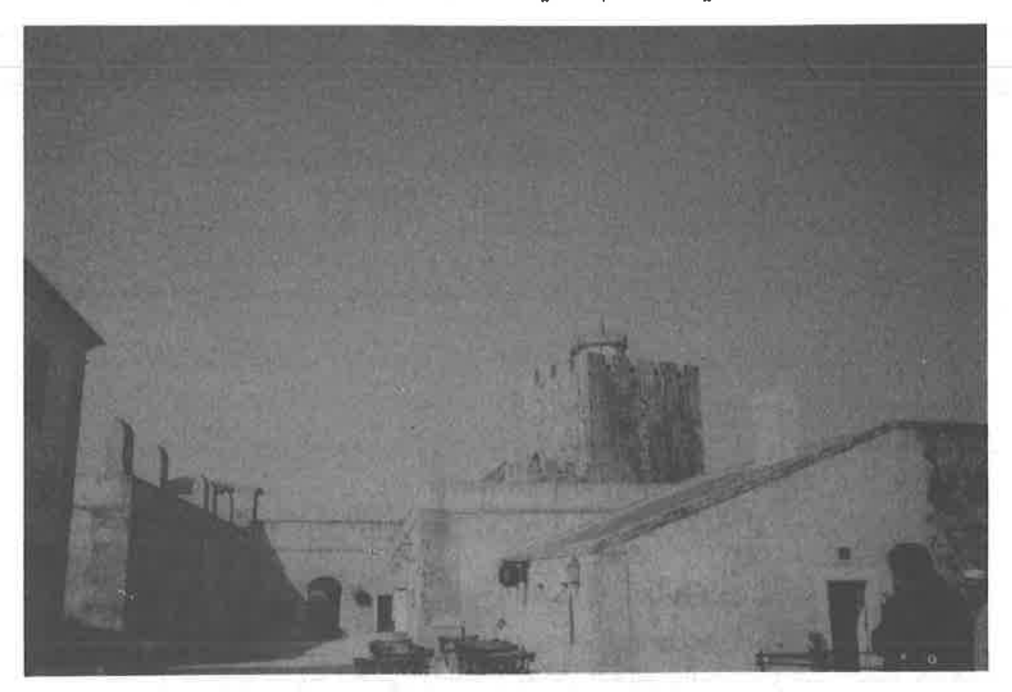
إلا أنهم ذكروا أن إمكاناتهم ضعيفة والأشخاص المؤهلين لمخاطبة هؤلاء البرتغاليين غير المسلمين بلغتهم عدد قليل.

وقد ختمنا زيارتنا لهذا المشروع الإسلامي الجليل بجلسة استراحة على مشروبات باردة في غرفة الإدارة فيه.

إلى القلعة العربية:

تركنا بلدة (بالميلا) ذاهبين جهة الجنوب ونحن على عجلة من أمرنا لأن اليوم هو يوم الجمعة ولدينا برنامج لزيارة مسجد في لشبونة ثم الذهاب إلى المركز

الإسلامي الكبير في لشبونة لتناول الغداء فيه بدعوة من الجمعية المشرفة على المركز قبل صلاة الجمعة، ولكنني قلت لهم: إنني لابد من أن أرى القلعة العربية.



قلعة بالميلا العربية كما يسمونها

وقد وصلنا بعد (بالميلا) بقليل بلوحة كتب عليها باللغة البرتغالية هنا منطقة الزيتون، ويريدون بذلك منطقة أشجار الزيتون.

والزيتون للبرتغال بل لكل أنحاء الأندلس مهم جداً، سواء لاستعمالهم الخاص أو للتجارة الزراعية، وقد ورثوا ذلك من العرب بدليل أن زيت الزيتون لا يزال يقال له بلغتي القوم (الزيت) – بالتعريف- ولا يقولون: زيت مثلنا بالتنكير، والذي أعرفه من البرتغالية أن الزيت يسمى فيها (الزيت) بهذا

اللفظ العربي، وأما الزيتون فإنهم يسمونه (أوليف) وقيل: إن الإسبانية تسميه (الزيتون) ولا أدري صحة ذلك.

مزرعة المَلَك:

الملك بفتح اللام: واحد الملائكة عندهم واسم المزرعة (كينتا دو انجو) أي قرية لأنها مجموعة مزارع، فكينتا- بالبرتغالية مزرعة، و(دو) أداة إضافة تقع بين المضاف والمضاف إليه مثل موقع (أوف) بالإنكليزية، وموقع كلمة (بتاع) عند المصريين، وامتاع عند بعض أهل شمال إفريقية.

وهذه التي مررنا بها هي قرية زراعية وليست مزرعة واحدة كانت التسمية في الأصل لمزرعة زرع ما حولها وسكن فصارت قرية.

وقد فسرها الأخ المغربي المرافق (محمد....) بأنها ضيعة الملَك- بفتح اللام.

أما (انجو) فإنها تعني (ملكاً) بفتح الميم واللام، وهذا مما خالفت البرتغالية فيه الإسبانية، إذْ المَلَك في الإسبانية (انجلو) باللام فيه، ومن ذلك اسم المدينة الشهيرة في الولايات المتحدة (لوس أنجلوس) وهو اسم إسباني فلوس فيها أداة تعريف للجمع وانجلوس: ملائكة مفردها انجلو بمعنى مَلَك.

ووصلنا بسرعة إلى القلعة العربية وتسمى (قاشتلو بالميلا) أي قلعة بالميلا مما يدل على أن بالميلا ذات اسم عربي قديم أو اسم أبقى عليه العرب ولكنه تغير الآن.

وقد اخترقنا شارع قرية صغيرة ونحن نتقدم صاعدين إلى القلعة التي تقع فوق تلة جميلة تشرف على ما حولها إشرافاً كاملاً إلى مسافات بعيدة.

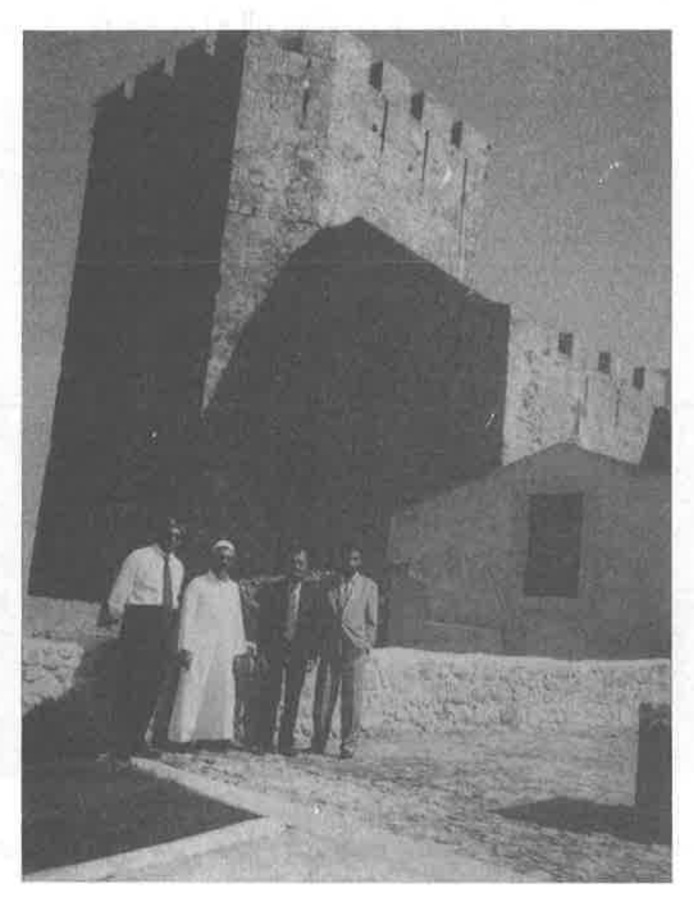
فهي مثلاً ترى الجبال التي أبعد عنها من لشبونة التي تبعد منها نحو ٢٩ أو ٣٠ كيلومتراً، ومنها جبل يعرف بجبل الرابضة، هكذا من ربوض الدابة ونحوها بمعنى بقائها في الأرض غير واقفة، و هذه القلعة معظم أبنيتها بحالة طيبة ما عدا كنيسة فيها يسمونها (سانتا ماريا) يقول الإخوة المسلمون: إن اصلها مسجد في القلعة حوله البرتغاليون إلى كنيسة.



صورة من أعلى مكان في قلعة بالميلا (تصوير المؤلف)

وجدتهم قد اعتنوا بالقلعة حتى افتتحوا في محل منها ما يشبه المقصف، وآخر كتب عليه (مصلحة السياحة) فطلبنا أن نجد فيه شيئاً من ورق أو منشور بالإنكليزية أو العربية يدل على تاريخ هذه القلعة فلم نجد.

والقلعة واسعة المساحة مؤلفة من عدة أبراج بحالة جيدة ولا أدري أهذه حالتها أم إنها رممت من أجل أن تبقى معلماً سياحياً للمنطقة، ولكنها على أية حال معلم مهم، وقد كان القوم المرافقون لنا يجهدون أنفسهم وهم يصعدون إليها، لأنها في موقع مرتفع، تقف السيارات دون الوصول إليه.



تحت أحد أبراج قلعة بالميلا

ولها ميدان واسع فيه بئر ربما كانت مجمعاً لماء المطر من أجل استعماله من الذين يكونون في القلعة إذا حاصرهم أعداؤهم.

ورأيت فيها مكاناً غير متسع ذكر المرافقون أنه مقبرة لمن يموت ويحتاجون إلى دفنه من حامية القلعة، وأن البرتغاليين يزورها من أجل الإطلاع أثرياً على ما فيها.

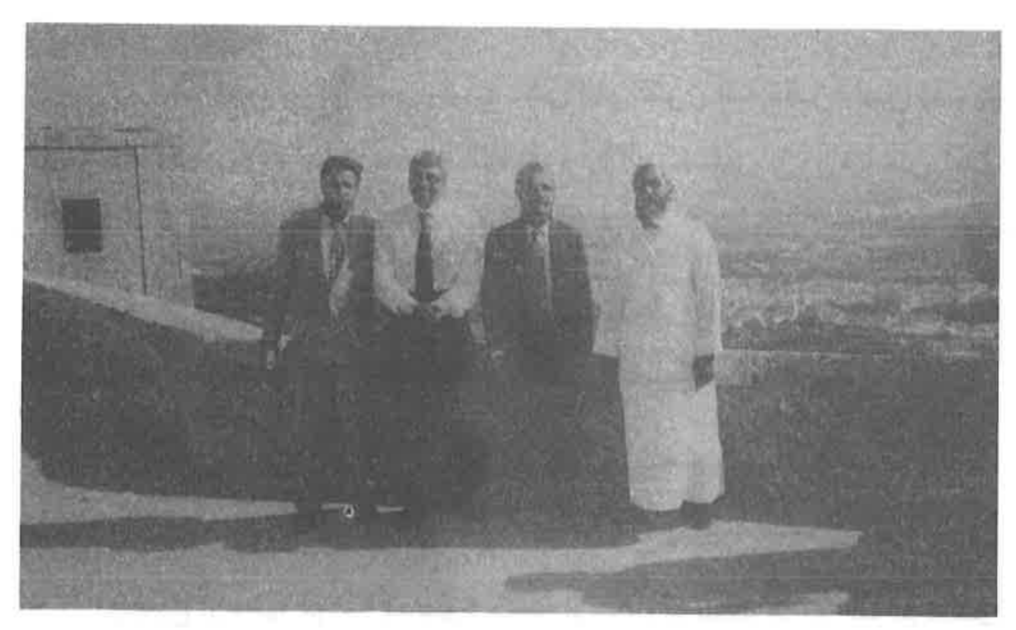
ولم أر في هذا الذي يسمونه مقبرة ما يدل على ذلك، وربما كانت معالم القبور وما تحتها قد عميت لأنها صارت حفرة عميقة.

ولاشك بأن اختيار مكانها قد تم بعناية، للحاجة الماسة إليه، إذْ أنها تشرف فوق أبراجها حتى على البحر الذي يبعد عنها عدة كيلومترات.

وجميع أرضها مبلطة بحجارة خشنة نوعاً، وقد تفقدناها إلا أننا لم ندخل الأبراج لضيق الوقت، ولكون أحد الموظفين فيها قال: إن الأبراج ليست مفتوحة الآن.

نزلنا بسرعة من القلعة من دون أن نشفي النفس من رؤيتها، واستجلاء أخبارها، لاسيما أننا لم نجد من الموظفين فيها من يخبروننا بحقيقة أمرها، وإن وجدنا بعض السياح من أصل أوروبي يتجولون فيها معهم مصوراتهم كما هي عادتهم في المواقع الأثرية، ونحن في هذه الحالة مثلهم، غير أننا لم نكن نملك من الوقت ما يملكون، وإلا لكنا قضينا يوماً على الأقل في البلدة القريبة من القلعة، بل التي ينحدر من القلعة إليها وهي (ضبعة المَلَك).

وظني أن ضبعة الملك هذه كان لها اسم في عهد العرب قديم ينبغي البحث عنه.



في فناء قلعة بالميلا على يميني رئيس الجمعية الإسلامية فيها د. طيوب، وعلى يساري إمامها الشيخ رضوان

وقد لاحظنا أن الهواء خفيف بارد في القلعة لارتفاعها، وكذلك في هذه القرية التي تحتها.

وربما كان اسمها حصن المعدن الذي ذكره المصنفون العرب، وذكروا أنه قبالة لشبونة، قال الشريف الإدريسي(١):

ومدينة لشبونة على شمال النهر المسمى تاجه وهو نهر طليطلة وسعته أمامها ستة أميال ويدخله المد والجزر كثيراً وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر ولها سور وقصبة منيعة، وفي وسط المدينة حمات حارة في الشتاء والصيف،

(١) نزهة المشتاق، ص ٥٤٧.

ولشبونة على نحر البحر المظلم وعلى ضفة النهر من جنوبه قبالة مدينة لشبونة (حصن المعدن) وسمي بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الأرض وقد رأيناه عياناً.

وقال الشريف الإدريسي أيضاً:

ومن مدينة لشبونة كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه، كما تقدم ذكرهم ولهم بمدينة لشبونة بموضع بمقربة الحمة درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين إلى آخر الأبد، وذلك أنهم اجتمعوا ثمانية رجال كلهم أبناء عم فأنشؤوا مركباً حمالاً وأدخلوا فيه من الماء والمزاد ما يكفيهم لاشهر ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية فجروا بها نحواً من أحد عشر يوماً، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش قليل الضوء فأيقنوا بالتلف فردوا قلاعهم في اليد الأخرى وجروا مع البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوماً فخرجوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل، وهي سارحة لا راعي لها ولا ناظر إليها فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها فوجدوا بها عين ماء جارية وشجرة تين بري عليها فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها، فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها فرأوا فيها رجالاً شقراً زعراً شعور رؤوسهم سبطة، وهم طوال القدود ولنسائهم جمال عجيب

فاعتقلوا منها في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي فسألهم عن حالهم وفيما جاءوا وأين بلدهم فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيراً وأعلمهم أنه ترجمان الملك.

فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك فسألهم عما سألهم الترجمان عنه فأخبروا بما أخبروا به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ويقفوا على نهايته فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان خبر القوم أن أبي أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدي.

ثم أمر الملك الترجمان أن يعد القوم خيراً وأن يحسن ظنهم بالملك، ففعل ثم انصرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جري الريح الغربية فعمر بهم زورق وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر قال القوم قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جيء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بجملتنا فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة فحلونا من وثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا وكانوا برابر، فقال لنا أحدهم: أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم؟ فقلنا لا، فقال: إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين، فقال زعيم القوم: وا أسفي فسمى المكان إلى اليوم آسفي وهو المرسى الذي في أقصى المغرب، وقد ذكرناه قبل هذا.

ومن مدينة لشبونة مع النهر إلى مدينة شنترين شرقاً ثمانون ميلاً والطريق بينهما لمن شاء في النهر أو في البر.

إنتهى.

أما الحميري صاحب كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار، فإنه سماها (اشبونة) بالألف بديلة من اللام، وهي في المصادر العربية تعرف باللفظين كليهما، قال:

اشبونة بالأندلس من كور باجة المختلطة بها، وهي مدينة على طريق العساكر فإنّ الطريق من باجه إلى الاشبونة يعترض مدينة الأشبونة، والأشبونة بغربي باجة، وهي مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه في سورها واسمها قودية، وسورها رائق البنيان بديع الشان، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام، و هو أكبر أبوابها، ولها باب غربي أيضاً يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقّه جدولا ماءٍ يصبّان في البحر.

ولها بـا ب قبلي يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مدِّه وترتفع في سوره ثلاث قيم، وبابٌ شرقيّ يُعرف بباب الحمة، والحمة على مقربة منه ومن البحر بما ئين: ماء حار وماء بارد، فإذا مدَّ البحر واراهما.

وبابٌ شرقي أيضاً يعرف بباب المقبرة، والمدينة في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر لها سور وقصبة منيعة، والأشبونة على نحر البحر المظلم، وعلى ضفة البحر من جنوبه قبالة مدينة الأشبونة (حصن المعدن)، ويسمى بذلك

لأن عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك، فإذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء، وهو من عجائب الأرض.



منظر لجانب من المنطقة التي تشرف عليها قلعة بالميلا

ومن مدينة الاشبونة كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه، ولهم باشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين، وذلك أن ثمانية رجال كلهم أبناء عم اجتمعوا فابتنوا مركباً وأدخلوا فيه من الماءِ والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية فجروا بها نحواً من أحد عشر يوماً، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح، كثير التروش، قليل الضوء، فأيقنوا

بالتلف فردوا قلعهم في اليد الأخرى و جروا في البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوماً، فخرجوا إلى جزيرة الغنم، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عدّ ولا تحصيل، وهي سارحة لا ناظر لها ولا راعي، فقصدوا الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين ماء جارية عليها شجرة تين بري، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرَّةُ لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها، فما كان إلاَّ غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها في دالر فرأوا بها رجالاً شقراً زعراً شعورهم سبطة وهم طوال القدود، لنسائهم جمال عجيب، فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم اللسان العربي، فسألهم عن حالهم وفيم جاءوا وأين بلادهم، فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيراً وأعلمهم أنه ترجمان.

فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك فسألهم عمّا سألهم عنه الترجمان، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس وأنهم افتحموا البحر ليروا ما فيه من العجائب وليقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان: أخبر القوم أن أبي أمر قوماً من عبيده يركبون هذا البحر، وأنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجدي.

ثم وعدهم خيراً وصروفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جري الريح الغربية فعمر بهم زورقاً وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر،

قال القوم: قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جاء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء و اصوات ناس فصحنا بجملتنا، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة، فحلّوا وثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا، وكانوا برابر، فقال لنا أحدهم: أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم؟ فقلنا: لا، فقال: مسيرة شهرين، فقال زعيم القوم: وا أسفي، فسمي المكان إلى اليوم اسفي، وهو المرسى الذي في أقصى المغرب.

وقال الحميري أيضاً:

أقيانس: هو اسم لبحر الظلمات ويقال له البحر الأخضر والمحيط الذي لا يدرك له غاية ولا يحاط بمقداره ولا فيه حيوان، وهو الذي يخرج منه البحر الرومي الذي هو بحرُ الشام ومصر والمغرب والأندلس، فإنه خليج يخرج من هذا البحر، وقد خاطر بنفسه خشخاش من الأندلس، وكان من فتيان قُرطُبة، في جماعة من أحداثها فركبوا مراكب استعدوها ودخلوا هذا البحر وغابوا فيه مدة ثم أتوا بغنائم واسعة وأخبار مشهورة.

وإنما يركب من هذا البحر ما يلي المغرب والشمال، وذلك من أقاصي بلاد السودان إلى برطانية وهي الجزيرة العظمى التي في أقصى الشمال، وفيه ست جزائر تقابل بلاد السودان تسمى الخالدات ثم لا يعرف أحد ما بعد ذلك.

إنتهى كلامه.

العودة إلى لشبونة:

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف، لذلك ودعنا بعض مرافقينا الذين انضموا إلينا من بالميلا وذهبوا معنا إلى القلعة وعلى رأسهم الشيخ رضوان، أما الدكتور طبّوب فإنه بقي يرافقنا لأنه سوف يرينا مسجداً جيد المبنى في لشبونة.

سلكنا جسراً طويلاً جداً وهو (جسر فاسكو دي جاما) و(فاسكو دي جاما) بحَّار برتغالي، بل هو قائد بحري مشهور هو الذي أوصل البرتغاليين إلى الهند عن طريق الدوران حول رأس الرجاء الصالح وهو جدير بأن يسموا هذا الجسر الطويل المميز باسمه.

ومن خلال من رأيناهم من الناس هنا أنه ليس على وجوههم إشراق،- أو قلَّ من يكونون ذوي أشراق في وجوههم.

ولم أرهم يبشون في وجه الغريب أو يبتسمون له، ولكن ذكر لنا الإخوة الذين عاشوا بينهم، ومنهم بعض العرب بأن القوم أي البرتغاليين حسنو المعاملة للأجانب وأنهم لا يعرفون منهم إساءة لأحد من المسلمين ولا تعصباً ضدهم.

وبينما كنا نسير راينا لافتة تشير إلى طريق (الجرف) والجرف منطقة واسعة اسمها هذا عربي كما هو ظاهر وتقع إلى الجنوب الشرقي من لشبونة، ولم تتسن لي زيارتها لضيق الوقت مع حرصي على ذلك.

ومر الطريق على بوابات الجباية الضريبية على السيارات التي تستعمله، ولم نقف عنده لأن سياراتنا التي معنا سيارة السفارة السعودية (دبلوماسية) لا ضرائب عليها.

أطول جسر في أوروبا:

ركبنا أطول جسر في أوروبا كما يقولون، وقد بنوه مرتفعاً على ضفتي الوادي المرتفعتين اللتين فيها (تاجو) كما يعرف في العربية ذكره أسلافنا العرب بهذا الاسم ويسميه البرتغاليون (تيجو) بالإمالة نحو الكسرة في الألف.

ذكروا أن الجسر يبلغ طوله ١٨ كيلومتراً ورغم ذلك هو جسر معلق.

أما الوادي الذي فيه نهر تيجو أو (تاجو) كما يعرف في كتبنا العربية القديمة فإنه واسع جداً في المنظر، ولذلك يسميه أسلافنا العرب (خور اشبونة) أو خور لشبونة، و(الخور) عندهم هو كالخليج عندنا الآن الذي هو لسان من البحر داخل في البر.



فوق أطول جسر في أوروبا فوق وادي نهر تاجو

والذي جعله كذلك هو أن مياه النهر تختلط بمياه البحر أثناء مد البحر، فتزيدها سعة وكثرة.

وقد بنته لهم شركة فرنسية، وينبغي أن يعد مع عجائب الدنيا السبع لطوله وارتفاعه عن مياه الخور أو النهر.

وأذكر أنني عندما زرت أقطاراً في جنوب روسيا مثل (إقليم استراخان) رأيت جسراً طويلاً قد بنوه على فرعين من فروع نهر الفولقا كل فرع منهما في مثل نهر النيل، وأرضاً يابسة بينهما وزعموا أن ذلك الجسر هو أطول جسر في أوروبا، مع أنهم ذكروا أن طوله هو أربعة آلاف وخمسمائة متر، أي لا يصل إلى ربع طول هذا الجسر، ويمكنك إذا كنت تريد المزيد من المعلومات عن منطقة استراخان في جنوب روسيا أن تقرأ كتاب: (إقليما سمارا واستراخان) للمؤلف، وهو مطبوع منذ سنوات.

مسجد عائشة الصديقة:



مسجد الصديقة في لشبونة

كان دليلنا لهذا المسجد الأخ الدكتور... طُيُّوب، وذلك أن هذا المسجد كان والده إبراهيم طَبُّوب هو الذي قام بجمع التبرعات من المحسنين لبنائه.

قالوا: بنى هذا المسجد عام ١٩٨٢م، وذكروا أن أرضه تبرعت بها ثلاث أسر من أسر المسلمين، وكان قبل ذلك محلاً تجارياً.

ومن أبرز الأسر التي تبرعت له أسرة إبراهيم حسن في البداية، وبعدها تبرع المسلمون من عامة الناس لبنائه.

وهو شبه كامل البنيان في مظهر المسجد الكامل من قبة وأقواس إسلامية المظهر، إلا أنه ليست له منارة ولا أدري الذي منعهم من بناء منارة له أهو الخوف من أن يستفز ذلك بعض جيران المسجد أم لسبب آخر لم يخبرونا به.

وتصلى فيه الجمعة وهو واحد من خمسة مساجد تقام فيها الجمعة، وإن كانت الجمعة الرئيسية تكون في المركز الإسلامي الكبير الذي سوف يأتي الكلام على صلاة الجمعة فيه قريباً، مع أن هذا المسجد متوسط السعة ذكروا أنه يضيق بالمصلين صلاة الجمعة.



في مكتبة مسجد الصديقة مع الدكتور طيوب واحد العاملين في المسجد

تجولنا فيه ومرافقه التي تتميز كلها بالنظافة التامة والعناية الفائقة وحتى فراشه وأثاثه في غاية النظافة.

وصعدنا مع درج إلى طابق علوي من المسجد هو في الأدق الأصح شرفة تطل على المسجد إلا أن الجدار الذي يفصل بينها وبين المسجد عالٍ جداً ومصمت بحيث لا يستطيع من يكون فيه أن يرى الإمام ولا من خلفه من المامومين.

رأينا في جانب هذه الشرفة مكاناً لفصل دراسي للأبناء، وبجانبه مصلى النساء منعزلاً عن غيره، والتي تكون فيه منهن لا تستطيع أن ترى الإمام ولا من خلفه، وإنما تتابع الصلاة من المكبر.

ونزلنا للطابق الأرضي، وفيه قاعة لا بأس بها، ذكروا أنهم يعدون فيها إفطاراً للصائمين في شهر رمضان، وفيه قاعة اجتماعات صغيرة، ومكتبة قليلة الكتب.

ويقع في حي يسمى (أودي فيلاش) وهو حيٌّ سكني، شوارعه ضيقة، إلا أنها نظيفة، و شارع المسجد ضيق ومع ذلك هو للمرور باتجاهين متقابلين.

والحقيقة أن هذا المسجد مكتمل حتى إنهم وضعوا الهلال شعار المسلمين على قبته المهيبة ولا ينقصه إلاّ المنارة.

وضيق الشوارع عام في كل أنحاء لشبونة عدا الحديثة منها، إلاّ أن وجه الإيجاب فيها أن السائقين يحترمون الممرات المخططة لعبور المشاة وهي التي يسميها الإنكليز (الزبرا) أخذاً من اسم حمار الوحش المخطط (زبرا).

فترى السائقين يقفون عندها لا يمضون بسيارتهم إلاّ بعد أن لا يكون هناك أشخاص يريدون المرور.

والجمهور أيضاً يتسم بالنظام فلا يمر إلا مع النقط المخصصة للمشاة، وقد رأيت من أمرهم في هذا الميدان ما أعجبني.

المركز الإسلامي العظيم:

في الساعة الواحدة والنصف كنا نصل إلى المركز الإسلامي العظيم (مركز لشبونة) بمنارته التي ترتفع من قاعدتها (٥٠) متراً وهي كالصومعة الأندلسية، إلا أنها تخالفها في هندستها التي فيها ملامح من مئذنة في سامرا بالعراق تسمى الملوية- من الإلتواء.

سلكنا إليه شارعاً يسمى (شارع المسجد) وهو شا رع مهم جرت تسميته بذلك عند زيارة الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض إلى البرتغال.

وجدنا الزحام بالغاً في كل مكان في المسجد حتى محلات الوضوء وحتى المطعم الذي قصدناه إذْ وجدنا رئيس المسلمين وهو أيضاً رئيس جمعية المركز الاستاذ عبدالمجيد وكيل وهو وزير سابق ينتظرنا ومعه السفير السعودي في لشبونة الاستاذ محمد بن حمود الرشيد وبعض موظفي السفارة فنزلنا إلى طابق أرضي أي تحت المسجد وهو واسع جداً كانت رابطة العالم الإسلامي قد قدمت المبالغ اللازمة لتبليطه وإعداده للاستعمال.

وقد عجبت من طوابير طويلة أمام الذي يغرف الطعام ويناوله للناس، ولكن بالنسبة إلينا نحن مدعوون من رئاسة المركز لذلك كان موظفون قد أعدوا لنا الغداء الذي كان من بين الطعام الذي يأكله الآخرون في المطعم إلا أنه كان منوعاً بالنسبة إلينا لأننا ضيوف ولسنا عملاء فيه.



طابور عند نافذة تسلم الطعام في مطعم المركز الإسلامي في لشبونة

ولما أبديت إعجابي بسعة هذه القاعة وكثرة الآكلين في المطعم ذكروا أنهم يطبخون للإفطار في رمضان طعاماً لسبعمائة شخص هم الذين يحضرون للمسجد لتناول طعام الإفطار في المتوسط.

ومما يذكر أن هذه القاعة السفلية الواسعة، بل العظيمة في سعتها وتنظيمها والعناية بها تحتها قاعة آخرى مثلها أسفل منها، ولكنها تحتاج إلى إصلاح وإعداد مثل هذه.

وكانوا يظنون أن هذه القاعة الموجودة تكفي حاجة الذين يحضرون إلى المركز لأداء الصلاة وتناول الطعام- شراء فيه- ولكن تبين لهم ولنا مما رأيناه اليوم أنها لا تكفي وأنهم بحاجة إلى إصلاح القاعة السفلى أيضاً، لكثرة الناس التي لم يكن يظن قبل عشر سنين أنهم سيكونون نصف ما هم عليه الآن.

وقد أحضروا المأدبة ثلاثة من أعضاء السفارة مع السفير كما حضر سفير فلسطين في لشبونة (عصام بسيسو) ونائب رئيس الجمعية الإسلامية الذي هو بطبيعة عمله نائب رئيس المركز واثنان آخران.

وقد حضر الطعام ذا طابع هندي، ولكنه مخفف فيه الدجاج ولحم البقر والسمك مع الأرز ونوع من الخبز يصنعونه يشبه الفطائر.



مأدبة الغداء في القاعة الواسعة أسفل المركز الإسلامي في لشبونة

الجمعة الحافلة:

وكدت أكتب العنوان: (الجمعة العظيمة) ولكنني خشيت أن تلتبس بالجمعة العظيمة عند طائفة من النصارى.

وكونها حافلة لأنها حافلة بالمصلين من جميع الأجناس، جاءوا إلى الصلاة في جامع المركز الإسلامي الكبير، و مع ذلك كان المصلى الرئيسي في الجامع قد امتلأ على سعته بالناس حتى لا يجد المرء فيه موضع قدم خالياً.

ولذلك ارتد الذين معنا إلى جزء خلفي من الجامع بينه وبين الرئيسي صحن وهو الفناء المكشوف الذي تحيط به أروقة.

وكنا رايناهم فرشوا القاعة التي فيها الطعام لأنهم يحتاجونها للصلاة أيضاً لامتلاء المصلى الرئيسي وفضلنا مع رئيس المركز والعاملين في الجمعية الإسلامية أن نصلي في هذا القسم الخلفي من المسجد على أن نصلي في القاعة السفلى مع أنها واسعة ذكروا أنهم عدوا الذين صلوا فيها في إحدى الجمع الماضية فبلغ عددهم ٥٢٠ مصلياً.

ولذلك قالوا: إن المسجد يمتلئ بطبقاته الثلاث بالمصلين.

إذْ يقع مصلى النساء في الطابق الثاني على هيئة شرفة واسعة مفصولة عن بقية الطابق الثاني المحيط بالمصلى الرئيسي.

وكنت رأيت عدد النساء كثيراً في المطعم، وذلك ظاهر من كون المسلم يأتي مع زوجته ومعه أطفاله أيضاً فيتغدون في مطعم المركز طعاماً حلالاً رخيصاً، ثم يصلي مع أهله فيه، و تقر عينه برؤية المئآت من الرجال

والنساء، والرجال أكثر من النساء بطبيعة الحال لأن بعضهم من العمال الذين قدموا للعمل دون أسرهم، بخلاف القدماء منهم الساكنين في لشبونة.

وقد تآخت الألوان في المسجد، كما تآخت القلوب على الحضور إلى الصلاة فيه، ولكن اللون الغالب عليها هو اللون العربي مع أن أهله ليسوا بأكثريتهم من العرب، فالعرب المغاربة بل وبعض المشارقة لهم حضور مميز ولكنه ليس الغالب، وإنما الغالب هو اللون الهندي المتطور الذي أصله من منطقة هندية شمالية، ووسطية، وهو ينسجم مع اللون العربي أو يكاد، وإن يكن اللون العربي أصفى وأجمل.

ولكن الإخوة المسلمين من الإفريقيين أو ذوي الأصول الإفريقية هم موجودون أيضاً بكثرة ظاهرة، بل يكادون يؤلفون ربع المصلين أو ثلثهم أو ما يقارب ذلك.

وهذا القسم الذي صلينا فيه هو مسقوف وهو وحده لو كان مسجداً جامعاً لكان لا بأس بسعته فكيف ومعه طبقات ثلاث ممتلئة.

كان الإخوة المسؤولون عن المركز حريصين على أن يجدوا لنا مكاناً نصلي فيه في المصلى الرئيس ولكنهم وجدوا المصلين فيه متزاحمين، بحيث لا يمكن أن نجد فيه مكاناً إلا إذا أخرجنا أحداً من المصلين المبكرين، ولن نفعل ذلك، ولن يفعلوه هم من أجلنا.

والسبب في كوننا لم نجد مكاناً هو كوننا تأخرنا من أجل الغداء قبل الصلاة كما يفعل سائرهم، وقد قدرت أنا والسفير السعودي عدد المصلين بأنه في حدود ١٣٠٠ إلى ١٤٠٠ مصلٍ، وهذا أمر لم أكن أتوقعه قبل أن أراه.

والذي أعجبني فيه مع كثرة المصلين هذا التآخي العجيب في الألوان والملابس رغم اختلافها الظاهرلي، ورغم تنافرها الظاهر.

وهذا من ا لحكم الظاهرة لمشروعية صلاة الجمعة التي هي الاجتماع الأسبوعي الحاشد الذي هو حلقة من سلسلة الاجتماعات التي وردت في الشرع أولها الصلاة اليومية خمس مرات في مسجد الحي، حيث يتمكن المصلي من الاجتماع بإخوانه المسلمين، إذا كان من المواظبين على الصلاة فإنهم سوف يفتقدونه إذا تخلف لعذر كالمرض أو السفر، فيشعر بأن هناك من يعتني به، ويسأل عنه إضافة إلى التعاون الذي يحصل بينه وبين إخوانه المصلين على أمور المسجد، وما يتعلق بمرافقه، وحتى النشاط الاجتماعي المتعلق بمساعدة من يحتاجون إلى مساعدة من المسلمين.

وبعد هذا الاجتماع بل الاجتماعات اليومية للصلاة في مسجد الحي يأتي الاجتماع الأسبوعي لصلاة الجمعة وهو أكبر وأوسع لأنه يكون في مسجد جامع يصلي فيه من يصلون عادة في مساجد عديدة.

وبعد ذلك اجتماع سنوي في السنة مرتين في يومي العيد، عيد الفطر وعيد الأضحى ويكون في مكان أوسع.

وآخر تلك الاجتماعات المهمة للمسلم هو الاجتماع الأكبر ويكون مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا وهو الحج إلى بيت الله الحرام.

والمراد بذلك أنه يفرض على المسلم القادر على الحج، وهو الحج مرة في العمر وإن زاد على ذلك فهو تطوع.

وفي هذا الاجتماع الكبير للحج يرى المسلم ويحس عملياً أنه جزء من العالم المسلم الواسع الذي يشمل المسلمين في أنحاء الأرض كلها، لأنه يرى نماذج منهم كلهم ممثلة في وفود الحجيج إلى بيت الله الحرام.

الخطبة الوجيزة:

كنت أفكر فيما تكون عليه خطبة الخطيب في هذا الجمع الحاشد من المسلمين في هذا المركز وفيهم من حضروا مبكرين إلى المسجد، وهم مختلفون في اللغات لا تجمع بينهم لغة واحدة، وقلت في نفسي: ماذا يفعل الخطيب في خطبته للمصلين وهم كذلك؟

وقد ابتدأ الخطيب الذي أعرفه من قبل بالحصافة والذوق لأنني قابلته في زيارتي السابقة، للبرتغال وصليت خلفه صلاة المغرب والعشاء فيه ولم نصادف يوم الجمعة، ابتدأ خطبته بالعربية وظننت أنه سوف يتبعها بخطبة أو موعظة بلغة أخرى ولكنه لم يفعل، وإنما أسرع يختم الخطبة الأولى، ويجلس الجلسة المشروعة بين الخطبتين نهض بعد ذلك وخطب خطبة أخرى موجزة أيضاً بالعربية وحدها، ثم أقام المؤذن لصلاته وصلينا صلاة خاشعة كان الإمام حسن القراءة، وكان الموقف يوحي بالخشوع والتأثر.

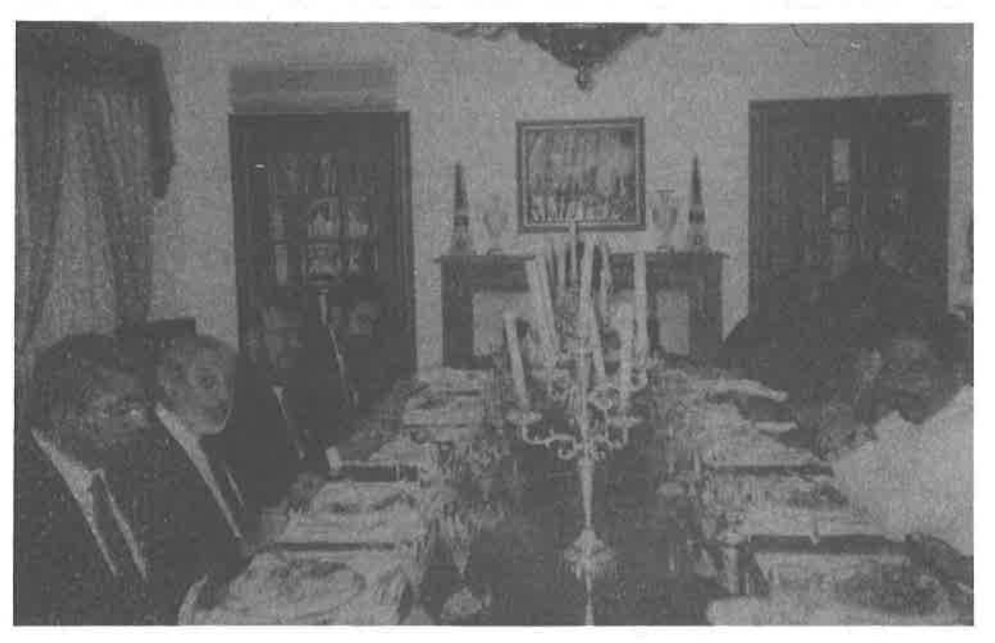
وقد حمدت له صنيعه في إيجازه الخطبتين، لأن الجمع كان كثيراً.

وأما اللغة فإن العربية هي لغة القرآن الكريم ولا توجد لغة مشتركة بين الجميع هنا حتى اللغة البرتغالية التي هي لغة البلاد أكثر المصلين لا يفهمونها، و إن كانوا يفهمون لغة التخاطب التي هي لغة الشارع فإنهم يعرفون منها الضروري للأمور اليومية.

ولذلك كانت العربية هي الأكثر فهماً بالنسبة إلى مجموعات المصلين، وقال لي سفيرنا الأستاذ (محمد بن حمود الرشيد) الذي كان صلى بجانبي: إن المركز كما ترى قد ضاق بالمصلين، مع أنهم يصلون في طبقاته الثلاث، لذلك اتفقنا مع المسئولين عنه على أن نجعل مبلغ المليون دولار التي أحضرها الأمير سلمان بن عبدالعزيز معه خاصة بتوسيع المركز وإذا لم يكف ذلك ينظر في الحصول على المزيد من التبرع من المملكة.

قال: ونحن الآن نجري الترتيبات اللازمة لذلك مع المهندسين ومع البلدية، ونتعاون فيه مع المسئولين عن المركز وعلى رأسهم رئيسه صاحب المعالي الأستاذ عبدالمجيد وكيل.

المباحثات الرسمية:



أثناء المباحثات مع المسئولين عن الجمعية الإسلامية في البرتغال

بعد الانتهاء من الصلاة حان موعد الاجتماع الرسمي بيننا وبين المسئولين عن المركز والجمعية الإسلامية حول تبعية المركز لرابطة العالم الإسلامي التي يراد منها أن الرابطة تتولى الإشراف عليه، وتخصيص ميزانية سنوية كافية لإدارته، بل ولتفعيل دوره.

وهذه المسألة هي إحدى المسائل الرئيسية التي قدمنا من أجلها إلى البرتغال وهي تخص بالدرجة الاولى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي أمثلها الآن- معي رفيقي الذي أخذته معي من الرابطة أيضاً الدكتور عبدالرحمن بن محمد العيفان، فإنني طلبت من السفير السعودي الأستاذ محمد بن حمود الرشيد أن يحضر معنا حتى نكون وفداً سعودياً واحداً في مقابل الإخوة المسلمين من أهل البرتغال الذين يصح القول بأنهم يمثلون المسلمين، وهم ايضاً يمثلون- بحق- المسئولين عن المركز الإسلامي هنا وعددهم أربعة إلى جانب رئيسهم.

وقد حضر السفير ومعه أحد موظفي السفارة والمترجم الذي كان السفير قد أمر بأن يلازمنا ويذهب معنا إلى أي مكان نريده من البرتغال، وهو الأخ محمد... المغربي الذي يحمل الجنسيتين المغربية والبرتغالية من أجل الترجمة من البرتغالية إلى العربية لآن المباحثات رسمية.

كان اجتماعنا في غرفة اجتماعات فيها مائدة مستطيلة جيدة تتسع لنحو عشرين شخصاً وتقع في ركن من الطابق الثاني من المركز وتعتبر جزءاً من ملحقات المركز وهي مؤثثة تأثيثاً كاملاً مثل باقي مرافق المركز وملحقاته.



أثناء جلسة المباحثات الرسمية مع المسئولين عن المركز الإسلامي في لشبونة

وهو بمثابة رئيس المسلمين لأنه شخصية مميزة ويعمل الآن مديراً لأحد المصارف (البنوك) وكان وزيراً سابقاً للاقتصاد أو للتجارة.

فرحب بي في البرتغال وأثنى عليَّ جزاه الله خيراً ثناء عاطراً، وقال: لقد عرفت الشيخ محمد منذ أن التقيت به في مكة المكرمة وفي لشبونة، وقد كان سبباً في جلب معونات قيمة للمركز الإسلامي هنا وها نحن نراه الآن قد قدم إلى البرتغال للنظر في شئون المسلمين، في الأمور المتعلقة بالمركز الإسلامي، وأماكن الصلاة الأخرى.

وقد تكلم بالبرتغالية وترجم كلامه إلى العربية الأخ المغربي (محمد شيشاح).

وعندما انتهت ترجمة كلامه رددت عليه بالعربية بالشكر على ترحيبه، وبحمد الله تعالى الذي قدر لنا هذا الاجتماع مرة أخرى في رحاب المركز الإسلامي في لشبونة، وقلت له: أذكر أننا عندما التقينا آخر مرة في مكتبي في مكة المكرمة وودعتني دعوت الله تعالى أن يقدر اجتماعنا مرة أخرى في البرتغال أو مكة المكرمة، وها نحن نجد أن دعوتنا استجيبت ولله الحمد.

ثم بينت لهم عمل رابطة العالم الإسلامي، وأنها تعمل على مستوى العالم الواسع، ولذلك لا تستطيع أن تلبي جميع طلبات المساعدة التي يرغب فيها الإخوة المسلمون مع أنها تود ذلك، ولكنها تعمل بقدر إمكاناتها التي لا يسع المنصف الذي يطلع عليها إلا أن يعجب باتساع الساحة التي تعمل فيها وبكثرة المؤسسات الإسلامية من المساجد والمراكز، بل والجمعيات الخيرية التي تخدم المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة.

وقلت لهم: إن رابطة العالم الإسلامي تدير إدارة كاملة، وتنفق نفقة كاملة على عدد من المراكز الإسلامية الكبيرة في العالم يزيد عددها على ثلاثين مركزاً ما بين صغير وكبير، من الكبيرة فيها المركز الإسلامي في روما والمركز الإسلامي في مدريد والمركز الإسلامي في بروكسل والمؤسسة الإسلامية في جنيف والمركز الإسلامي في برازيليا عاصمة البرازيل.

لذلك أحببت أن أعرض عليكم أيها الإخوة المسلمون في البرتغال وأنتم الذين قمتم بإيجاد هذا المركز، وسعيتم إلى ذلك سعياً حثيثاً وتعهدتموه حتى أصبح على ما هو عليه الآن من السعة والنظافة والترتيب، ولكنني أعرف كما يعرف كل من تابع هذه الأمور غيري بأن المركز قد أصبحت عليه

إلتزامات مالية ومعنوية نتيجة لزيادة المسلمين المصلين، بل وغير المصلين فيه من المسلمين في البرتغال، وما يحتاج إليه ذلك من زيادة موظفين، ومن زيادة في النفقات وحتى لمساعدة المساجد وأماكن الصلاة الأخرى سواء في العاصمة لشبونة أو خارجها من عناية ونفقة، لذلك أحببت أن أعرض عليكم عرضاً من باب التعاون على البر والتقوى، وأنا في ذلك لا أطلب أن تستجيبوا له أو أن توافقوا عليه وإنما أطرحه عليكم إذا ما رأيتم أنه مناسب فإن رابطة العالم الإسلامي على استعداد للقيام به، وأن لم توافقوا عليه فإن الأمر لله ثم لكم، ولأن مقصودنا هو التعاون على ما ترون أنه في المصلحة الإسلامية العامة في هذه البلاد.

وهذا العرض هو أن تقوم رابطة العالم الإسلامي بتخصيص ميزانية تشغيلية للمركز لا تقتصر على ما يقوم به حالياً، وإنما توسع عمله الإسلامي وتنميه، ولكن الرابطة بالنسبة للمراكز الأخرى التي تخصص لها ميزانية لابد من أن تشرف على إدارة المركز إشرافاً كاملاً، أو بمعنى آخر لابد من أن ترسم السياسة التي ينبغي أن يسير عليها وأن تنفذها هي، ولا يمنع ذلك من أن تعين واحداً أو أكثر من واحد من القائمين على المركز في إحدى الوظائف التي تعتمدها للمركز بمثابة مستشارين أو عاملين في المركز كالموظفين في الرابطة.

وقلت له: إن هناك مراكز طلب أهلها من رابطة العالم الإسلامي أن تتولى رابطة العالم الإسلامي إدارة مراكزهم، وأن تخصص لها ميزانية من عندها، وأن يتخلوا هم عن إدارتها في مقابل ذلك مثل المركز الإسلامي في مدينة (بازل) في سويسرا والمركز الإسلامي في جنوب هولندا، والمركز الإسلامي في مدينة كونكري عاصمة غينيا.



صورة تذكارية مع طائفة من كبار المسلمين في لشبونة عند باب المركز الإسلامي

وهناك مركز أو أكثر من مركز لم يرض أهلها بأن يتنازلوا عن إدارتها للرابطة، بل آثروا أن تبقى بأيديهم، ولو كان ذلك يكلفهم جهداً ومالاً لا يستطيعون توفيره بسهولة مثل المركز الإسلامي في مدينة (مالمو) بالسويد.

وإنني إذْ أذكر لكم ذلك كله أريد أن أشعركم بأنه أياً كان قراركم، فإن ذلك له سابقة، أو سوابق، وأنه لن يترك أي أثر غير مستحب في رابطة العالم الإسلامي التي يهمها أن يستمر عمل المراكز الإسلامية أياً كان القائمون عليها من الإخوة المسلمين، ما داموا متمسكين بدينهم، سائرين على المنهج الصحيح.

وقلت لهم في النهاية: إننا نحمل معنا نسخة من ميزانية المركز الإسلامي في البرازيل يمكن أن نتفق معكم على اعتمادها لمركزكم إذا رأيتم انضمامه للرابطة.

وقلت لهم: ثقوا بأن التعاون بينكم وبين رابطة العالم الإسلامي سيستمر بإذن الله، حتى ولو لم تقم الرابطة بإدارة مركزكم وستكون الرابطة في المستقبل كما عهدتموها في الماضي ساعية في مساعدتكم على إدارة المركز إذا قررتم إبقاءه بأيديكم، لأن الهدف هو الخير.

وقد تكلم رئيسهم فشكر الرابطة على عرضها ذلك كما تكلم أحد أعضاء المركز فشكر الرابطة أيضاً وقال: إننا لا نستغنى عن مساعدات الرابطة التي عودتنا عليها في الماضي.

وفي النهاية تكلم رئيسهم الأخ عبدالمجيد وكيل، فقال: إن عرضكم هذا عرض مهم تشكرون عليه، ولكننا لا نستطيع أن نجاوبكم عليه بالنفي أو الإثبات في الوقت الحاضر لأن لدينا إخواناً في مجلس المركز وفي الجمعية الإسلامية لابد من أن يطلعوا على ذلك ويبدوا رأيهم، واعتقد أنه لا يمكن لنا أن نعطي رأياً محدداً فيما ذكروه إلا بعد انتهاء شهر رمضان القادم الذي يحل بعد نحو شهر، فقلنا: لكم ما تريدون، ثم ودعناهم بعد أن انهينا الاجتماع.

مسجد دامايا:

كان الأخ السفير السعودي محمد بن حمود الرشيد قد قال لي: إن إخوة أفارقة قد استأجروا لهم مكاناً واتخذوه مسجداً يصلون فيه الصلوات الخمس، ولكنهم يحتاجون إلى المساعدة لأن حالتهم المالية متدنية.

فذهبنا إليه في الساعة الرابعة ويقع في حي من لشبونة اسمه (داماديا) وكانت السفارة قد أخبرت الأخ المسئول في المسجد عن موعد زيارتنا له، فوجدناه مع طائفة من الإخوة المسلمين أهل المسجد.

ووجدنا المسجد غرفة صغيرة مستأجرة من مبنى صغير ذي طابقين وهو وسط مبانٍ تعتبر نسخة طبق الأصل- كما يقال- عن المنازل العصرية في إفريقية، بل في القرى والأرياف فيها فهي صغيرة ولم يتبع في رسمها مخطط فني خاص كما ظهر لنا من حالة هذا الحي الذي إذا نظرت إليه تذكرت أحياء صغيرة في أطراف بعض المدن الإفريقية، فليس فيه أزقة مستقيمة، وإنما هي ممرات ضيقة تضيق في بعض الأحيان حتى تبلغ المتر وتتسع حتى تزيد عن أربعة أمتار في غير تناسب.

وعجبت من بلدية مدينة لشبونة، كيف تقرهم على هذا الأمر ولم تجبرهم على أن يخططوا منازلهم، والمراد من ذلك موقع المنازل من الزقاق أو من البيت الآخر الذي يليه، وإلا ليس المقصود من ذلك أن تكون بيوت هؤلاء العمال الفقراء مثل بيوت عامة الناس من ذوي الدخول الجيدة هنا.

جلسنا مع عدد من الإخوة المسلمين أهل المسجد في المصلى الذي كان في الأصل غرفتين صغيرتين جعلوهما غرفة واحدة مساحتها ١٦ متراً مربعاً، فأخبرونا أنهم بدؤا الصلاة في هذا المصلى في العام الماضي ١٤٢٢هـ وأنه مستأجر بأربعمائة دولار أمريكي يدفعونها كل شهر، إضافة إلى مصاريف الكهرباء ونحوها.



المصلى في دامايا في لشبونة في الطابق الثاني وثلاثة من المسلمين عند مدخله

والحي أو لنقل إنه الركن من حي (دامايا) هذا هو للأفارقة الذين فيهم نسبة من المسلمين أقلية بين الأفارقة من سكان الحي فإن عددهم لا بأس به، إذْ يصل حسبما أخبرونا به- إلى (١٥٠٠) مسلم وهذا عدد جيد يستحق أن يعتني بإيجاد مصلى لهم، وذكروا أنهم يصلون الصلوات الخمس فيه بخلاف الجمعة، فإنهم يصلونها في جامع المركز الكبير.

وأكثر المسلمين هنا من غينيا بيساو مثلهم في ذلك مثل الأفارقة هنا ما عدا أقلية من الأفارقة من سكان جزر الرأس الأخضر، وهي جزر صحراوية واقعة في المحيط الأطلسي تجاه مدينة داكار عاصمة السنغال التي تقع على شاطئ المحيط الأطلسي، وتقوم منها طائرة كل يوم إلى جزر الرأس الأخضر

ويقل المسلمون بين أهل جزر الرأس الأخضر بخلاف أهل (غينيا بيساو) فإن نسبة المسلمين فيهم تصل إلى ٤٥%.



مع المسلمين داخل المصلى الصغير في دامايا في لشبونة

مع العلم بأن (غينيا بيساو) وجزر الرأس الأخضر كلتاهما كانت مستعمرة برتغالية، وقد زرتهما وكتبت كتاباً بعنوان (بين غينيا بيساو وغينيا كونكري) ذكرت فيه غينيا بيساو وكتاباً آخر عنوانه (من أنقولا إلى جزر الرأس الأخضر)، يمكنك إذا أردت الإطلاع على إحداهما أن تقرأ ما ورد عنهما في ذينك الكتابين.

ويعمل الأفارقة من سكان الحي عمالاً في البناء والتشييد في لشبونة، ومن الطريف المحزن أننا قابلنا أحدهم في المسجد، فإذا هو يتكلم العربية بطلاقة بخلاف أكثرهم وقال لي: إنه متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة واسمه (إسماعيل صالح) وأنه الآن يعمل في البناء أيضاً مثل هؤلاء الذين لا يعرفون من أمور دينهم شيئاً كثيراً.

وهذا هو وجه الغرابة في وجوده بينهم، أما ناحية الحزن فيها فهو أنه كان ينبغي أن يجري له راتب يكفيه عن العمل في البناء على أن يتفرغ لإرشاد هؤلاء القوم وتبصيرهم بأمور دينهم.

ولو كتبوا لنا بذلك لكنا أجبناهم إليه، لذلك قلت لبعض القوم: إنكم تستطيعون أن تكتبوا لنا باسم هذه الجمعية الإسلامية كتاباً تطلبون فيه أن يفرغ الشيخ إسماعيل صالح لما ذكرته، وقد قلنا لهم ذلك لأن هذه هي العادة التي سارت عليها الرابطة في أن تربط الدعاة بالجمعيات الإسلامية التي يعملون عندها، لأننا لو أننا عيناه- مثلاً- عندهم من دون أن نرجع إليهم لكان من المتعذر علينا أن نعرف مدى قيامه بعمله، وربما لا يقوم بشيء منه أصلاً، أما إذا كان طلب تعيينه من الجمعية الإسلامية فإنها ترى أنها مسئولة عنه، لذلك تراقبه وتزن أعماله، وإذا قصر أو تراخى تكتب لنا عنه، كما حدث في مثل هذه الحالة.

وقد تأملت المسجد فوجدت فيه لوحات بعضها بالبرتغالية وبعضها بالعربية مثل أوقات الصلوات المكتوبة باللغتين.



سبورة عليها كتابات عربية في مصلى داماىا في لشبونة والمؤلف مع المسلمين

وطلبنا منهم أن يحضروا لنا أوراقاً رسمية من أوراق جمعيتهم لنرى أهي مسجلة أيضاً لأننا سوف نصرف للمسجد بعض المساعدة المالية الرمزية العاجلة، فاحضروها لنا وقد كتبوا على أعلاها باللغة العربية (جمعية المسلمين المقيمين في البرتغال) وهذه عبارة مطاطة، إذْ هناك طوائف من المسلمين في البرتغال ليسوا أفارقة وليسوا أعضاء في جمعيتهم.

ومن الأشياء الجيدة ما ذكروه بأنه يوجد عندهم فصل دراسي لتعليم أبنائهم الدين الإسلامي والحروف العربية مؤلف من ٢٥ طفلاً وطفلة، يعقد في المسجد في غير أوقات الصلاة.

وقد دفعنا لهم بعد ذلك مساعدة مالية عاجلة، ولكننا عزمنا على مساعدتاهم على شراء بيت يحولونه إلى مسجد في هذا الحي لأن بيوته صغيرة ورخيصة بالنسبة إلى البيوت في الأحياء الأخرى في لشبونة لأنهم لا يستطيعون ذلك بأنفسهم من أموالهم الخاصة لأنهم لا أموال لهم يمكنهم أن

يقدموها تبرعاً لشراء البيت، على أنه لابد من أن يسلم البيت للجمعية حتى تعتني به، وتنتفع منه، و تحفظه من الاعتداء عليه.

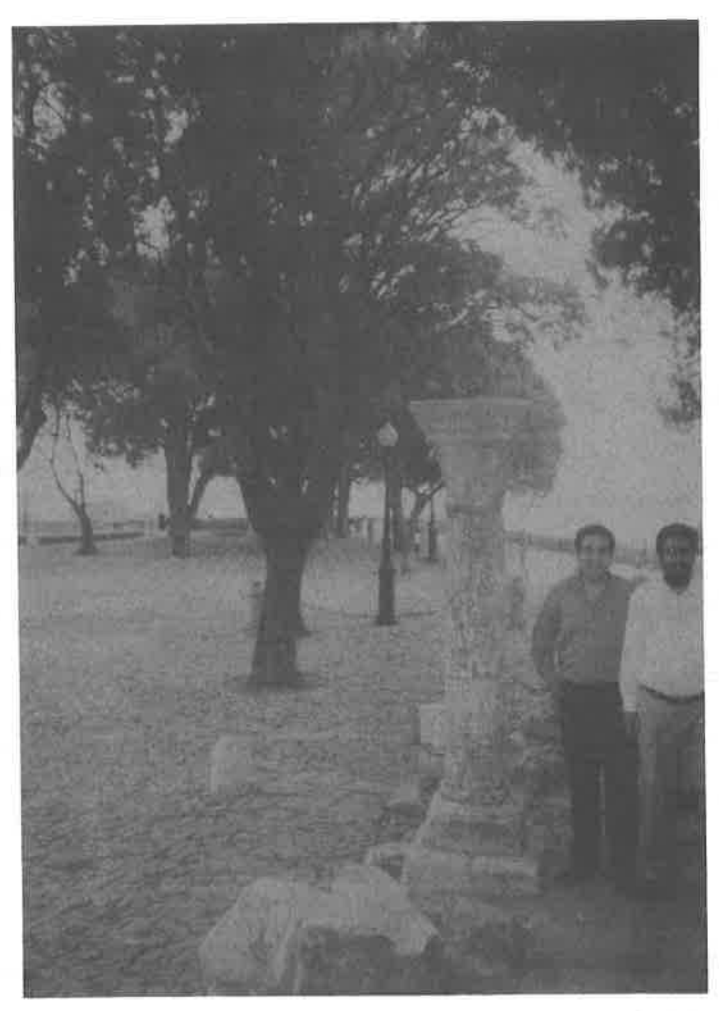
جولة على الآثار العربية في لشبونة:

سبق أن زرت لشبونة كما قدمت، وقد ذهبنا في تلك الزيارة مع جولة سياحية على حافلة كبيرة مليئة بالسياح، ومثل هذه الحافلة تحتاج إلى أن يتابع السائح كل ما يقوله الدليل السياحي فيها، وإلا فاته الكثير، وقد يفوته الكثير بالفعل رغم حرصه عليه، لأن اسئلة السياح تكون في بعض الأحيان كثيرة، وأحياناً يتكاثرون حول الدليل، بحيث إن السائح الذي لا يحب أن يضايق الناس، أو لم يتعود على ذلك يفوته حتى سؤال الدليل.



حي الموركسيين في لشبونة كما يرى من منطقة الآثار العربية العالية

أما اليوم فإننا سنذهب إلى بعض الأماكن الأثرية فيها التي خلفها المسلمون وبعضها غيرها البرتغاليون، لأنهم كانوا في قمة أو في حظيظ تعصبهم الديني القومي عندما استقلوا عن العرب، أو لنقل بعبارة أكثر صراحة: عندما طردوا العرب بعد أن تغلبوا عليهم.



الرفيقان عند الآثار العربية في المكان المرتفع

كان معنا الأخ المغربي (محمد شيشاح) بمثابة المرشد السياحي ولديه معرفة بكثير من الأشياء حول هذه الآثار، ولكنه ليس كالدليل السياحي المختص الذي قد يكون درس هذه الآثار دراسة رسمية تؤهله للحديث عنها إلى السياح وفق السياسة التي تتبعها مصلحة السياحة في هذه البلاد.

غادرنا فندقنا في الخامسة والربع قاصدين الإطلاع على أثر من آثار العرب في جبل يطل على مدينة (الفاما) التي هي لشبونة العربية القديمة، وكنت زرت (الفاما) هذه في مرة سالفة مع سياح في حافلة سياحية ودخلناها، و قالت الدليلة: إن (الفاما) اسم عربي معناه ينبوع الماء، لذلك قلت في نفسي ولصاحبي الذي كان معي في المرة السالفة، وهو الأستاذ رحمة الله بن عناية الله: إن اسمها يكون على هذا المعنى (فا الما) و(فا) في حالة النصب هي (فو) في حالة الرفع ومعناها: فم، والما: الماء.

وقد ذكرت زيارتي لها في المرة السالفة في كتاب (لمحات خاطفة عن بعض الدول الأوروبية) لذلك رأيتني أريد أن أرى (الفاما) العربية الأصل من فوق الجبل المطل عليها، وفي ذلك المكان من الجبل أثر عربي عظيم تغير حتى اسمه غيروه إلى اسم نصراني فجعلوه (كاستلوساو جورج) أي القديس جورج، وكاستلو بلغتهم: قلعة، وذلك بأنهم كانوا غيروا مسجداً فيه إلى كنيسة بهذا الاسم.

عندما وصلنا إلى هذا المبنى الأثري في رأس الجبل ا لمطل على المدينة العربية الأثرية (الفاما) التي هي أنفس أقسام لشبونة وأغلاها لكونها أثرية سياحية تجذب إليها أفواج السياح الذين ينفقون الكثير من المال في البلاد أوقفنا

السيارة قبل الوصول إليه بقليل، لأن المنطقة أثرية، وسرنا على أقدامنا صاعدين من أكتاف الجبل غير العالية من الجهة التي قدمنا منها إلى قمته، فكان أول ما رأيناه منه آثار مسجد صغير قد بقيت منه بعض اسطواناته أي أعمدته الرخامية، وبعض أبنيته الحجرية المهذبة، ولم يتعرضوا له بترميم أو إصلاح، وظني أن ذلك يرجع إلى كونهم لا يريدون أن يعيدوه مسجداً قد يطالب بعض الناس بالصلاة فيه، ولا أن يعيدوه كنيسة، لأن الكنائس الضخمة الأثرية التي هي أهم من هذه موجودة بكثرة في لشبونة.



المؤلف عند عمود يعتقد أنه كان عمود مسجد في منطقة الآثار العربية المعروفة الآن بساوجورج

وقد رأينا أفواج السياح بكثرة عند هذا الأثر العربي القديم، وصعدنا إليه عندما وصلنا مع درج حجري.

والأثر كله أشبه بالقلعة التي تطل من علو على القسم القديم من لشبونة المعروفة بالفاما الذي هو ميناء على المحيط، كما يطل هذا الأثر على المحيط إلى مسافات بعيدة.

وقد كتبوا عليه اسمه الذي أسموه به (كاستلو ساو جورج) التي هي سان جورج بمعنى القديس جورج، ولكنهم يعرفونه بالأثر العربي.

هكذا قال لنا الذين رأيناهم من أهل البلاد هنا، لأن بلدية المدينة قد جعلت عليه ما يشبه المنتزه المرتفع جداً، حتى يبدو بالنسبة إلى مدينة الفاما الواقعة على المحيط وغلى ما بجوارها من المحلات التي هي أحدث عهداً منها كأنما هو معلق في السماء.

وجعلوا فيه مقاعد حجرية حتى حيطانه الحجرية العريضة وضعوا فيها مقاعد منها بحيث يستطيع من يجلس عليها أن ينظر إلى مساحات بعيدة من المحيط قبلها تحته المدينة القديمة وأحياء أخرى مجاورة لها.

وكان الجو جميلاً والمكان يغري بالجلوس والتمتع بمثل هذه الجلسة التي رأينا طوائف من الأوروبيين جالسين فيها، غير أن و قتنا لا يسمح لنا بأن نضيع فيه شيئاً بالجلوس لذلك بادرنا إلى التقاط صور تذكارية، وقد وضع البرتغاليون في هذا المكان المرتفع مدافع أثرية كانت تستعمل للدفاع عن المدينة القديمة، وربما كانت معدة لذلك وإن لم تستعمل له بالفعل.



المؤلف على قرب أحد المقاعد في المكان المرتفع خلفه حي موراريا أي الموريسكيين

ولـم نجـد مـن يعطينـا فكـرة كاملـة عـن هـذا الأثـر، إلا أننـا اسـتنتجنا مـن ملاحظاتنا أن أصله وهو معظمه هو من بناء العرب لا شك عندنا في ذلك ومن ذلك خرائب المسجد وبعض الأسوار وبعضه مما بناه البرتغاليون بعد ذلك.

ورغم تسميته (سان جورج) مما قد يوحي بأن فيه كنيسة فإننا لم نـر أي أثر لكنيسة حية عامرة فيه ولا غيرها من المؤسسات الدينية النصرانية.

وأما الأسوار والأبنية الأخرى في هذا الأثر الذي هو قلعة في الأصل فإنهـا قويـة باقيـة رأيـت السـياح الأوروبيين يكثـرون مـن إلتقـاط الصـور لهـا كعادتهم في إلتقاط الصور للأماكن الأثرية ولهم فيها ليحتفظوا بها.

وفي المكان المخصص لاستراحة السياح أو المتنزهين رأيت أشجاراً قديمة حافظوا عليها فوضعت يدي على إحدى تلك الأشجار وطلبت من الأخ المغربي المرافق لنا أن يلتقط صورة معها قلت: من أجل أن تشهد هذه الشجرة بذلك كما ربما تشهد هذه الأبنية الأثرية لأقوامنا العرب بما فعلوه من أمجاد في هذه البلاد، وما قدموا لأهلها من علم وفن ومدنية، ثم لتشهد معهم بما فعلوه بأنفسهم فيها من اختلاف وشقاق كانت عاقبته الخسار والاخفاق في البقاء في هذا الفردوس الذي فقدوه.



المؤلف في مرتفع سان جورج بجانب مدفع قديم وشجرة معمرة

حي المورسكيين:

الموريسكيون أو الموريسك بلغة القوم هم العرب المسلمون الذين بقوا تحت الحكم الإسباني بعد سقوط الدولة، بل الدول الإسلامية في الأندلس ومنها هذه البلاد، ولكن التسمية اتسعت فصار لفظ الموريسكيين يكاد يطلق على العرب من سكان هذه البلاد.

عندما كنا نستجلي المنطقة الواقعة على شاطئ المحيط تحتنا وما حولها أشار مرافقنا المغربي إلى حي جميل المنازل ذي سقوف حمر من الفخار وقال: هذا الحي اسمه (موراريا) على اسم العرب المسلمين الذين كانوا في البرتغال بعد سقوط الحكم العربي فيها و(موراريا) نسبة إلى العرب الذين هم العرب المراكشيون، وهم الذين صاروا يسمون (الموريسكيون) إذْ نسبوا إلى المور.

وبيوت هذا الحي مزدحمة ضيقة الشوارع كما ترى من ظهر الجبل الذي فيه قلعة (ساو جورج) هذه.

وكذلك كنا ننظر إلى حي آخر قريب من (الفاما) العربية كان في الأصل مقبرة واسعة من مقابر المسلمين في لشبونة فدثرت المقبرة وحوله البرتغاليون بعد ذلك إلى حي سكني.

وقد قرأنا بعد ذلك كتابة رسمية على هذا الأثر العربي المهم تبين أصله العربي إذْ يقول: (قلعة ساو جورج) أو بلغتهم كاستلو ساو جورج لأن القلعة هي (كاستلو) بالبرتغالية، بناها أحد الحكام العرب في القرن الثامن- أي المسيحي.

حي القصبة:

انحدرنا قليلاً من هذه القلعة العربية إلى جهة (الفاما) فوصلنا إلى حي (القصبة) الذي يدل في المدن الأندلسية على الحي العربي، لأن لفظ قصبة هو للمنطقة القديمة من الحي وبخاصة إذا كانت في مكان مرتفع، ولا تزال المدن في المغرب والجزائر فيها أحياء تسمى بهذا الاسم مثل حي القصبة في مدينة طنجة المغربية، أول من سمعت منه ذلك العالم المغربي الشهير الشيخ (عبدالله كنون) وكان لي صديقاً دعاني مرة إلى بيته في طنجة وقال: هذا الحي الذي فيه بيتي يسمى القصبة، وهو مرتفع على ما حوله، وقد توفي رحمه الله بعد ذلك.

وفي مدينة الجزائر لا يزال حي (القصبة) وهو حي مرتفع في جبل يسمى بهذا الاسم.



حي في (الفاما) صورة (من الجبل)

وحي القصبة في لشبونة هذا مبلط الأرض بحجارة وليس بالأسمنت، ذلك لكون أرضه غير مستوية فيخشى أن تجرف الأمطار الزفت منها كما أن السيارات التي تسير عليها خلال المطر معرضة للانزلاق إذا كانت تسير على شوارع مزفتة فيها مرتفعات ومنخفضات بخلاف الحجارة.

ورايت أحد الأبنية العامة قد تأنقوا فيه حتى كسوه بالفسيفساءِ الأندلسية فالتقطت صورة بجانبه.

سوق المسروقات:

أسفل من حي القصبة سوق يسمونه بالبرتغالية (ميرا دي لادرا) ومعناها: سوق المسروقات والمراد بها الأشياء المسروقة يشيرون إلى أنها تباع في هذا السوق.



المؤلف في المنطقة المطلة على بلدة (الفاما) العربية في لشبونة

وقال لي الأخ محمد شيشاح: إن بعض الناس هنا يسمونه (السوق العربي) إشارة إلى أن أكثر الذين يبيعون فيه ويشترون هم من العرب من أهل شمال إفريقية وأنهم الذين لا يتورعون عن شراء المسروقات وبيعها، وهذا من باب التشنيع، سواء أكان صحيحاً أم ملفقاً.

أو لكون هذا السوق يقع في الحي العربي القديم: حي القصبة.

ولاحظت من أول ما لاحظت مما يميز البيوت القديمة في هذا الحي العربي الأصل أن النوافذ فيه لاصقة بمعنى أنها ليست لها شرفات، وإن كان هذا موجوداً في كثير من الأبنية القديمة، وطراز النوافذ والأقواس فوقها ينم عن أصلها العربي العريق.

ولاحظت في هذا الحي ذي الأصل العربي القديم ما لاحظته في أكثر أحياء لشبونة من كثرة السيارات وتلاصقها في مواقفها أمام البيوت تلاصقاً يكاد يكون تاماً، بحيث يصعب على الشخص أن يجد طريقاً لرجله بين السيارات الواقفة، أما وجود مكان خالٍ فيها يقف فيها سيارته فإنه من المستحيل مما يستنتج منه أن البيوت ضيقة أو صغيرة إلى جانب كثرة السيارات عند الناس.

وكل هذه السيارات تبقى في الليل في الشوارع ولا يخاف أهلها عليها من السرقة ربما كان ذلك من أجل انتباه الشرطة أو توثيق السيارة إذا وقفت، بحيث تحتاج سرقتها إلى عمل وإجراء من قبل السارق أو السارقين لا يتم بسرعة حتى ينتبه إليها الحراس والشرطة مع أن المرء لا يرى للشرطة هنا وجوداً ظاهراً إلا في الأسواق التجارية أو الأبنية المهمة كالأبنية الأثرية وأكثر السيارات هنا أوروبية ويابانية، وأما الأمريكية فإنها قليل.

كنيسة سانتا ماريا:



المدخل الرئيسي لكنيسة سانتا ماريا التي كانت مسجداً في لشبونة

ليس من عادتي أن أخصص عنواناً للكلام على كنيسة من الكنائس، بل إنني لا أذكر الكنائس مطلقاً إلا إذا كان لذكرها داع خاص، ومن ذلك هذه الكنيسة التي نذهب إليها الآن والمسماة: (سانتا ماريا) بمعنى القديسة مريم،

وذلك لكونها في الأصل كانت مسجداً جامعاً، أو كان بعضها كذلك غيروا معالمه الإسلامية كالمنبر والمحراب، وحتى بعض الأبواب وحولوها إلى كنيسة خلعوا عليها هذا الاسم النصراني (سانتا ماريا) مع أن من الجائز أن يكونوا هدموا المسجد وبنوا هذه الكنيسة على أرضه كما فعلوا مثل ذلك في مساجد كثيرة بعد أن استولوا عليها، وفعل الإسبان مثل ذلك.

تقول اللوحة عليها: إنها بنيت في القرن الثاني عشر، ولم يذكروا في هذه اللوحة القصيرة أي شيء يدل على أنها كانت مسجداً، إلا طراز البناء والأقواس الأندلسية فيه مع أن ذلك لا يدل بالضرورة على أن هذه الأقواس جزء من مسجد، لان أهل الأندلس من الإسبان والبرتغال ظلوا مدة طويلة بعد سقوط الحكم العربي يبنون أبنيتهم المهمة التي يعتنون بها على طراز البناء العربي الأندلسي، بل ظل المهندسون من المورسيكيين هم الذي يقومون لهم بالإشراف على هذه الأبنية، والعمال الفنيون منهم ينفذون العمل فيها لأنهم كانوا أرقى في الناحية الهندسية من البرتغاليين في ذلك الحين.

ليس في هذه الكنيسة أية كتابة تدل على أنها كانت مسجداً ولكن الجميع من المهتمين يعرفون أنها بنيت في مكان المسجد الجامع.

وجدناها واسعة المساحة وأكثر أرضها خالٍ حتى من كراسي المصلين، وإنما وضعوا مجموعات من الكراسي أظنها ثلاثاً في أماكن متفرقة منها وهي من الكراسي المتصلة والخشبية التي يجلس عليها المتعبدون في الكنائس عادة، ومع أن هذه الكراسي لا تشغل إلا أ قل من عُشر مساحة الكنيسة أي ١٠% فإن عدد المتعبدِين الموجودين عليها هو أقل من ذلك، حتى إن مجموعة منها لم أر

فيها إلاَّ ثلاثاً من العجائز ومجموعة أخرى عليها عدد قليل جداً من الأشخاص وأخرى من مجموعات الكراسي أو المقاعد خالية تماماً، مما يدل على قلة المتعبدين عندهم أو أننا جئنا إليهم في غير أوقات تعبدهم.

ولم نر في هذه الكنيسة أي شيء معجب، ولكن الشرطي الذي كان يقف خارج بابها الرئيسي من أجل تنظيم وقوف السيارات سمح لسيارتنا بأن تقف في موقف تمنع السيارات الأخرى من الوقوف فيها لأنها سيارة (دبلوماسية).

يوم السبت: ١٤٢٤/٧/٢٨هـ ٢٠٠٢/١٠/٥م:

إلى شمال البرتغال:

كان من المهم لنا زيارة مدينة بورتو التي هي المدينة الثانية في البرتغال بعد لشبونة من ناحية عدد السكان وتعتبر عاصمة الشمال البرتغالي، وذلك لزيارة مركز إسلامي نشط فيها، سمعنا أن أهله عازمون على العمل لتحويله أو تحويل غيره إلى مسجد، وقد كتبوا لجهات في بلادنا يطلبون المساعدة على ذلك، ومن بين الجهات التي تهتم بذلك في بلادنا رابطة العالم الإسلامي التي أعمل فيها بوظيفة (الأمين العام المساعد).

ولكن (بورتو) تبعد عن لشبونة ٣٦٧ كيلومتراً، ومن غير المريح فضلاً عن غير الملائم في الوقت السفر إليها بطريق البر في الحافلات والقطارات، لذلك حرصنا أمس على أن نجد حجزاً للسفر إليها بالطائرة، وطلبنا من السفارة أن تحاول ذلك، و لكنها أخبرتنا أنها حاولت في إيجاد مقعدين في إحدى الطائرتين اللتين ستطيران من لشبونة إليها غداً إحداهما في أول النهار والثانية في آخره فلم يجدوا.

فعرض علينا سفيرنا الحصيف الأستاذ محمد بن حمود الرشيد أن يعطينا سيارة السفارة لأن ذلك متعلق بالعمل الإسلامي وهو عمل حكومي، وقال: سوف أبعث معكم مرافقكم الأخ (محمد شيشاح) المغربي الذي يعرف الطريق وأنا أعرف أنك تحرص على معرفة ما تمر به منه.

فشكرنا له ذلك وعزمتنا على السفر في التاسعة من صباح هذا اليوم.

وهذه الرحلة سوف تتيح لي الوصول إلى شمال البرتغال إضافة إلى مشاهدة الطريق إليها في النهار.

إلى مدينة بورتو:

غادرنا فندقنا في لشبونة في التاسعة والربع، وسائق السيارة هو برتغالي ماهر رغم كونه لا يزال شاباً واسمه (نلسون ليزبوا) ولم يكن معي في السيارة إلا رفيقي في الرحلة الدكتور عبدالرحمن العيفان أحد العاملين في رابطة العالم الإسلامي والأخ المغربي (محمد شيشاح).

كانت السيارات في الشوارع قليلة رغم الوقت الذي ليس مبكراً وذلك لكون اليوم السبت أحد يومي العطلة الأسبوعية، ومعلوم أن طوائف من الأوروبيين ومن لف لفهم يسهرون ويطيلون السهر في مساء الجمعة الذي يسفر ليله عن يوم السبت، لذلك ينامون متأخرين.

ومع ذلك توجد سيارات في الشوارع إلا أنها غير كثيفة المقدار، وبخاصة بالنسبة إلى كثرتها في أيام العمل المعتادة.

مررنا بميزان للحرارة في أحد الميادين فإذا بها إحدى عشرة مئوية في هذا الصباح من شهر أكتوبر وهم يعتنون بإيجاد مثل هذه التي تبين د رجة الحرارة في بعض المحلات العامة، مثلما يعتنون بإيجاد الساعات فيها.

النوح على الأندلس:

كان الرفيقان في السيارة يتحدثان عما يشاهدانه في هذه المدينة أو ما يتعلق به من سيارات وشوارع، و أنا قد استعرض ذهني ذكريات الأندلس والمجد الضائع فيه، أو لنقل إذا أرادنا الدقة: إنه المجد المنقطع وإلا فإن ما تحقق من المجد فيها لم يضع، وما زالت شواهده باقية في الآثار العربية من الأبنية وغيرها، فضلاً عن الكتب التي سجلته.

ومع ذلك رأيتني أتمثل رغماً عني بأبيات أبي البقاء الرندي التي يقول في مطلعها:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

ويسأل المرء نفسه بإلحاح عن السبب في حصول ذلك للعرب المسلمين في الأندلس فتلح على ذهنه أبيات ابن رشيق التي منها:

مما يزهدني في أرض أندلس اسماء معتمد فيها ومعتضد
أسماء مملكة في غير موضعها كالهرِّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

فذلك الحاكم الصغير في الأندلس الذي سمى نفسه باسم الخليفة المعتمد على الله والآخر الذي سمى نفسه باسم المعتضد بالله هم الذين كانوا يتخاصمون ويتقاتلون فيما بينهم ثم لا يقتصر الأمر منهم على ذلك وإنما يستعين بعضهم على بعض بالكافر الإسباني الذي هو عدو الجميع حتى صار عهدهم يسمى (عهد الطوائف) أو عهد ملوك الطوائف، وذلك على حد قول الشاعر:

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

وما أشبه الليلة بالبارحة حيث يتنازع حكام بعض البلدان العربية ويستعين بعضهم بالكافر الأجنبي ضد أخيه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن طريقنا إلى (بورتو) يتجه إلى الشمال، لذا كنا متجهين نحو لافتة (نورتي) بمعنى شمال وقد أعاد ذلك إلى ذهني أوقاتاً في البرازيل كانت كلمة (نورتي) هذه بمعنى شمال ماثلة أمام عيني وسمعي، وذلك عندما زرت ولاية (ريوقراندي دي نورتي) ومعناها، ولاية النهر الكبير الشمالي أو نهر الشمال الكبير، والكبير هنا صفة للنهر، وليس للشمال.

وقد بسطت القول في زيارتي لتلك الولاية في كتاب: (الشمال الشرقي من البرازيل) وهو كتاب مطبوع.

وقد نفعني هنا ما كنت عرفته من اللغة البرتغالية في البرازيل في السفرة السابقة وعلى ذكر اللغة قال أهل البرتغال البارحة: إن أحدث مقال تحدث عن الكلمات الباقية من العربية في البرتغالية قال إنها ثلاثة آلاف ونيف.

وكنت تصورتها أكثر من ذلك لأنني أذكر مرة أنني تذاكرت مع أحد البرتغاليين في البرازيل هذا الأمر وكنا في مطعم فقلت: سوف أذكر لكم كلمات من العربية دخلت إلى البرتغالية مما هو موجود تحت عيوننا الآن أو قريباً منا في هذا المطعم مثل (الزيت)، (السكر)، (الأرز)، (الكوبو) و الكوبو بمعنى الكأس، ونحوه ورد في القرآن الكريم بلفظ الجمع (أكواب)، وكذلك الليمون.

ومن الطريف في هذا الأمر أن البرتغاليين وعنهم أخذ البرازيليون ينطقون بهذه الألفاظ بالتعريف، السكر والزيت والرز، ولا ينطقون بها منكرة مثل سكر وزيت وأرز.

قلت: فهذه من الأشياء السريعة هنا، ولا شك في أنه توجد كلمات أخرى عربية دخلت إلى البرتغالية يستطيع أن يذكرها المختصون باللغة البرتغالية من العرب وغيرهم من يحسنون اللغة الفصحى إحساناً كاملاً.

وقال الإخوة: إنه من حسن حظنا أن مصلحة الأرصاد الجوية ذكرت أن الجو اليوم ليس ماطراً وإنما يوجد الضباب، ولم نلاق ضباباً في هذا الصباح.

وكنا نلمس ونحن نسير في ضاحية مدينة (لشبونة) الشمالية العناية الكاملة بالطريق وإشارات المرور.

وبيوت الضواحي غير متراصة وفيها حدائق صغيرة والمنطقة جميلة معتنى بها.

وبذلك يحكم المرء الذي لا يعرف هذه البلاد حق المعرفة بأنها بلاد أوروبية حقاً، وإن لم تكن من البلدان الأوروبية الفاخرة.

وحتى الشعب الذي يسكن فيها شعب أوروبي غير أن جمال الملامح ليس موجوداً في وجوه أهله إلا في القليل فبعض الوجوه يحس المرء أنها لا تناسب فيها وعدم التناسب كأن تكون رقعة الوجه صغيرة و الأنف كبيراً أو بالعكس، وتكون الوجنات مرتفعة أو الأنف متطامناً في وجه أشقر اللون.

وحتى المقابلة العابرة معهم فإنها غير سارة إذْ الابتسام العفوي قليل عندهم ومجاملة العاملين لمن يأتي إليهم لا تتسم بالود الظاهر بالنسبة إلى أهل الأقطار الأوروبية الأخرى.

ثم خرجنا من حدود مدينة لشبونة فوقعنا بسرعة ببلدة معظمها على يسارنا اسمها (فيلا سير نكا دي شبرا) بيوتها تكاد تكون متلاصقة مع أنها تبدو كما لو كانت ريفية، ثم مررنا جهة أيمن الطريق ببلدة أخرى اسمها (الفيركا) ولم يتغير طراز البيوت عما هو عليه في ضواحي لشبونة، إذْ طلاؤها أبيض وسقوفها حمر.

وأشجار الريف الذي هو ضيق هنا ليست شاملة وإنما هي مجموعات صغيرة من أشجار الظل ومن أشجار الزيتون.

هذا والطريق سريع في كل جزء منه ثلاثة مسارات لسيارات ثلاث، ولكنه أضيق من طرقنا السريعة، كالطريق بين جدة ومكة أو بين الرياض والقصيم، وبين جزئيه حاجز اسمنتي فوقه قضيب حديد.

بلدة كاري قادو:

أطل الريف على استحياء ثم اختفى بعد أن وصلنا بلدة اسمها (كاري قادو) سكانها ٩ آلاف نسمة، ومن الطريف في أمرها ما ذكره لنا الأخ المرافق محمد المغربي بأن معنى اسمها (المضغوط عليه).

وقد كثرت عندها السيارات، ولاشك في أن هذه المنطقة المعمورة تنطلق بعض السيارات منها إلى لشبونة أو من لشبونة إليها.

وبدأنا نرى قطعاً متمايزة من أشجار الغابات، ونذكر بهذه المناسبة أن البرتغال تصدر الأخشاب، كما تصدر أيضاً الفلين الذي هو الخشب اللين بكثافة، وكل هذه الأشجار لا تسقى إلا من ضرع السماء أي من ماء المطر.

هذا ونحن نرى المحيط الأطلسي على جهتنا اليسرى يبعد في أحيان ويقترب في أحيان أخرى حسب موقع الطريق.

وقد صار منظر الطريق ريفياً غير خالص إلا أنه أخضر ندي جميل المنظر، مما يجعل المسلم الذي قرأ ما كتبه علماء المسلمين عن الأندلس يتمثل ذلك الآن، مع الفوارق في استعمال الآلات والأدوات وفي الطرق التي تسرع فيها السيارات بديلة عن العربات التي تجرها الخيول والبغال التي كان يركبها الناس في القديم.

وقد وصلنا إلى مقهى ومطعم في الطريق رأيت حوله سيارات كثيرة واقفة للذين فيه فعجبت من كثرتها، وقال لنا الأخ محمد المغربي: إن الناس هنا يحبون التمشية في الريف فيخرجون من المدينة إلى مثل هذا المكان ويقضون فيه وقتاً للراحة أو للطعام والشراب، كما أن بعضهم جاء من أماكن ريفية قديمة.

لم نجلس في هذا المقهى الذي كتبوا عنه أنه منطقة استراحة كما يفعل الأمريكيون وإنما واصلنا السير مع الطريق السريع الجيد الذي صار ضيقاً ذا مسارين لسيارتين للذاهب ومثل ذلك للآيب.

وبعد أن أشارت لافتات الطريق إلى أننا قطعنا ٩٠ كيلومتراً مبعدين عن لشبونة بدأ الريف يتسع وبدأت تجمعات المنازل على الطريق أو بقربه تقل.

مدينة شنترين:

لا تزال ترن في سمع الرجل مثلي الذي قرأ الكثير عن الأندلس العربية أو ترن في ذهنه أسماء بعض المدن الأندلسية، وإن كانت قد تغيرت أسماء بعضها عما كانت عليه إبان العهد الإسلامي، ومن ذلك أننا مررنا

بلافتة لمدينة اسمها (سنتريم) فقلت للمرافقين: إن هذه المدينة هي (شنترين) العربية، لأن لفظ (سنتريم) قريب من شنترين وربما يكون اللفظ العربي القديم هو الذي غير حروفاً من اسمها، وربما كان من البرتغاليين المحدثين.



صورة من قلب شنترين

وطلبت منهم أن ندخل إلى هذه المدينة لأنها تكررت على ذهني كثيراً، فذكروا أننا قد تجازنا المخرج إليها، ولكن السائق البرتغالي خرج إلى طريق آخر ثم ما زال يداور ا لطرق ويحاورها بسيارته يرتفع مع جسر ويهبط مع آخر حتى وصلنا هدفنا الذي رايت أن ذلك الجهد من السيارة ليس كثيراً على مدينة (شنترين) التاريخية القديمة، ولاحظنا أن الطريق الفرعية أيضاً جيدة ومعتنى بها

وفيها الجسور وتزينها اللافتات التي تشير إلى القرى التي تمر بها أو تذهب إليها، ولكن السيارات في هذه الطرق الفرعية ليست كثيرة الآن.

عندما أقبلنا على شنترين التي اسمها الآن سنتريم بالسين بديلة من الشين المعجمة، والميم في آخر اسمها بديلة عن النون القديمة، ولن أسميها هنا إلا بالاسم العربي القديم (شنترين) فذلك أقل مالها علينا من حق، وإن كان ذلك لا يغني عنا نحن الذين فقدناها شيئاً، فكانت ضاحية لها حديقة فيها جسر صورته مع أنه لا يستحق ذلك، لأنه حديث لا طعم له، وإن كانت فائدته لأهله والمارة بها كبيرة، وفي ضاحيتها هذه الأبنية متعددة الطبقات معتادة (عمارات) ولكن إلى الشمال منها غابات محدودة الرقعة لكنها كثيفة الأشجار، ويتميز الريف حولها بأنه أكثر خصوبة من الذي شاهدناه من الريف منذ مغادرتنا لشبونة.

ومما تتميز به أنها تحيط بها غابات من أشجار الزيتون.

وأزقتها القديمة ضيقة بعضها لا يكاد يتسع لسيارة واحدة، وبيوتها القديمة تبدو كما لو كانت من الطين ولكن تبين أن ذلك من حجارة رملية أو كالحجارة الرملية مطلية بطلاء أبيض.

أوقفنا سيارتنا في متسع من المدينة القديمة كتب عليه أنه ميدان وهو لا يستحق ذلك لضيقه ثم ذهبنا في جولة على أقدامنا في هذا الجزء القديم من المدينة الذي هو في الحقيقة أثمن ما فيها من الناحية التاريخية، وبالتالي الناحية السياحية ولاحظنا أن الأزقة فيها إلى جانب ضيقها فإنها متعرجة لا

تستقيم على حالة واحدة وبعضها في بعضه سعة وبعضه ضيق على ما كانت عليه الأزقة في الأزمنة القديمة.



جسر عند مدخل مدينة شنترين

برج المتحف:

استرعى انتباهنا ونحن نجول في القسم القديم من المدينة مبنى ذو برج أندلسي عربي ظاهر ذلك عليه فظنناه أول الأمر كنيسة من الكنائس التي كان أصلها مسجداً أو أنه مبني على أرض مسجد قديم، لأن هذا البرج يشبه الصومعة التي هي المأذنة الأندلسية القديمة، وهو عالٍ يصل ارتفاعه إلى نحو ٣٠ متراً، ومع ذلك رأينا أصل هذا البناء مما ذهب طلاؤه كأنه من الطين تبين أنه من الحجارة والطين.



المؤلف عند بيت أثري قديم في شنترين مبني بالحجارة والطين

سألنا عنه اثنين من المارة من أهل المدينـة فذكروا أنـه مبنـى المتحـف الوطني في المدينة، فتبين لنا صدق ما ظنناه من كون مبناه كـان مبنـى عربيـاً قديماً، وذلك أن مثلـه هو الـذي يجعل فـي العـادة متحفـاً أو نحـوه، حيث يكـون قديماً ليتناسب ذلك مع محتوياته.

لم يكن لدينا من الوقت ما يسمح لنا بالدخول إلى هذا المتحف، ومع ذلك سألنا عنه فقيل: إنه مغلق الآن وتقابل هذا المبنى كنيسة مبنية على الطراز العربي الأندلسي الخالص.

بوابة الشمس:

وقرأنا لافتة تذكر أن المدينة القديمة هذه كانت تسمى بوابة الشمس، ونص ذلك بالبرتغالية (بويرتا دي سول) فبويرتا: بوابة، و دي أداة تقع بين المضاف والمضاف إليه، و(سول): الشمس، ولا أدري لم سيمت بذلك.

ومن الأشياء البارزة في المنازل القديمة هذه أن نوافذها لاصقة أي ليست ذات شرفات بارزة.

وادي شنترين:

يسمى أهل الأندلس النهر بالوادي، ربما كان ذلك من باب تسمية الوادي في العربية القديمة الذي يسيل بماء المطر ويقولون: إن شنترين لها وادٍ، وقد تجولنا بالسيارة حتى نظرنا إلى واديها الذي هو نهر (تاجو) الذي يذهب إلى لشبونة العاصمة وتختلط مياهه بمياه المحيط عندها كما تقدم فهو هنا قليل المياه بالنسبة إلى كثرة مياهه عند لشبونة إلا أن مياهه هنا عذبة خالصة العذوبة.

وقد رأينا المدينة كما ذكرها القدماء تقع على مرتفع يشرف على هذا النهر الذي رأينا مجراه واسعاً، ولكنه ليس مفعماً بالمياه، والتقطت صورة له من جانب المكان المرتفع من المدينة القديمة.



نهر تاجو عند شنترين

ورأيت أيضاً مما بقي من السمات العربية فيها شرفات عربية خالصة، ولا أدري أكانت كذلك منذ القديم أم أنها مجددة طبقاً لما كانت عليه في القديم، ولكن الذي يظهر عليها هو أنها قديمة.

وفقنا على بيت أثري عربي الملامح ولكنه غير مسكون لأن بلدية المدينة طبقاً للافتة موضوعة عليه قد اعتبرته أثراً تاريخياً لا يجوز استعماله، بل ولا وضع اليد عليه إلا بإذن من البلدية، وهي لا تأذن- بطبيعة الحال- إلا إذا استعمل استعمال الأماكن الأثرية وهذا لا يتسنى لغير البلدية.

وهو مبنى من الآجر و الطين، ظاهر ذلك عليه، لأن بعض طلاءه قد زال.

أمـا السـكان فـإن المـرء لا يلاحـظ فرقـاً مـا بيـنهم وبـين غيـرهم مـن البرتغاليين إلا ما خيل إليَّ أنه سمرة زائدة في ألوانهم ولا أدري أذلك صحيح، أم أنه من وحي الخيال التاريخي العربي لهذه المدينة، وكذلك رأيت في وجوه أهلها تناسباً لم أره في وجوه كثير من البرتغاليين.



زقاق قديم في شنترين القديمة

وعندما كنا في المكان المرتفع نستجلي مواقع بعيدة من المدينة وضواحيها التي كان بعضها مغطى بأشجار الزيتون ينساب في الأسفل وادي شنترين أو نهرها القديم كان الرفاق يقولون لي وقد فرغت من التقاط الصورة لهذا النهر العريق، وللمدينة العربية السليبة: ألا تريد أن تمشي من هنا؟ فأقول لهم: إنني أستنطق هذا النهر الذي لا يزال كما تراه العرب فتياً لم يصبه المشيب، وأسأل هذه التلال والجبال وأجداد هذه الأشجار الزيتونية العريقة في المدينة عن أهلها العرب كيف كانوا عندما كانوا يحكمونها؟ وكيف ضيعوها؟ ولسنا نقول كما يقول الذين يفرون من المسئولية عندما اغتصبها منهم البرتغاليون، فالمفروض فيهم والمطلوب منهم أن لا يسلموا لإرادة البرتغاليين ولا غيرهم، وأن يبقوا فيها كما دخلوها أعزة.

وكذلك ينبغي لهم أن يفعلوا وقد يقول قائل: ولكن تلك أمنية تحول عندها وقائع أمور حصلت منها أن أعداء العرب والمسلمين في الأندلس اتحدوا واستعدوا لقتال العرب وطردهم منها، والعرب لم يفعلوا ذلك، والجواب أو التعليق على ذلك هو ما قلناه وهو كيف حدث ذلك؟

بل لمَ حدث ذلك؟

ولكن أين المساجد والمدارس؟

وإذا كان التاريخ قد قلب ظهر المجن للعرب، بأن قلبوا هم له ظهر المجن (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فإنني أسأل: أين التذكارات العظيمة من المؤسسات الثقافية ودور العبادة كالمساجد والمدارس والمستشفيات التي كانت تسمى (المارستانات) واحدها مارستان لماذا لا

تجتمع العرب الآن والمراد بذلك الحكومات العربية فتطلب من حكومة البرتغال أن تأذن لها بتجديد مدرسة أو مدرستين من المدارس أو بإعادة بناء مسجد أو مسجدين من المساجد التي كانت معروفة، وذلك في كل مدينة من مدن البرتغال ربطاً للماضي بالحاضر، ووصلاً للجديد بالقديم.

ولا شك في أن حكومة البرتغال لا تسارع إلى رفض ذلك لأنه لن يترتب عليه خسارة لها معنوية ولا مادية، بل إنه سيكون وسيلة من وسائل تقوية العلاقات الثقافية والتجارية بينها وبين البلدان العربية، وذلك أمر تحرص عليه مثلما تحرص عليه الشعوب المختلفة في هذا العصر، لاسيما أن الفورة الدينية النصرانية التي كانوا مروا بها واندفعوا من أجلها في محو كل ما يذكرهم بالعرب والمسلمين قد ولت، ربما إلى غير رجعة،حتى أصبح كثير منهم يشكون في صحة دينهم الذي كانوا من أعظم المتعصبين له.

وبعد: فإننا لا نستطيع أن نحكم على فعلهم غير هذا الحكم النظري المفترض إلا إذا تقدم العرب بما ذكرناه، وقد تقدم بعضهم عن طريق بعض المسلمين بطلب بناء مساجد ومراكز إسلامية طبقاً لما يبيحه القانون في البرتغال فإستجاب البرتغاليون إلى ذلك مشكورين، فهل يفعلها العرب؟

قهوة لم يعرفها أسلافنا:

دخلنا قهوة صغيرة ضيقة الرقعة لذلك كانت مليئة بالناس في هذا اليوم السبت مع أن الذي يفرغ من شرب قهوته أو شرابه يغادرها لأنها ليست مجلساً، فشربنا فيها قهوة مما يسميه الايطاليون (كابتشينو) بمعنى المختلط اللون.

وكنا بحاجة إلى هذه القهوة بعد الجولة الحقيقية في البلدة.

كان رواد المقهاة على غاية من الأدب مع أنفسهم ومع الآخرين، ولم أر أحداً منهم يسترعي نظرنا انتباهه.

وذكرنا ونحن لا نزال نتحدث بهدوء لأن المقهاة صغيرة هذه القهوة اللذيذة فقال أحد المرافقين: هل عرف عرب الأندلس أهل هذه المدينة (القهوة) هذه؟

فقلت: لا، إنما قهوة اتباع أبي نواس الذي كان له أتباع بطبيعة الحال في كثير من البلدان هي (الصهباء) وهي الخمر أم الخبائث، ولكن معاقرتها يسمونها بغير اسمها، وقانا الله شرها وشرائها.

قالوا في شنترين:

قال الشريف الأدريسي:

ومدينة شنترين على جبل عالٍ كثير العلو جداً ، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة، ولا سور لها وبأسفلها ربض على طول النهر وشرب أهلها من مياه عيون، ومن ماء النهر أيضاً، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل، ومن مدينة شنترين إلى مدينة بطليوس أربع مراحل، وعلى يمين طريقها مدينة يلبش وهي في سفح جبل ولها سور منيع ورقعة فرجة، وبها عمارة وأسواق وديار كثيرة ولنسائها جمال فائق، ومنها إلى بطليوس اثنا عشر ميلاً، ومن ماردة إلى حصن كركوي ثلاث مراحل، ومن كركوي إلى مدينة قلعة رباح على ضفة نهر يانة ، وهذا النهر يأتي من مروج فوقها فيمر بقرية يانة إلى قلعة رباح ثم يصير منها إلى حصن ارندة ومنه إلى ماردة ثم يمر ببطليوس فيصير منها إلى مقربة من شريشة ثم يصير إلى

حصن ما رتلة فيصب في البحر المظلم ومن قلعة رباح إلى قلعة ارلية يومان وهو حصن منيع ومنه إلى طليطلة مرحلة ومن قلعة رباح في جهة الشمال إلى حصن البلاط مرحلتان، ومن حصن البلاط إلى مدينة طلبيرة يومان، وكذلك من مدينة قنطرة السيف إلى المخاضة أربعة أيام، ومن المخاضة إلى طلبيرة يومان، وكذلك من مدية ماردة إلى حصن مدلين مرحلتان خفيفتان، وهو حصن عامر آهل، وفيه خيول ورجال لهم سرايا وطرقات في بلاد الروم، ومن حصن مدلين إلى ترجالة مرحلتان خفيفتان.

إنتهى.

وقال صاحب الروض المعطار:

شَنْترين: بالأندلس مدينة معدودة في كور باجة، وهي مدينة على جبل عالٍ كثير العلو جداً، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها، وبأسفلها رَبَض على طول النهر، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه ومباقل، وبينها وبين بطليوس أربع مراحل.

وهي من أكرم الأرضين، ونهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر فيزدرع أهلها على ثراه وعند انقطاع الزريعة في البلاد وذهاب أوانها فلا يقصر عن سيماه الطيّب ولا يتأخر إناه وإدراكه.

ومن أقاليمها صقلب: وهي أطيب بقاع الأرض يرفع في أرضه عند توسط الرياع للحبة مائه، وعند كماله للحبة مائتان.

ولشنترين جزائر في البحر مسكونة، وكانت جباية شنترين الفين وتسعمائة دينار، وأحوازها متصلة بأحواز باجة.

وكان يوسف بن عبدالمؤمن ملك المغرب اجتاز عليها في حركته الأندلسيّة بعسكره وهو أربعون ألفاً من أنجاد العرب الفرسان، ومن الموحدين والجنود والمطوعة وفرسان الأندلس واجنادها ما ينيف على مائة ألف فارس، وبرز أسطوله على الأشبونة وحاصرها عشرين يوماً ونزل على أعظم قواعد ابن الرنق عدوّ المغرب، وكان مؤذياً للمسلمين (من قاعدته)، وهي شنترين هذه، فبرز عليها في أمم لا تحصى، وهناك عرض له المرض الذي توفي فيه، أقام يرحل به على مطية مضطجعاً على فراشه وضعفه يتزايد إلى أن تفقد في بعض أميال فوحد ميتاً، وذلك في سنة ثمانين وخمسمائة، فتقدم للأمر ولده يعقوب المنصور، فقفل بالناس إلى إشبيلية، فبويع بها ورجع إلى مراكش[1].

إنتهى.

وكانت مغادرتنا شنترين في الثانية عشرة إلا الربع، وجد بنا السير في الطريق الجيد السريع الذي كثرت فيه السيارات:

فاطمة البرتغال:

مررنا بصف من السيارات طويل واقف، بل حائر، ولم نفهم سبب ذلك حتى أوضحه لنا الأخ المرافق محمد شيشاح بقوله: إنهم يريدون العبور إلى فاطمة، ولكن كثرة السيارات منعتهم من ذلك فاصطفوا منتظمين على كتف الطريق في صف طويل جداً.

---

(١) الروض المعطار، ص٣٤٦.

وذلك أنهم كانوا ذاهبين إلى كنيسة فاطمة، وبعضهم ذاهب إلى مقامها للعبادة فيه لأن اليوم هو يوم السبت فيه صلاة عندهم وهم من النصارى المتمسكين بنصرانيتهم.

ولا شك في أن القارئ الكريم الذي لم يكن قرأ شيئاً عن (فاطمة) البرتغالية لا يتصور ذلك، بل لا يتصور أن تكون امرأة اسمها (فاطمة) إلاَّ مسلمة، ولكن الأمر ليس كذلك ففاطمة هذه اسم امرأة قيل إن مريم العذراء تجلت أي ظهرت في هذا المكان الذي نحن مقبلون عليه لثلاثة من القرويين أحدهم امرأة والآخران طفلان، ومن ثم قدسوا هذا المكان وبنوا عليه كنيسة وأصبح مزاراً للمسيحيين المتمسكين، وسوف يأتي بقية الكلام عليه عندما نزوره في العودة من بورتو إلى لشبونة بإذن الله.

ولكن الشيء الذي عجبت له هذه الكثافة المرورية بحيث أن السيارات كان راكدة لمسافة طويلة لا يكاد يدركها البصر، لأن مكان وقوفها في المكان المقدس عندهم قد امتلأ بالسيارات وبعضهم جاء مبكراً حتى يضمن لسيارته موقفاً في هذا المكان الذي يقع في وسط البرتغال، وليس في منطقة مزدحمة كمنطقة العاصمة.

أما اسم فاطمة الإسلامي الذي صار نصارى البرتغال وغيرهم من أهل غرب أوروبا يسمون به بناتهم وأهل البرتغال أكثر فإن ذلك تعدى البرتغال إلى البرازيل.

وأذكر انني مرة كنت جالساً في مقهاة من مقاهي الشاطئ، وهو شاطئ كوبا كابانا وإن كان الأصح أن يسمى مشرباً، وكان معي صديقي الشيخ عبدالعزيز المسند فجلس على المائدة التي بجانبنا فتاتان إحداهما بارعة الجمال، وقد سمعنا صاحبتها تناديها باسم (فاطمة) فظنناها عربية مسلمة، وقد نفت ذلك وأخبرتنا أنها وصاحبتها من أهل مدينة (سان باولو) الضخمة جاءتا إلى (ريو دي جانيرو) لقضاء إجازة قصيرة.

وقد أوحى إليَّ ذلك أن أذكر اسم (فاطمة) في المقامة البرازيلية من كتاب (المقامات البلدانية) إمعاناً في الخيال، لأن المقامات خيالية كما هو معروف، وذكرت ذلك في المعلقة البرازيلية، فقلت على لسان بطل المقامات (أبي زيد الخيالي) معارضاً لمعلقة امرئ القيس:

أفاطم، يا أخت البرازيل ما الذي ... حدا بك للتلويح بالجهل لي!
وكنت امرءاً أنهى الغواة عن الهوى ... واعلن ذاك النهي في كل محفل
فاسمك لفظاً للعروبة ينتمي ... وأصلك للأفرنج بالفعل ينجلي
أفاطم، ما ديني بدينك فاطلبي ... لحبك غيري، واتركيني بمعزل
وما نظرت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في قلبي تريدين مقتلي
فوجهك وضّاح، وثغرك باسم ... وجيدك يحكي جيد أدماءَ مُغْزِلِ

هذا ومازال الطريق يمعن في هذه الأرض البرتغالية الخصبة تتناوب الريف قرى جميلة على هيئة مجموعات من المنازل بيض الطلاء، وحمر السقوف.



الطريق بين شنترين وبورتو

ومررنـا بعدد من القرى لم نـذكر اسماءها لكثرتهـا وصـغرها، ومـا زال الطريق سريعاً مزدحماً والجو غائم من دون مطر، حتـى بقيت خمسون كيلـومتراً على الوصول إلى مدينة (بورتو) فكثرت الغابـات بـل تكاثفت حتـى اغلق مـا علـى يمين الطريق ويساره عن النظر، لأن أشجارها صارت عالية كثيفة.

وقبل ٤٧ كيلومتراً من مدينة بورتو رأيناهم كتبوا لافتة تقول: هنا تبدأ منطقة بورتو، والمراد بذلك الحدود الإدارية للمنطقة التـي تتبع المدينـة، لانهـا مدينـة مهمـة هـي المدينـة الثانيـة فـي البرتغـال من حيث عدد السكان، ويقـول بعضهم: إنها العاصمة الاقتصادية للبرتغال.

ورأيت جسراً يصلحونه أي يبدؤن انشاءه على الطريق وقد بدت تربـة الأرض عنده صفراء، كما رأيتهم يوسعون أكتاف الطريق وهو جدير بذلك.

هذه بورتو:

قبيل الوصول إلى مدينة (بورتو) وصلنا إلى بوابات لجباية رسوم الطريق، ولكن سائقنا سلك طريقاً جانبياً خاصاً منه ذكر أنه مخصص للسيارات التي لا تدفع رسوماً مثل السيارات الدبلوماسية التي منها سيارتنا وسيارات العاملين في المرور وسيارات الشرطة.



قبيل الدخول في مدينة بورتو

وقد بدت المدينة ذات موقع غير مستو، بل هو تلال ترتفع وتنخفض وكان المنظر من الجهة التي دخلها طريقنا السريع منظر نهر (دورو) العريض في المنخفض تطل عليه غير عالية عليها المنازل النظيفة والأبنية المتعددة الطبقات، ذات المظهر الجيد.

أمـا النهـر فإنـه عـريض المجـرى، وهـو ذو اسـم قـديم كـان العـرب المسلمون من أهل الأندلس يعرفونه بهذا الاسم (دورو).

واستقبلتنا عند مدخل المدينة سيارة فيها بعض الإخوة المسلمين الذين كان الأخ المغربي المرافق قد هاتفهم وطلب منهم أن يكونوا في استقبالنا حتى يدلونا بسرعة على مكان المركز الإسلامي.

دخلنا المدينة في الثانيـة إلا الربع ظهراً، ووقفنـا فـي سـوق عـامر فيـه الحوانيت والمحلات التجارية الجيدة ولكنها كلها مغلقة لأن اليوم هو السبت.

وقد سارعت التقط صورة للشارع الذي يقع فيه المركز الإسلامي.



مدخل مدينة بورتو

المركز الإسلامي في بورتو:

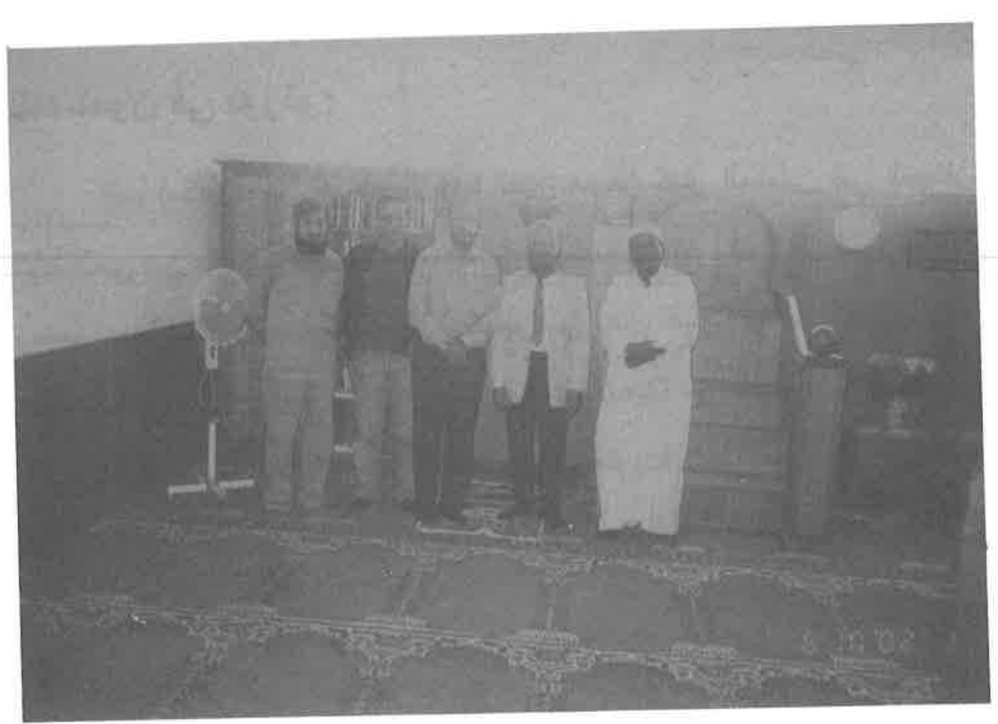
عندما ترجلنا من السيارات كان الإخوة المسئولون عن (المركز الإسلامي في بروتو) يسلمون ويعانقون مرحبين، فقد كانوا يعرفون موعد قدومنا كما أسلفت وقرأنا اللافتة (المركز الثقافي الإسلامي لمدينة بورتو).

كان على رأس الموجودين في المركز الأخ (عبدالرحمن مانجا) رئيس المركز، وهو موزمبيقي، ولكنه هندي الأصل غير أن هنديته بعيدة، إذْ ولد والده في موزمبيق، ولذلك صار من لا يعرفه يظنه من أهل نجد.

والأخ عبدالله بوعزة الأمين العام للمركز، وهو مغربي من أوائل من مارسوا العمل الإسلامي في هذه المدينة.

وإمام مسجد المركز الأخ الشيخ أحمد كمارا وهو مسئول الشئون الدينية فيه، وهو من أهل غينيا بيساو، عجب عندما ذكرت له أنني زرت غينيا بيساو وأنني زرت بالذات مدينة (بافتي) فيها لأنه كما ذكر قريته بقربها، وكان عجبه أكثر عندما قلت له إنني ألفت كتاباً نصفه عن (غينيا بيساو) ونصفه الآخر عن (غينيا كونكري) عنوانه (من غينيا بيساو إلى غينيا كونكري) وطلب مني أن أرسل إليه نسخة منه، ففعلت بعد ذلك.

ومؤذن المسجد الأخ (محمود كودان) وهو أيضاً الناطق الرسمي باسم المركز وهو تركي، واسرعنا نتوضأ ونصلي صلاتي الظهر والعصر جمعاً فيه صلاها معنا من لم يكن صلى جماعة في المركز قبلنا.



عند منبر مسجد بورتو على يميني رئيس الجمعية الإسلامية التي يتبعها المركز وعلى يساري إمامها إمام المسجد

ثم عقدنا معهم اجتماعاً في قاعة بجانب المصلى فكان مما قالوه عن هذا المركز الإسلامي أنه أنشيء في عام ١٩٩٠م، وأن عدد أعضائه العاملين ١١ يريدون بذلك المسئولين عن إدارته، وأن المكان مستأجر، وأنهم ينفقون عليه نفقات متعددة، فالماء ينفقون عليه ألف دولار في السنة، والكهرباء ١٦٠٠ دولار أمريكي في السنة.

المسلمون في بورتو:

مما استفدناه من هؤلاء الإخوة الذين هم من كبار العاملين في الميدان الإسلامي في المدينة أن عدد المسلمين في منطقة (بورتو) أي في المدينة وضواحيها يبلغ (٤٥٠٠) مسلم أغلبهم من أهل غينيا بيساو التي كانت مستعمرة برتغالية واقعة في غرب إفريقية غير بعيدة من جمهورية السنغال، يليهم في النسبة العددية من المسلمين: المغاربة الذين هم من المملكة المغربية، ثم أهل موزمبيق ثم من بنغلاديش، والبقية قلة عددية قليلة من الجزائر وتونس وباكستان.

وقد نوهوا بأن المسلمين يزيدون في المدينة عن طريق الداخلين الجدد إلى الإسلام، وإن كان ذلك بعدد قليل، إذْ قالوا: إنه دخل في الإسلام على أيديهم في المركز ١٤ مسلماً جديداً، ولكن الزيادة الأكثر كانت عن طريق المسلمين القدماء الذي أتوا إليهم من إسبانيا ودول أوروبية أعضاء في الاتحاد الأوروبي، يأتون إلى البرتغال لأنها أفسحت المجال لتسوية أوضاع المهاجرين غير القانونيين من أجل تسوية أوضاعهم وجعلهم مهاجرين رسميين معروفين.

وذكروا أن بين المهاجرين الذين سويت أوضاعهم في البرتغال جماعة من المهاجرين العرب، فالبرتغال من هذه الناحية هي أكثر البلدان الأوروبية سهولة وتسامحاً في هذا الموضوع.

قالوا: وكذلك الزيادة الطبيعية التي سببها زيادة المواليد عند المسلمين على المواليد عند أهل البلاد المسيحيين، وإن كان ذلك لا تظهر فائدته جلية بسرعة.

موقف الحكومة والشعب من المسلمين:

ذكروا أن موقف السلطات الحكومية في هذه المدينة البرتغالية الكبيرة موقف جيد جداً مع المسلمين فهي لا تعارضهم، ولا تؤذيهم، بل هي تساعدهم في حدود القانون.

بل إن المسئولين هنا يهتمون- كما قالوا- بكثير من أوضاع المسلمين.

وكذلك موقف الشعب مع المسلمين هو جيد وهو موقف تعاون وصداقة، ولم يحدث أن حصل اعتداء على أحد من المسلمين أو على المركز الإسلامي، بل التعايش الجيد هو السائد.

وذكر رئيس الجمعية الأخ عبدالرحمن مانجا رئيس المركز أنه يلقي محاضرات إيضاحية عن الإسلام في الجامعات البرتغالية، وقال الإخوة الحاضرون من أهل (بورتو): إنهم يطلبون منه ذلك، أي أن المبادرة إلى ذلك تكون منهم، وقال: إنني في الواقع ألبي دعوتهم.

قالوا: وبعض تلاميذ المدارس يأخذهم معلموهم والقائمون عليهم إلى المركز الإسلامي من أجل التعرف على الإسلام، ومعرفة ما عليه أهله.

وينبغي أن نذكر أن رئيس المركز الإسلامي عمله الذي يعيش منه هو (مدير الشئون الإدارية) في شركة كبيرة مشهورة اسمها (أموريم) وهي شركة تجارية عقارية.

وذكروا أن عدد المصلين صلاة الجمعة في المركز هو في حدود خمسمائة، وأما الصلوات اليومية فإن متوسط عدد ا لمصلين هو (٤٠) ويزداد هذا العمل يوم السبت.



في الحديقة الخلفية لمسجد بورتو

بدايات العمل الإسلامي:

كان الأمين العام للمركز الأخ (عبدالله بوعزة) من أقدم العاملين في الحقل الإسلامي لذا صار يقص علينا قصة البدايات الأولى للعمل الإسلامي في هذه المدينة، وإخوانه يسمعون وفيهم من يفهم اللغة العربية جيداً كالإمام الذي هو خريج كلية الشريعة، قال:

في عام ١٩٨٢م جئت إلى مدينة (بورتو) هذه وبعد عام ١٩٨٥م جاء الأخ عبدالرحمن الرئيس الحالي للمركز.

وقال: أول مكان صلينا فيه جماعة هو غرفة في فندق كان جماعة من المسلمين نازلين، وسمح صاحب الفندق لهم بتخصيص غرفة منه ليصلوا فيها.

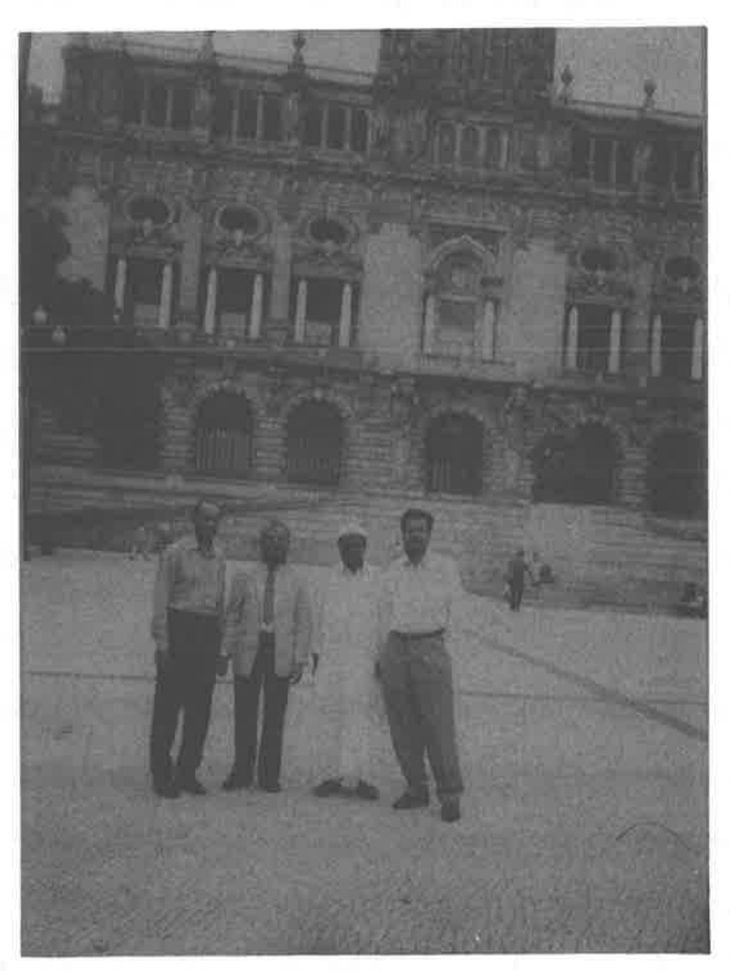
في عام ١٩٨٦م عندما أنشئ النادي الرياضي في بورتو صرنا نصلي الصلوات اليومية يومي السبت والأحد فقط.

والنادي الرياضي على اسمه رياضي ليس خاصاً بطائفة من الناس، ولا بأهل دين دون غيره.

قال: ولم نكن نصلي صلاة الجمعة في النادي، وفي عام ١٩٨٩م صلينا أول جمعة في تاريخ هذه المدينة وفي تاريخنا نحن المسلمين فيها وحضر أول صلاة ٤٥ مصلياً، وكان هذا عدداً طيباً فوق ما كنا نؤمله في أول الأمر، والآن الحمد لله يصلي الجمعة ٥٠٠ شخص ويعرف المسلم أنه سيجد مركزاً إسلامياً خاصاً بالمسلمين مجهزاً لأداء الصلاة خلف شيخ عالم متخرج من كلية الشريعة هو الشيخ الإمام أحمد كمارا.

وذكروا أن مقر المركز مستأجر بـ٧٠٠ دولار أمريكي في الشهر، وهو الآن كافٍ لهم، لكنهم يعرفون من تجربتهم في زيادة المصلين سواء منهم من هداه الله إلى الإسلام من المسلمين المفرطين، ومن يأتون من خارج المدينة من أجل السكن والعمل فيها، ما يجعلهم يعرفون أن هذا المركز يضيق بهم، ولذلك يفكرون في العمل على إنشاء مسجد جامع واسع يكون له مظهر المسجد من قبة ومنارة ويكون شاهداً على وجود المسلمين في هذه المنطقة.

وقال رئيس المركز معلقاً على ذلك: إنَّ واجبنا هو العمل بجد واجتهاد من أجل الإسلام والمسلمين، ونرجو منكم وأمثالكم تقديم كل ما تستطيعونه من أجل بناء مسجد جامع في (بورتو).



أمام مبنى المجلس البلدي في بورتو مع المرافقين

فقلت له: إن الذي عرفناه من حالة أمثالكم من الإخوة المسلمين أنهم إذا اجتهدوا في العمل على إيجاد المسجد في المدينة فإن الله يسهل لهم ذلك،

ولكننا نعرف أنه لابد من أمور أولها: أن يجتهدوا في شراء أرض للمسجد عن طريق جمع تبرعات منهم، أو ممن قد يكونون عرفوهم وعرفوا حاجتهم من كبار المتبرعين، ثم بعد أن يتأكدوا من كونهم حصلوا على الأرض وسجلوها باسم الجمعية ليقام عليها مسجد توجهوا بطلب التبرعات من إخوانهم المسلمين القادرين على ذلك، منهم رابطة العالم الإسلامي، وإذا بدءوا ببناء المسجد انهالت التبرعات عليهم لأن كثيراً من المسلمين القادرين إذا عرفوا أن المسد قد بدأ ببنائه، ولكنه وقف لقصور النفقة سارعوا بالتبرع له، وهذا الذي رأيناه تكرر، وتكرر مثله في بلدان كثيرة على مستوى العالم.

وقد كرروا بيان أهمية هذه المدينة وأنها تعتبر العاصمة الاقتصادية للبلاد، ويبلغ عدد سكانها مع ضواحيها مليون نسمة، و أنها عاصمة الشمال وكثير من أهل الشمال يأتون إليها من أجل العمل.

ومما يذكر أن حدود إسبانيا لا تبعد عن بورتو إلا بـ١٢٠ كيلومتراً جهة الشمال.

كنا نتحدث وهم يقدمون طعام الغداء، وكان طعاماً جيداً هندي الطابع.

وبعد ذلك خرجنا معهم في جولة على مؤخرة المبنى إذْ فيه حديقة خلفية، وفيها قرع جيد أي شجرة مثمرة من نبات القرع.

ورأينا الإمام لديه ستة تلاميذ وهو يعلمهم الحروف العربية، ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف، أما المصلى فهو واسع نسبياً، وغير مزوق والحقيقة أنه ينبغي أن يكون أكثر سعة و أكثر رونقاً.

لا لكون ذلك أمراً مطلوباً في الإسلام، وإنما لكونه تزوره طوائف من غير المسلمين، وينبغي أن يكون على حالة أحسن مما هو عليه الآن.

وليس معنى ذلك أن مظهره زري ففراشه نظيف غير ثمين، ومحرابه ليس فاخراً، والإخوة بذلوا جهدهم أثابهم الله.



نهر دورو في بورتو

برتغالي يريد التعرف على الإسلامي:

بينما كنا معهم نتهيأ لمغادرة المركز إذْ جاء رجل برتغالي غير مسلم وقال لهم: إنه يريد أن يصبح مسلماً ولكنه يحب أن يتعرف أولاً على الإسلام، ومن ذلك أن يحصل على معلومات كافية عنه، وقد فرغ له القوم الإمام وأحد

الإخوة وقالوا لي: إن عدد الذين يأتون إلى المركز يطلبون معلومات عن الدين الإسلامي ليس قليلاً، وإننا نقدم ما نعرفه لهم سواء من حيث الشرح الشخصي أو تقديم ما يكون لدينا من كتب شحيحة عن الإسلام، وبخاصة باللغة البرتغالية.

مسجد سان جيدو:



الشارع الذي عليه مسجد سان جيدو في منطقة بورتو

انطلقنا من المركز الإسلامي إلى منطقة أخرى بعيدة من مدينة (بورتو) في محلة تسمى (سانجيدو) ذكروا أنها تبعد عن المركز بنحو ٢٨ كيلومتراً، وأن الذي حدا بالمسلمين هناك إلى إيجاد مسجد وهو مصلى لهم هو بعدهم عن المركز الإسلامي هذا، وعدم استطاعتهم أداء الصلوات جماعة،

وأنهم يتعاونون معهم على البر والتقوى وأن المسجد صغير يصلى فيه الجمعة نحو (٥٠) والأوقات الأخرى زهاء ٣٠ مصلياً.

وموقعه في منطقة (بورتو) ولكنه خارج عن المدينة.

غادرنا المركز الإسلامي في الخامسة إلا الثلث عصراً، بعد أن أعطيناهم نوعين من المساعدات المالية من المملكة العربية السعودية، أولهما مبلغ عشرة آلاف دولار من السفارة كان السفير الأخ محمد بن حمود الرشيد جزاه الله خيراً قد حصل عليها من أهل الخير في بلادنا، وقال: لتأخذوها معكم وهي على هيئة (شيك) أي صك بمبلغ عشرة آلاف دولار أمريكي، والثاني نقداً بمبلغ عاجل رمزي منا من رابطة العالم الإسلامي وهو ألفا دولار أمريكي، وبذلك بلغ مجموع الذي تسلموه الآن اثني عشر ألف دولار، ولن تكون هذه هي كل المساعدة المالية من المملكة في الوقت الحاضر، بل سوف تزيد من المبلغ الذي أمر به صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود للمؤسسات الإسلامية في البرتغال، وأهم ما فيها، بل على راسها المساجد وأماكن الصلاة، وهو المبلغ الذي سوف نتفق مع السفارة على تحديده لكل جهة، وسوف يأتي بيانه فيما بعد قبل أن نغادر البرتغال بإذن الله.

وسط المدينة:

كان يتقدمنا ونحن نغادر المركز الإسلامي رئيس المركز الأخ عبدالرحمن مانجا، وكنت طلبت منه أن أرى وسط المدينة التجاري، وأن ألتقط صورة تذكارية معه فيه.



شارع في قلب مدينة بورتو

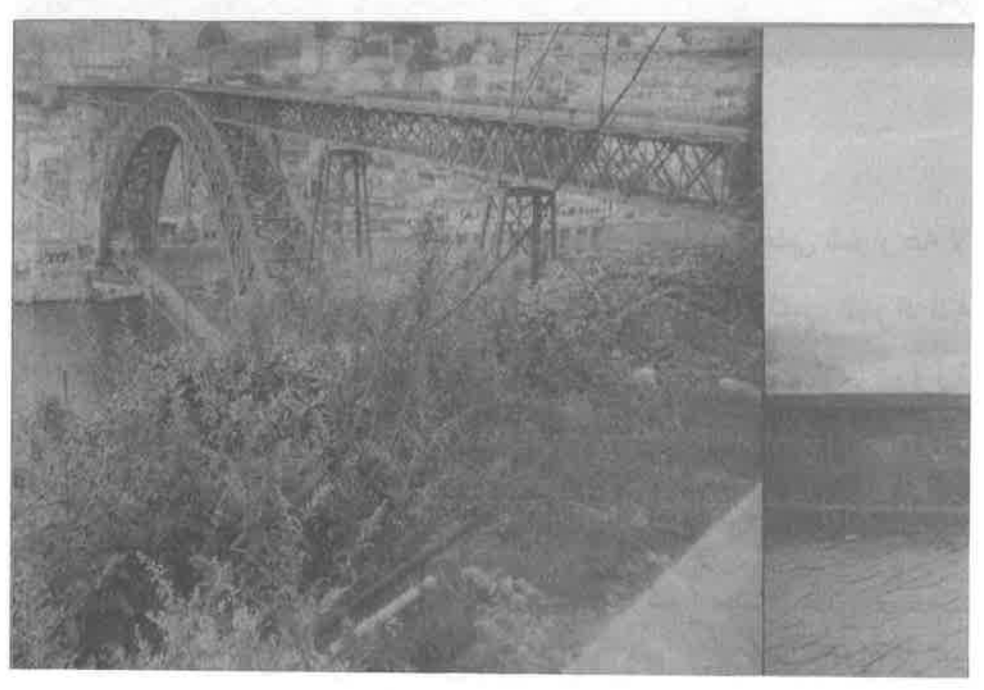
وقد سرنا في الوسط التجاري بالفعل فألفيناه فخماً حتى شوارعه لا تبدو قديمة لسعتها النسبية وهو أفخم من مثيله في لشبونة، وليس المراد أنه أفخم من كل الشوارع أو المتاجر فيها، ولكنه أوسع شوارع ومحلات تجارية من مثيله هناك.

ولاشك أن ذلك راجع إلى الصفة التجارية التي عليها المدينة مثلما كانت عليه مدينة جدة في القديم، حيث إن (بورتو) ميناء على المحيط الأطلسي، واسمها يدل على ذلك لأن (بورتو) في البرتغالية هي ميناء مثل (بورت) في الإنكليزية.

وقف بنا رئيس المركز في وسط المدينة أمام مبنى المجلس البلدي، ولاحظت أن شوارعه رغم فخامتها واتساعها النسبي فإنها لا تنطلق بعيداً في استقامتها، بل تتعرج أو تتلوى، وشيء آخر لاحظناه وهو أن موقع المدينة غير مستوٍ كما قلت: بل فيه صعود وانخفاض والتواء، وهذا هو الوضع الطبيعي لها في الأصل.

وأرصفة هذا القسم ممتازة، أما السفلتة فإنها فاخرة، والأبنية الكبيرة المتعددة الطبقات هي السائدة في وسط المدينة هذا.

نهر دورو:



الجسر على نهر دورو في بورتو

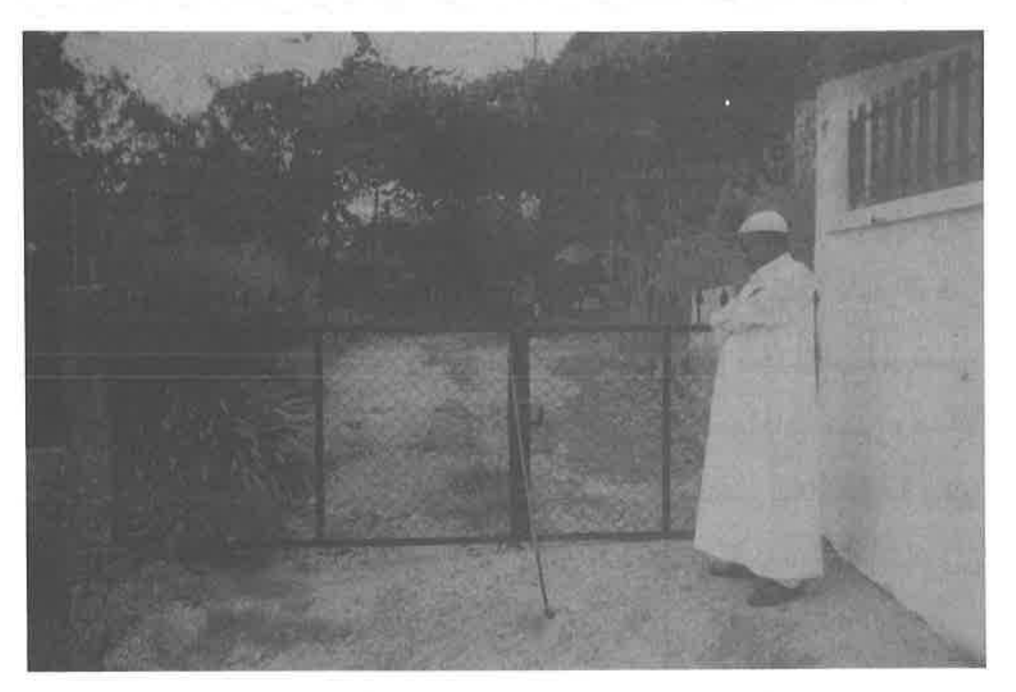
انطلقنا إلى النهر الذي تقع عليه المدينة واسمه نهر (دورو) نَوَّه المرافقون بأنه قادم من إسبانيا ونحن قد علمنا ذلك، وإن لم ينوهوا به، لأننا قرأنا عنه ما قرأناه من كونه نهراً في الأندلس في كتبنا العربية القديمة.

وقد التقطنا صوراً تذكارية عند هذا النهر، مع أن مجراه منخفض ونحن على ضفته المرتفعة، وصوراً لجسر حديدي مرتفع عليه.

ثم خرجنا من مدينة (بورتو) قاصدين بلدة أو قرية (سان جيدو)، وقد اخترقنا عدداً من القرى الصغيرة بعد أن غادرنا (بورتو) وكلها تشترك في كون أرضها غير مستوية لأن طبيعة أرضها فيها انخفاض وارتفاع وشوارعها كلها ضيقة، ومع ذلك فيها أعداد كثيرة من السيارات حتى وصلنا قرية (سان جيدو) فوجدنا رئيس جمعية المسجد في دكان له كالبقالة وهو وحيد فيه، وهو أخ مغربي فكلمه القوم فقال: أنا عندي كما ترون مشترون وسوف أرسل إلى أحد الأشخاص ليأتي إليكم.

فذهبنا مع الإخوة إلى مقر المسجد فوجدناه غرفة واقعة فيما يشبه البستان الذي يحيط به فناء مغلق حاولوا فتحه فلم يستطيعوا لأن مفتاح بابه الحديدي كان مع شخص آخر، ويقع ذلك البستان في مكان غير مستو من الأرض شان طبيعة هذه المنطقة كلها، ولذلك كان الطريق الزفتي فيها يهبط ويرتفع تبعاً لطبيعة الأرض فلم يصلحوه بالأخذ من المرتفع وردم المنخفض كما نفعل نحن ذلك بشوارعنا، والسبب كثرة الارتفاعات والانخفاضات، وبعض الشوارع عليها منازل تتضرر من ذلك.

كنا ننتظر أن نجد مفتاح البستان الذي فيه المسجد ونرى عرائش العنب بجانبه واسعة وقد تعاون ثلاثة منهم على تسور السور وكسر قفل الباب من الداخل.



الشيخ أحمد كمال إمام مركز بورتو عند الباب الخارجي للبستان الذي بداخل مصلى (سان جيدو) المغلق

ورأينا المسجد تزين واجهته هذه الكلمة العربية وحدها (مسجد) وليس بجانبها إيضاح لمعناها، فتحوا لنا المسجد وجلسنا معهم داخله فأخبرونا أنهم أنشأوه حديثاًبمعنى أوجدوه، وإلاَّ فإنه في مبنى مستأجر، وكان إنشاؤه وبدء الصلاة فيه منذ ثلاثة أشهر فقط، أي في شهر حزيران يونيو الفائت.

والمسجد ليس واسعاً ولكنه يتناسب مع حداثة عهده وحداثة عهد المسلمين في المنطقة بالشعور بوجود مسجد تقام الشعائر فيه في بلدتهم (سان جيدو).

ذكروا أن عدد المصلين صلاة الجمعة فيه هو ما بين ٥٠ إلى ٦٠ مصلياً، وفي أوقات الصلوات اليومية المعتادة ما بين ٨ إلى ١٠ أشخاص، ومساحة المصلى الذي هو الغرفة المغلقة المعدة لذلك ٣٠ متراً مربعاً، لأن الفناءَ الذي فيه ذلك المصلى ليس تابعاً لهم.

ذكروا من الأشياء المشجعة أنهم قد عينوا له إماماً من المغرب يدفعون راتبه الشهري خمسمائة دولار وذكروا أن هذا الراتب يعتبر جيداً في البرتغال، لأن مستوى الرواتب منخفض فيها والإمام اسمه: (النَّقية محمد) أما رئيس جمعية المسجد فإنه الأخ (الفريسي سعيد) من المغرب أيضاً، وكان لحق بنا ونحن في المسجد.

المسلمون في سان جيدو:

ينبغي التنويه بأنهم لم يعرفوا معنى (سان جيدو) اسم بلدتهم هذه، وليست هي سانت بمعنى قديس لأن البرتغاليين يلفظون بهذه (ساو) بالواو بديلة من النون، ومن ذلك اسم مدينة (ساوباولو) الضخمة في البرازيل، وجمهورية (ساو تومي) في المحيط الأطلسي غرباً عن ساحل إفريقية الغربية، وهي- كانت- مستعمرة برتغالية كما هو معروف.

وقد أكدوا بأنه لا علاقة لاسم البلدة بسانت ولا بساو.



المؤلف مع المسئولين عن مصلى سان جيدو في محرابه

ويبلغ عدد المسلمين في هذه البلدة (٣٠٠) نسمة، وهذا عدد طيب يشكر الإخوة المسلمون على انتباههم إلى وجوب وجود مصلى تؤدى فيه الصلاة وإن كان ينبغي أن تكون جهودهم أكبر من ذلك، ولكن من المعتاد الذي نعرفه أنه لا يسهم في مثل هذه الأمور الدينية إلا بعض المسلمين دون بعض، إما لعدم الاهتمام والعناية أو للعجز المالي أو للبخل بالمال.

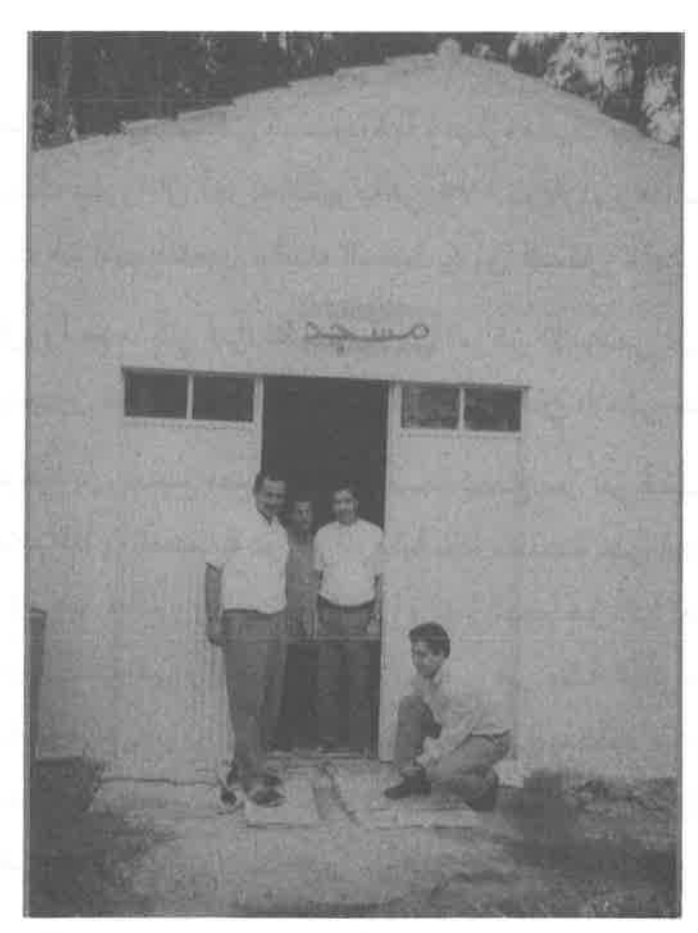
وقد أنشأوا محراباً في المسجد هذا وهيأوه بحيث يظهر كأنه مسجد قديم، ومع ذلك ذكروا أن أجرته الشهريةهي ١٧٥ دولاراً، وهذا مبلغ ضئيل، لاسيما إذا عرفنا أنهم ينتفعون بالفناء المحيط به من البستان الذي هو فيه.

وكرروا هم ما كان أبداه لنا إخوتهم في المركز الإسلامي في بورتو من كونهم لا يواجهون مضايقة من السلطات الحكومية، ولا من الأهالي سكان الحي.

ونوهوا بأن جميع مصروفات المسجد تجمع من تبرعات المسلمين، وقد أعطيناهم ألفاً و خمسمائة دولار أمريكية نقداً مساعدة على إيجار المكان، وقلنا لهم: إن هذا مبلغ رمزي غير مهم، وإنما المهم هو أننا أطلعنا عليه، وسوف نسجل ذلك في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة حتى إذا حصلت مناسبة للتعريف به أمكننا ذلك، وقلنا لهم: إنه يمكنكم إذا فرض أنكم طلبتم مساعدة للمسجد أن تذكروا أننا زرناكم وشاهدناه، وأعطيناهم أسماؤنا وعناويننا في رابطة العالم الإسلامي.

مغادرة بورتو:

في السادسة وعشر دقائق غدرنا بلدة (سان جيدو) وسرنا خلف سيارة الأخ عبدالرحمن رئيس المركز الإسلامي في بورتو حتى يرشدنا إلى كيفية الوصول إلى الطريق إلى لشبونة، وذلك لكون القرى متصلة أو شبيهة بذلك وهي متشابهة، و خطوط الزفت كثيرة، بل هي موجودة في كل جهة منها، والشوارع في هذه القرى تتسم كلها بالضيق، بحيث لا تكاد تتسع لتلاقي سيارتين فيها، ويصعب على السيارة أن تستدير بمعنى تعود داخل الطريق أو الشارع، وعندما تبحث عن مكان متسع تدور فيه.



الباب الخارجي لمصلى سان جيدو

أما الأماكن الريفية حول هذه القرى فإنها أوسع طرقاً وأزقة، والمتعرج في طرق هذه القرى هو القاعدة ولكنها كلها نظيفة جداً، وحسنة المظهر.

وأما المنازل والبيوت فيها فإنها نظيفة أيضاً لا تختلف في ذلك عن البيوت في المدن.

وقد تعددت القرى في الطريق إلى الوصول إلى الطريق العام المنطلق إلى لشبونة، وكنا لا نزال نسير بسيارتنا خلف سيارة الأخ عبدالرحمن الذي يدلنا على الطريق.

واللافتات باللغة البرتغالية كثيرة متعددة ولا توجد معها لغة أخرى إلا أنها تستعمل الحروف اللاتينية التي يسهل على مثلنا قرآءتها.

ويقال عن سياراتهم على كثرتها بأنها كمنازلهم وثيابهم نظيفة لا يرى المرء منها ما يصدم نظره، أو ما يخدش ذوقه إذا كان ذا ذوق سليم.

بلدة فاطمة:

سرنا مع الطريق الجيد السريع الذاهب إلى لشبونة، وغربت الشمس ونحن فيه، وكنت طلبت من السائق والمرافق أن نمر ببلدة فاطمة التي لم نقف فيها في القدوم إلى (بورتو).

فوصلنا بلدة فاطمة التي بنيت بجانب مقام (فاطمة) ونشأت لهذا الغرض حيث يستقبل المكان مئآت الألوف من السياح سياحة دينية، وهم الذين يأتون إلى هذا المكان التماساً للبركة في دينهم، أو للسعادة الروحية من زيارة مقام (فاطمة) هذا الذي فيه كنيسة كبيرة مشرفة، وساحة ضخمة على هيئة فناء مكشوف منفصل عن الكنيسة لكي يستوعب الزوار الكثر للمكان.

أوقفنا سيارتنا في موقف للسيارات على هيئة ميدان في البلدة وذهبنا إلى رؤية المكان المعظم عندهم نسير على أقدامنا مع اتساع الفناء، وبالتالي مشقة السير فيه لطول المسافة.

ولكن عجبنا زاد من رؤية ممر فيه طويل أملس عرضه في نحو المتر وطويله يزيد على ألف متر.

وقد وضع هكذا لكي يسير عليه المتقربون إلى مشهد (فاطمة) هذه التي رأت فيما يزعمون مريم العذراء متجلية في هذا المكان، وهم أي

المتعبدون يسيرون على هذا الممر الطويل وهم جاثون علـى ركبهم أي أنهم يمشون على ركبهم، وليس على أقدامهم، والجاثي على ركبتيه هو الذي يثنـي ساقيه تحته ويقف على ركبته.



يزحفون على ركبهم في الليل إلى حيث رؤية فاطمة

أما النظر إلى بعض المتعبـدين الـذين يفعلون هكذا وهم من المترفين وأغلبهم فيما رأيته من النساء فإنهم لا يتحملون السير على ركبهم عادة طول

الطريق لذلك جعل القائمون على المقام هذا أو المشهد تكون عندهم وقاية للركب تشبه النعال للقدم ولا يفعل مثل ذلك إلا المتدينون منهم بقوة.

وعندما رأيت السائرين على ركبهم فوق هذا الممر الأملس من مسافة طويلة إلى حيث النقطة التي زعموا أن مريم العذراء تجلت فيها ذكرت واقعة مشابهة مع الفارق في الحالتين، وذلك أن الحالة هنا هي جزء من تعب، وفقاً للمذهب المسيحي الكاثوليكي، وأما تلك التي تذكرتها بهذه المناسبة فهي تابعة لدين وثني هو الهندوكية الديانة الغالبة على سكان الهند، وملخصها أنهم يعبدون القرد هنومان الذي يزعمون أنه انقذ (سيتا) زوجة كبير ألهتهم رام من عدوه في ألوهية الهند الوثنية (راون) الذي كان قد أخذ زوجة رام من الهند إلى جزيرة سيلان، وأبقاها عنده هناك.

فما كان من القرد (هنومان) هذا إلا أن أخذته النخوة والشهامة فأخذ بذنبه كما تقول ديانتهم ناراً واجتاز بهذه الشعلة من النار في ذنبه البحر الذي يفصل بين جنوب الهند وجزيرة سيلان التي صارت تسمى الآن (سيرلنكا) وأحرق الجزيرة بهذه الشعلة لأنها تابعة لراون، وأخذ سيتا على ظهره فاجتاز بها البحر راجعاً إلى الهند حتى أعادها إلى (رام).

وقد عبده الهنادك لهذا السبب، وشيدوا معابد له خاصة به في أكثر مدن الهند، رأيت واحداً منها في مدينة لكنهو عاصمة ولاية اترا براديش التي معنى اسمها: الولاية الشمالية وصادف وجودي فيها زحام عيد القرد هنومان ويسمونه هناك (هنومان داي) وهذه معناها الحرفي (يوم هنومان) ومعناها الفقهي: عيد

هنومان كما قلنا، وذلك أن الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة تعطل أعمالها في ذلك اليوم، وينصرف بعض الناس فيه إلى التقرب إلى هنومان عن طريق الذهاب إلى معبده الذي تتوجه صورته (القردية) كبيرة واضحة.

ورأيت بعض المتعبدين يزحفون على صدورهم من مسافات بعيدة يبتغون بذلك رضا هنومان ومثوبته، ويعتقدون- فيما قيل لي- وقد نشرته الجرائد في ذلك اليوم أنه كلما كان الطريق الذي يقطعه الزاحف على صدره إلى معبد هنومان طويلاً كان ثوابه منه أجزل، وأعظم.

والحمد لله على نعمة العقل والدين!

عجبنا من سعة الميدان المغلق دون السيارات ووسائل الانتقال الأخرى، فذكروا أنه في أيام المواسم لزيارة مقام (فاطمة) هذه يمتلئ بالناس وهو بلا شك يتسع لمئات الألوف، أما الآن فإن العدد بالآلاف.

وكان أول ما يلاحظه القادم إلى المكان كنيسة عالية مشرفة قد صوروا في واجهتها الأشخاص الثلاثة الذين قالوا: إنهم تجلت لهم مريم العذراء هنا وتتوسطهم الفتاة فاطمة على يمينها فتى ذكروا أنه لم يستطع تحمل رؤية مريم العذراء فمات، وعلى يسارها امراة في ثياب تشبه ثياب الراهبة وإن لم تكن مثلها تماماً.

أولى المشقات في دخول هذه الكنيسة هو درجها الحجري العالي الذي يتعب من يصعد عليه.



المؤلف في الشارع الرئيسي في بلدة فاطمة في الليل

دخلنا الكنيسة فإذا هي كبيرة فيها صفوف من الكراسي الخشبية المستطيلة، وكاهن عند المنصة في مقدمتها يتكلم من كتاب في يده، إلا أن المتعبدين لم يشغلوا إلا نحو ٨% من الكراسي الموجودة مع أن الساعة الآن هي في حدود التاسعة أو التاسعة والنصف، وإن اليوم هو يوم السبت الذي يذهب فيه الناس إلى الكنيسة مع يوم الأحد، أي مع ذهابهم إليها في يوم الأحد.

والغريب أن الكاهن كان يلقي موعظته واقفاً، والناس الذين حضروا للتعبد وجلسوا على الكراسي هم بين قائم وقاعد، فليسوا على حالة واحدة.

ولاحظت أن الذين دخلوا للكنيسة بعدنا إذا واجهوا الكاهن مثل الذين على الكراسي، ثنوا الركبة اليسرى وطأطأوا رؤوسهم كأنما يحيون الكنيسة بذلك أو يظهرون الخضوع.

ولاحظنا أن بعض الذين في الكنيسة من المتعبدين يخرجون والكاهن يخطب، وبعضهم يدخلون ولم أجدهم يعملون أي شيء، وكأنما هذه موعظة وليست صلاة.

والمتعبدون أكثرهم مسنون، ولكن فيهم نسبة من المتوسطين في أعمارهم، والنساء فيهم وبخاصة من المسنات أكثر من الرجال مع وجود ظاهر للرجال.

والشبان من الجنسين قليل جداً، رأيت أناساً منهم دخلوا الكنيسة مثلما دخلناها ولكنهم لم يتعبدوا، بل وقفوا متفرجين كما وقفنا، ولم يجلسوا على كراسي المتعبدين.

والكاهن يلقي موعظته من كتاب في يده مستقبلاً المصلين أو المتعبدين، أو لنقل إنهم المستمعون للموعظة، ولكنه قطع موعظته واستدبرهم ونزل من المنصة.

وهنا بدأ نشيد كنسي جماعي جاء بعده كاهن آخر، وخرجنا من الكنيسة وهم كذلك.

وعند خروجنا من الكنيسة وجدنا النزول من درجها الحجري العالي صعباً على المسنين، ولا أدري لم جعلوها هكذا وهي تصعب عليهم، إلا أنهم جعلوا جزءاً

متصلاً بالدرج من ناحية أخرى وهو مرتفع بطبيعة أرضه يمكن أن يتفادى الداخل منه إلى ما بعد الدرج وقبل الدخول في الكنيسة الصعود لهذا الدرج الصعب.

التعبد في الهواء الطلق:

على مسافة غير بعيدة من الكنيسة في الفناء نفسه المغلق عن السيارات والمركبات المباح للمشاة رأينا كاهناً يعظ جماعة من الناس كانوا جالسين على مقاعد أمامه وهم أكثر من الذين في داخل الكنيسة.

ذكروا أن هذا المكان الذي في الهواء الطلق ما عدا جزءاً أمامياً منه كأنه المظلة أنه هو المكان عينه الذي تجلت فيه مريم العذراء للأشخاص الثلاثة، وقالت: أنا فاطمة، لذلك صار مقدساً عندهم أكثر من الكنيسة، ولذلك أيضاً ينتهي عنده الممر الأملس الذي يسير فيه بعض المتعبدين على ركبهم.

وقد صوروا صورة ضخمة لفاطمة هذه وجلسوا على الكراسي يتعبدون وهم مواجهون لهذه الصورة.

هذا وبعضهم يقول: إن الذي ظهر للأشخاص الثلاثة هو ملَك أو نحوه وليس (مريم العذراء) وهو الذي قال: أنا (فاطمة) ويشيرون إلى أن المكان هو الذي ظهر فيه هذا الشخص لأول مرة، وأنه قد ظهر ثانية هنا أو قيل إنه روي ظاهراً هنا.

هذا وقد تركنا منطقة المعبد هذه إلى مقهاة نظيفة في البلدة وهي (فاطمة) فشربنا فيها القهوة واسترحنا قليلاً ثم غادرنا بلدة (فاطمة) إلى لشبونة في الحادية عشرة إلا الربع قبل منتصف الليل.

ما قالوه عن فاطمة:

وجدت محلاً صغيراً مفتوحاً في الشارع الرئيسي في بلدة فاطمة الصغيرة هذه فاشتريت منه ورقات صغيرة مكتوبة بالإنكليزية عن فاطمة هذه.

وهذه هي ترجمة للمهم منها ننقله هنا لتعرف ما يقولونه من دون أ ن نعتقد حقيقته، كما هو واضح.

فاطمة:

تقع فاطمة في قلب البرتغال في المنطقة الجبلية الوسطى من سبيرا دي إير التي تبعد ثلاثين ميلاً عن المحيط الأطلسي، في السابق كانت قرية منعزلة تتبع بلدية فيلا نوفا دي قوريم، أما اليوم فتتمتع فاطمة بالسيادة كبلدة مستقلّة.

ويعود اسمها، مثل كثير غيرها من الأماكن في البرتغال إلى الوجود الإسلامي، ففاطمة اسم ابنة محمّد الرسول المسلم العظيم.

وعلى بعد حوالي نصف ميل من كنيسة أبرشيّة فاطمة تقع قرية الجستريل الصغيرة التي ولد فيها الرعاة الثلاثة الصغار الذين ظهرت لهم سيدتنا العذراء من شهر مايو إلى شهر أكتوبر من عام ١٩١٧م، وإلى الغرب من الجستريل على تل تكسوه أشجار الزيتون هناك رابية حجريّة صغيرة تُعرف بـ لوكا دو كابيكو حيث ظهر الملاك للرعاة الثلاثة الصغار في مناسبتين مختلفتين.

وإلى الغرب بحوالي ميل واحد يقع الكوفا دا إيرا الذي يعتبر واحداً من كثير من الوديان المتموّجة في المنطقة.

هنا ظهرت سيدتنا خمس مرات للرعاة الصغار، وفي وادٍ صغير آخر على التل الذي يفصل الجيستريل عن لوكا دو كابيكو يقع الفالينهوس حيث ظهرت سيدتنا للرعاة الصغار في التاسع عشر من أغسطس عام ١٩١٧م.

الظهور الأول:

حدث الظهور الأول للملاك في ربيع عام ١٩١٦م، (لم يتمكن الناظرون من تحديد التاريخ بالضبط) على جانب تل حجري قرب الجستريل يسمّى لوكا دو بيكو.

كان يوماً مطيراً حيث قام الرعاة الثلاثة الصغار: لوسيا وفرانسيسكو وجاسينتا بالبحث عن ملجأ بين الحجارة، وعندما صفت السماء ظلوا في نفس المكان يستمتعون بلعبهم.

وفجأة شاهدوا نوراً غريباً يأتي إليهم من جهة الشق، وعندما اقترب وجدوا أنه شاب يبلغ الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر أبيض من الثلج وأشدّ صفاءً من البلور حيث تنفذ منه أشعة الشمس وشديد الجمال (رواية لوسيا).

واقترب منهم وقال: لا تخافوا، أنا ملاك السلام، صلوا معي. (وركع على الأرض ثم سجد حتى لامست جبهته الأرض وطلب منهم أن يرددوا معه الدعاء التالي: ربي، أؤمن بك وأعبدك وأرجوك وأحبك وأسألك المغفرة لأولئك الذين لا يؤمنون بك ولا يعبدونك ولا يرجونك ولا يحبونك.

وقال وهو يعتدل من سجوده: صلوا كذلك لأن قلبي عيسى ومريم يصغيان لصوت ابتهالاتكم) ثم اختفى.

وخلال ذلك اليوم واليوم الذي تلاه كان الرعاة الثلاثة الصغار مغمورين بحضور الرب إلى درجة عدم القدرة على الكلام حتى فيما بينهم.

الظهور الثاني:

حدث ذلك بعدها بشهرين في صيف عام ١٩١٦م عندما كان الرعاة الثلاثة يلعبون قرب البئر خلف بيت لوسيا، فجأة ظهر لهم نفس الملاك وقال: (ماذا تفعلون؟ صلوا صلوا كثيراً، قلبا عيسى ومريم يحملان الرحمة لكم، قدّموا صلواتكم وتضحياتكم إلى الأعلى باستمرار، فسألت لوسيا: (وكيف نقدّم التضحيات؟ اجعلوا من كل ما تستطيعون تضحية وقدّموه إلى الرب كتعويض عن الآثام التي تُرتكب وكتعويض لهداية المذنبين).

وانطبعت تلك الكلمات في عقول الرعاة الصغار الثلاثة، ومنذ تلك اللحظة صاروا يردّدون الدعاء الذي علّمهم إياه الملاك خلال الظهور الأول وبدأوا يقدمون الكثير من التضحيات للرب.

يوم الأحد: ١٤٢٣/٧/٢٩هـ ٢٠٠٢/١٠/٦م:

مسجد كولينا دي سول:

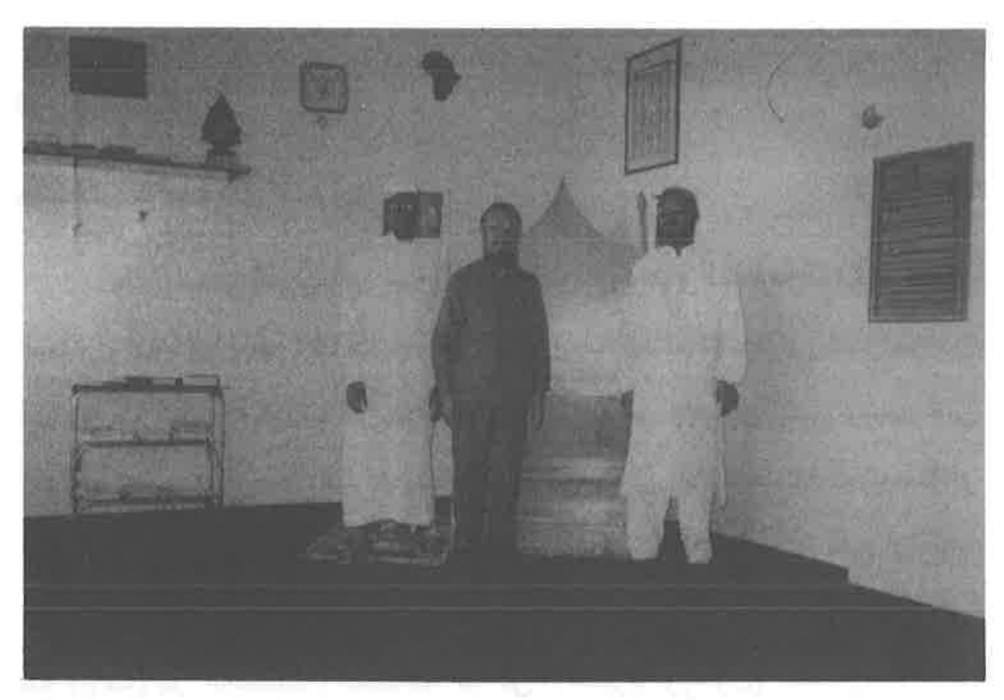
يقع مسجد (كولينا دو سول) بالقرب من مطار لشبونة لذا ذهبنا إلى المطار وأكدنا فيه حجزاً لنا كان مكتبي في رابطة العالم الإسلامي قد رتبه من قبل، ومطار لشبونة قريب من فندقنا (دوم يدرو) ثم ذهبنا إلى حي يسمى حي (كولينا دي سول) ومعناها: هضبة الشمس ويراد بذلك الهضبة المشمسة أو التي فيها شمس صاحية، لأن (كولينا) معناها هضبة أو مكان مرتفع ارتفاعاً غير شديد و(دي) أداة تقع بين المضاف والمضاف إليه في اللغات اللاتينية، كما تقع (أوف) بين المضاف والمضاف إليه في الإنكليزية و(سول) الشمس.

كنا واعدنا إمام هذا المسجد الشيخ (مؤمن إسلام) وهو من بنغلاديش أن نأتي إليه، وقد وجدناه بالفعل في المسجد، واسمه (مسجد كولينا).

وجدناه يشغل طابقين من مبنى مؤلف من ثلاث طوابق.

حدثنا إمامه الشيخ (مؤمن إسلام) من أمره باللغة الإنكليزية التي لم يكن يجيدها إجادة تامة إلا أنه لا يعرف غيرها، فهو يعرف شيئاً قليلاً من العربية ولا يعرف البرتغالية، ثم حضر إمامه الثاني (مؤمن) وهو الإمام الكبير أو الأول وبينهما فرق ظاهر فمؤمن راتبه خمسمائة دولار في الشهر والإمام الثاني راتبه (٤٠٠) دولار في الشهر.

وهذا الإمام الأخير هو من إخواننا الأفارقة عليه الثوب العربي الطويل واسمه (شيخ محّمد جالو) من غينيا كونكري، ولكنه يحمل الجنسية البرتغالية.



المؤلف في مسجد كولينا في لشبونة

والسبب في وجود إمامين في المسجد أن الأخ (مؤمن إسلام) لديه طلاب أهلهم من بنغلاديش، وحتى بعض الهنود في الحي فهو يعلم أولادهم باللغة البنغالية، وهناك عدد كبير من الإخوة المسلمين الأفارقة يعلم الشيخ محمد جالو أولادهم ويرشد كبارهم باللغة التي يفهمونها ولا يفهمها الإمام (مؤمن) وعدد الطلاب الذين يأتون للدرس في الوقت الحاضر عشرون.

قالوا: هذا المسجد مؤلف من طابقين الأرضي يسكن فيه الإمامان، وفيه فصل دراسي للطلبة، والثاني هو المصلى.

وقد افتتح في عام ١٩٨٧م، ويصلي الجمعة فيه نحو ٥٠ إلى ٦٠ مصلياً، وأما الصلوات اليومية فمن ٢٠ إلى ٢٥.

ومع أن الذي ساعد على إيجاده أول الأمر هو المركز الإسلامي الكبير في لشبونة، واعتبره بعضهم فرعاً له فإن نفقاته المتكررة تحصل من التبرعات التي يتبرع بها المسلمون من سكان الحي لا من المركز الإسلامي.

وقد اشتراه الأخ (بشير تريكو) وهو برتغالي مسلم من موزمبيق وسجله وقفاً لله تعالى، ولم يقتصر على ذلك، وإنما صار يسهم في دفع نفقاته إذا قصر الآخرون فجزاه الله خيراً.

والسكان من غير المسلمين وهم الأكثرية فيه هم من البرتغاليين والموزمبيقيين وليست بينهم وبين المسلمين في الحي ولا في المسجد أية مشكلة، ولا يواجهون منهم أية مضايقات، وحتى عندما اشتري المكان ليكون مسجداً لم يبد جيرانه الملاصقون أي اعتراض.

كنا نغادر حي (كولينا الشمس) أو (رابية الشمس) إذا أردنا أن نستعمل الأسلوب الشعري وأنا أفكر في عمل هذا الأخ المسلم النبيل (بشير تريكو) وهو كونه أوقف هذا المكان للمسلمين، وأقول في نفسي: يا ليت الآلاف من القادرين من بني قومنا على فعل مثل هذا الشيء يفعلونه في بلاد الأقليات المسلمة: إننا نعرف أن الخير كثير ولله الحمد في قومنا ونراهم يبنون المساجد التي تحتاج إلى ملايين الريالات سمحة بها نفوسهم، ولكننا نريد منهم أن يوجهوا بعض جهودهم إلى مثل هذه الأعمال النافعة للمسلمين المحتاجين، ففي بلاد مثل هذه البلاد الأوروبية، قد يكفي مائة ألف دولار لشراء مصلى صغير، أما في البلدان الأضعف اقتصاداً فإن عشرين ألف دولار تكفي لشراء مصلى صغير.

قرية فيالونغا:

غادرنا لشبونة قاصدين قرية أو بلدة اسمها (فيالونغا) وتبعد ٢٢ كيلومتراً عن لشبونة، ولكن طريقها وعر وغير قاصد، ولذلك صعدنا تلة انحدرت إلى وادٍ خصب معمور بالبيوت وبالبساتين في أطرافه وهو في طريقه إلى أن يصبح حياً سكنياً خالصاً، وقد غلط السائق فسلك طريقاً قديماً مهجوراً، ولذلك رأيناه مهملاً متروكاً بلا صيانة على جانبيه الأوساخ لأنهم قد استعاضوا عنه بطريق جيد جديث، والطرق في هذه البلاد البرتغالية على غاية من الجودة، بل والتنظيم.

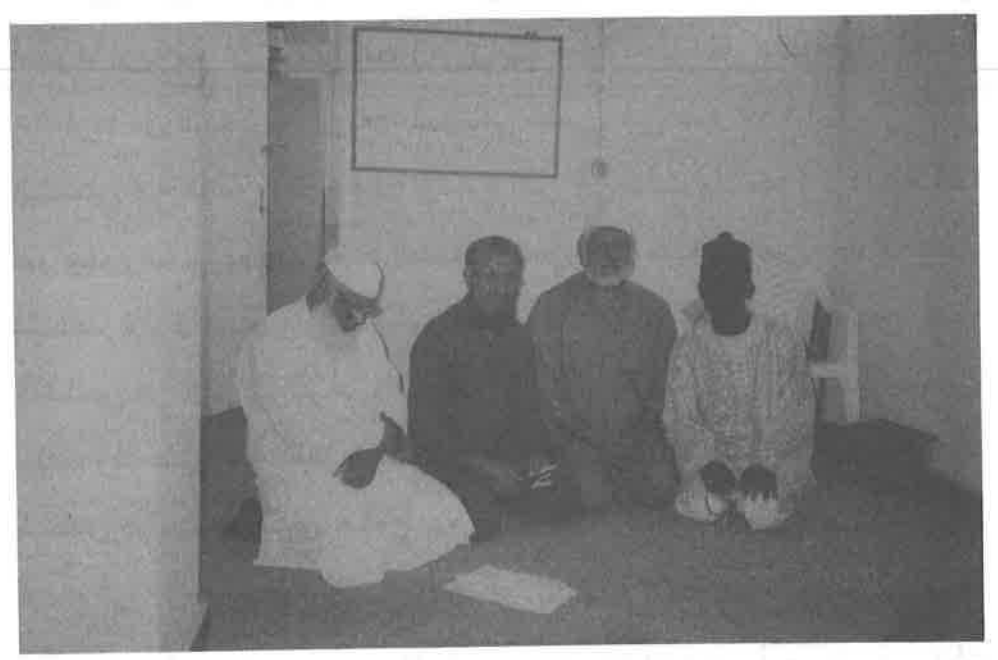
وعندما انحدرنا مع هذا الطريق السيء المهجور وصلنا إلى حي متطامن البيوت مما يصح أن يسمى بالشعبي أو بوصف أقل من ذلك، ولكن الشارع العام في هذا الحي أفضى بنا إلى طريق جيد عليه أبنية حديثة جيدة.

مسجد النور:

وصلنا في الواحدة والنصف إلى (مسجد النور) وهو مصلى واقع في الطابق الأرضي من (عمارة) ذات مظهر جيد مؤلفة من عدة طوابق وهو مملوك للمسجد أي أنه ليس مستأجراً.

استقبلنا فيه رئيس جمعية المسجد ونوه باسم المسجد وأنه (مسجد النور) واسم الرئيس: عبدالرحمن غلام علي أصله من الهند يحمل الآن الجنسية البرتغالية، ذكر الإخوة أنه ينفق كثيراً على المسجد وأنهم ذكروا وذكر هو أنه يعمل في شركة للطرق السريعة.

لم يكن وقت الظهر قد دخل عندما وصلنا المسجد ولذلك لم نـر فيه إلا شخصين حضرا قبل الآذان أحدهما الآخ عبدالرحمن نفسه.



في مسجد النور في قرية فيالوتغا مع المسئولين عن المسجد

وبعـد قليـل نـهض الأخ عبـدالرحمن فـأذن لصـلاة الظهـر أذانـاً شـجياً فصيحاً يدخل الآذان إلى القلوب من دون استئذان.

وقد توضأنا في الحمام الذي يتبع المسجد فرأيت أن بعض المرافق فيه تحتاج إلى صيانة وترميم، وذكروا لـي بعد ذلك أنهم يسعون فيـه، ومـن ذلك أنني رأيت المرحاض ليس عليه باب وإنما وضعوا ستارة من القماش.

نهض القوم بعد الآذان فصلوا ركعتين نافلة، وأما نحن فلم نتنفل لأننا مسافرون نقصر الصلاة، وكان المصلون يتقاطرون على المسجد.

وعدنا إلى الحديث مع رئيس الجمعية الإسلامية ومع آخرين من المسلمين الذين حضروا بعد ذلك فأخبرونا أن المسلمين في هذه القرية التي أسموها قرية مع أن أبنيتها كلها (عمارات) عالية ذات شقق سكنية يبلغ عددهم ٣٥ فرداً من الرجال، وأن هذا المصلى أنشيء في عام ١٩٨٥م، وأن أكثر المسلمين فيه هم من أهل (غينيا بيساو) التي هي كانت مستعمرة برتغالية كما هو معروف يليهم في العدد المسلمون من (موزمبيق) وهي أيضاً كانت مستعمرة برتغالية، وأن فيه أي الحي أعداداً من الإفريقيين السود غير المسلمين من أنقولا والرأس الأخضر وغينيا بيساو وأن علاقتهم بالمسلمين جيدة، وقد صلى بنا الظهر إماماً الأخ عبدالرحمن رئيس الجمعية رغم وجود شخص طالب علم كان جاء إليهم لتذكيرهم، وقد طلب مني أول الأمر أن أومهم في الصلاة فاعتذرت بأنني مسافر.

وصلى معنا منهم عدد لا بأس به وهو (١٥) شخصاً غيرنا منهم الأخ محمد سيرا من غينيا بيساو ويعمل مشرفاً على المسجد محتسباً من دون أجر، مثل الإمام الذي يعمل متبرعاً وأهم عمله هو الآذان، لأنه يتطلب منه أن يحضر قبل الوقت.

ولم أره أذن من مكبر للصوت، فسألته عن ذلك فقال: المسلمون أقلية متفرقون في الحي، ولو أذنا بالمكبر لم يسمعنا إلاّ بعضهم، وأما الأكثرية من السكان من غير المسلمين ومنهم سكان هذه (العمارة) التي نحن فيها فربما لا يريدون ذلك، والمقصود يحصل، لأن المسلمين يعرفون بوجود المسجد، ومن تخلف منهم عن الصلاة وعظناه بالتي هي أحسن، فإن نفعت الموعظة به وإلا دعونا له بالهداية.

وقد وردت إلى ذهني بهذه المناسبة قصة رجل كان جاراً لبيتنا في مدينة بريدة سافر إلى أمريكا وكان أول نجدي وصل إلى أمريكا فيما يعرفه الناس، إذْ بقي فيها خمس سنين أو نحو ذلك وعاد منها قبل الحرب العالمية الأولى واسمه (عبدالله بن خليفة) وقد سمعت من الطرائف التي كان يتداولها أهل الحي الذي فيه بيتنا وبيته أنه كان يؤذن لصلاته في قرعة، و(القرعة) هي الدباءة اليابسة أي التي لا تقطع وهي غضة للأكل وإنما تترك حتى يصلب قشرها، ثم تفرغ من لبها وتستعمل وعاء للمائعات كالسمن والزبد، تقول الطرفة: إنه كان يؤذن في هذه القرعة أي يدخل فمه في فمها ويؤذن حتى لا يسمع أذانه أحد من الكفار الذين لا يريدون أن يسمعوا الأذان، ولا يسمحون للمسلمين بذلك!

وهذه الخرافة رمزية لقلة المسلمين هناك، وإلاَّ فإنه لا حاجة لمن يصل إلى أمريكا، أن يخفي دينه كما هو معروف.

أما الآن فإن كثيراً من المساجد في أمريكا يؤذن فيها للصلوات بالمكبر إلا آذان الفجر، وأما في هذه البلاد البرتغالية فإنها مثل الولايات المتحدة الأمريكية في التسامح مع أهل الأديان الأخرى أوأكثر من ذلك، وبخاصة أن بعض المسلمين هم من الرعايا الأصلاء للبرتغال، لأنهم من مستعمراتها القديمة.

وقد ألح علينا الأخ (عبدالعزيز البركة) أحد جماعة المسجد هذا وأصله من الهند في أن تناول طعام الغداء في بيته القريب من المسجد، فاعتذرنا إليه بعذر صحيح، وهو أنه لا يزال لدينا في البرنامج عمل نخشى ألا نستطيع إكماله اليوم.

وكان من الجلسات الطيبة جلسة معهم بعد انقضاء صلاة الظهر على البساط الموحد (الموكيت) الذي فرشوا به أرض المسجد.

وقد طلبو أثناء هذه الجلسة مساعدة مالية من رابطة العالم الإسلامي من أجل ترميم المسجد وإصلاح ما يحتاج منه إلى إصلاح فطلبنا منهم أن يكتبوا إلينا الآن، بأن يُعدُّوا كتاباً يوضحون فيه بالتحديد ما يريدون مع أننا سوف ندفع لهم الآن مبلغاً رمزياً مشاركة في ترميم هذا المسجد الذي هو متوسط السعة بالنسبة إلى عدد المسلمين في الحي.

كما طلبوا من الرابطة أن ترسل إليهم إماماً مؤهلاً يؤمهم في الصلوات ويذكرهم، ويعلم أولادهم، فقلنا لهم: إن إرسال الإمام من بلدنا يحتاج إلى نفقة كبيرة وبخاصة تذاكره في أول مرة ثم في إجازاته إضافة إلى الراتب الكبير، وقد رأيت في بعض المساجد هنا أنهم عينوا إماماً من السكان المحليين بأربعمائة دولار وخمسمائة دولار في الشهر، فيمكنكم أن تفعلوا مثل ذلك وتخبرونا بوساطة السفارة حتى تساعدكم الرابطة فتدفع راتب الإمام إذا كان في الحدود التي ذكرناها.

إلى مسجد بلال:

انتقلنا من (مسجد النور) في (فيالونغا) إلى (مسجد بلال) في منطقة (فورت دي كازا) وهي منطقة غير بعيدة من الأولى، فسرنا في الوادي الخصيب الذي شملته العمارة بالأبنية المتعددة الطوابق (العمارات) وبينه وبين لشبونة هذه التلة العالية وليست جبلاً ولكنها أشبه بالرابية الكبيرة.

ويبعد عن مدينة لشبونة ٢٣ كيلومتراً مثل سابقه تقريباً، ولكن في اتجاه مجاور للأول إذْ لا تزيد المسافة بين المسجدين على خمسة كيلات.

وجدنا (مسجد بلال) واسعاً معتنى به في الفراش وكل ما يلزم له وهو طابق أرضي فيما يشبه (البدروم) من عمارة قصيرة ولكن فوقه قسم تابع له فيه غرف ومحلات للوضوء ومسكن الإمام كالعادة الجيدة المتبعة عندهم، وهي أن يعدوا مسكناً للإمام في مكان ملحق بالمسجد، لأن وجود الإمام بجانب المسجد ضروري ليس من أجل تسهيل وصوله إلى المصلى فقط وإنما من أجل مراجعة من يأتي إلى المسجد ويحتاج إلى أن يجد فيه من يستجيب له بإجابته إلى سؤاله، وقضاء حاجته أو حتى يفتح له المسجد إذا لم يكن الوقت وقت صلاة.



في محراب مسجد بلال في فورت دي كازا

إضافة إلى ما يعرفه كثير من الناس من كون إمام المسجد في بلاد الأقليات هو الذي يجهز جنائزهم ويصلي على موتاهم، ولكن في هذه المدينة يوجد المركز الإسلامي الكبير في لشبونة هو الذي يصلون فيه على أموات المسلمين طلباً للثواب في الدعاء للميت للصلاة عليه من عدد كبير من المسلمين، والإمام أيضاً هو الذي يفتي عامة المصلين ويرشدهم في أمور دينهم، ومن ذلك أنه أيضاً يلاحظ ما يتعلق بالمسجد حتى إن وجوده يسهم في الأمن للمسجد عن طريق معرفة الناس بأنه ساكن فيه.



درس ديني في مسجد بلال في فورت دي كازا

عندما وصلنا للمسجد كانت صلاة الظهر قد قضيت وشخص عرفنا فيما بعد أنه رئيس جمعية المسجد يقرأ درساً لجماعة من المصلين قد تحلقوا حوله عددتهم فوجدتهم ١٦ شخصاً من الذين كانوا صلوا الظهر وبقوا بعد

الصلاة لسماع هذا الدرس الذي هو على هيئة حلقة فهنأته لأنه تجري فيه مناقشة المسائل المذكورة فيه، وليس لمجرد الاستماع إليه.

ومعظم هؤلاء من أهل موزمبيق الذين هم من أصول هندية وصاروا يشبهون في ألوانهم وفي مظاهرهم البعيدة سكان البادية من بني قومنا، مع أن أن ملابسهم كلها نظيفة.

ورغم معرفة الأخ الذي يلقي الدرس بدخولنا لأنه رآنا ونحن ندخل ثم أذهب إلى المحراب والتقط صورة تذكارية فيه، فإنه استمر في درسه ولم يقطعه.

وبقينا نحن مستحسنين لفعله، لأنه الذي كنا نعرفه عن العلماء وطلبة العلم في بلادنا أن الشخص منهم إذا كان يلقي درساً فإنه لا يقطع درسه لحضور أشخاص ولو كانوا من ذوي الأقدار، وإنما العرف أنهم أيضاً لا يلقون إليه حتى السلام، وإنما يبعدون عنه قليلاً، أو يجلسون بقربه صامتين، حتى إذا فرغ من درسه سلموا عليه وسلم عليهم.

وبعد نحو ١٥ دقيقة انتهوا من الدرس وكان من علامات انتهائه الظاهرة أنهم جميعاً رفعوا أيديهم بالدعاء ثم انصرفوا وتبين لي أن عدهم (١٨).

وتبين أيضاً أن الذي كان يلقي عليهم هو الأخ (يعقوب محمد) رئيس جمعية المسجد، وهو برتغالي الجنسية أصله من موزمبيق، وحضر إمام المسجد الشيخ محمد إبراهيم من باكستان والأخ محمد عثمان المسئول عن إدارة شئون المسجد، وعدد غيرهم من أهل المسجد.

بدأت الحديث معهم بأن أخبرتهم أننا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وأننا زرناهم في مسجدهم للتعرف على مسجدهم، والاجتماع بهم والتذاكر معهم في التعاون ما بينهم وبين رابطة العالم الإسلامي على البر والتقوى.

ثم تحدثوا عن هذا المسجد وأنه انشيء في عام ١٩٩٠م، وأن عدد الذين يصلون الجمعة فيه ما بين ٥٠ إلى ٥٥ مصلياً، وفي الصلوات اليومية نحو ٢٥ وأنه أنشيء أول الأمر باسم المركز الإسلامي الكبير في لشبونة لأن له ترخيصاً رمسياً بإنشاء فروع له في لشبونة.

وذكروا أن النفقات اللازمة له يحصلون عليها من تبرعات المسلمين في هذه المنطقة، ومن ذلك أنهم يدفعون راتب الإمام (٥٠٠) دولار أمريكي، وهم لا يذكرون الدولار إنما يذكرون (اليورو)، وهو العملة الأوروبية الموحدة، وإنما نحن نذكر الدولار لأنه معروف لدى القراء عندنا أكثر من اليورو وهو يساوي اليورو على وجه التقريب.

وأخبرونا أنم يعدون افطاراً لـ٢٥ شخصاً في رمضان وفي نهاية الأسبوع يزيد العدد عشرة لأنه يأتي إليهم مسلمون من أماكن أخرى.

ثم تكلموا عن المسلمين في قرية أو منطقة (فورت دي كازا) فذكروا أنهم ١٢٠ نسمة أكثرهم من غينيا بيساو ويليهم أهل موزمبيق ثم المملكة المغربية.

وقال رئيس جمعية المسجد: لقد أسلم على أيدينا ثلاثة أشخاص من البرتغاليين منذ ثلاث سنوات.

وقبل أن نفارقهم قدمنا إليهم أ لفي دولار أمريكية مساعدة عاجلة للمسجد من رابطة العالم الإسلامي، وقلت لهم ما قلته لبعض أهل المساجد: إن

هذه المساعدة قليلة وليست مهمة، ولكن المهم أنا سنقيد مسجدكم ضمن المساجد المعروفة لدى رابطة العالم الإسلامي، وقلت لهم: إننا سنخبر إخوانكم المسلمين في بلادنا بما رأيناه منكم من الاجتهاد في الخير والانفاق بسخاء على هذا البيت من بيوت الله.

ثم دوعناهم وانصرفنا.

مصلى فيتايش:

وهذا مصلى صغير مضاف إلى الحي الذي يقع فيه وهو حي (فيتايش).

لم أجد فيه أول الأمر إلاَّ فتى كان فيه وفتحه لنا بعد تمنع، ثم اتصل بالأخ نائب رئيس المسجد وهو (محمد زاهد الحق) من بنغلاديش.



داخل مصلى فيتايش على يميني نائب رئيس جمعية المصلى

حضر الأخ محمد زاهد الحق وحدثنا عن هذا المسجد من أن أول افتتاحه كان في عام ١٩٩٢م اشتراه لهم المركز الإسلامي في لشبونة فهو إذاً مملوك للمسجد وليس مستأجراً، إلا أنه ضيق لا يكاد المصلى فيه يتسع لعشرين مصلياً وتتبعه غرفة فيها حمام ومطبخ وذكروا أنهم لا يصلون فيه إلا الصلوات الخمس، أما الجمعة فإنهم يذهبون إلى المركز الإسلامي الكبير.

هذا وقد قدم الأخ محمد زاهد الذي تبين أنه الإمام في المسجد أيضاً بسكويتاً وشراباً بارداً، وهو الوحيد بين المسئولين في المساجد وأئمة الصلاة التي زرناها هنا الذي قدم شيئاً لأنه لا أحد منهم قدم شيئاً يؤكل أو يشرب، ونحن نقول هذا لا لكوننا نريد أن يقدم لنا شيء من ذلك فضلاً عن أن نعتقد أن ذلك من حقنا، ولكنه من باب الإخبار بالواقع.

وذكر الإمام أن المسلمين في الحي يتكفلون بدفع نفقات الماء والكهرباء والإمام متطوع، فهو تاجر مثله مثل رئيس جمعية المسجد الذي هو تاجر له محل تجاري معروف.

والمصلى شقة في الطابق الثاني من عمارة غير عالية، ولكنه نظيف معتنى به.

وذكروا أن عدد المسلمين في حي (فيتايش) هذا هو ٢٦ شخصاً، ولا أدري أيريدون بذلك ٢٦ رجلاً أو يريدون به ٢٦ نسمة أي لا أدري أيدخلون أولادهم وأزواجهم في العدد، أم لا يفعلون ذلك.

ونوه الإمام محمد زاهد بأنه لم يعارض أحد من أهل الحي لا من الجيران الملاصقين ولا غيرهم في وجود هذا المصلى لديهم.

وقالوا: هذا المصلى يمتلئ بالمصلين في صلاة التراويح طيلة شهر رمضان، والمسلمون في الحي من حولهم من عدة أقطار، وليسوا من قطر واحد.

تركنا هذا المصلى بأن ودعنا أهله في الخامسة والربع ولم نتغد بعد فأخبرونا أن المطاعم تغلق في الثالثة إلا التي في الاستراحات، أو خارج المدينة فخرجنا إلى مطعم واقع على ضفة نهر (تيجو) حيث تختلط مياهه بمياه المحيط عند قرب مصبه فيه.

والضفة عالية جداً يشاهد النهر الذي كان الأندلسيون يسمونه (خور اشبونة) أو لشبونة في منظر أنيق لأن الشمس مشرقة، والزهور البديعة موجودة في حواشي المطعم، وهو نظيف جداً، بل مستواه راقٍ.

طلبنا فيه سمكاً جيدا فجاءوا به أنواعاً منوعة يعرضون علينا صوره وأكلنا ونحو أربعة من هذا السمك وما يتبعه من سلطة وغيرها بما يعادل خمسة عشر دولاراً للشخص الواحد، وهو رخيص بالنظر إلى حالة هذا المطعم وموقعه.

جولة سياحية أخرى:

سيكون يوم غد الاثنين آخر أيامنا في البرتغال لذلك رأينا أن نقضي ما تبقى من هذا اليوم في الإطلاع على معالم لشبونة التاريخية، وأن نختمه

بزيارة إلى آخر أوروبا من جهة الغرب، والمراد به آخر القارة الأوروبية دخولاً في المحيط الأطلسي من جهة الغرب، فهو معلم سياحي يأتي إليه السياح من أنحاء كثيرة من أوروبا.

مبنى الحبال:

مررنا على مبنى أصفر اللون مستطيل على هيئة الغرف الواسعة الطويلة جداً، وهو مبنى (الحبال) هكذا- جمع حَبْل- ولكنها حبال ذات معنى، إذْ كان البرتغاليون في زمن الاكتشافات الجغرافية التي مبعثها إلى جانب ذلك الطمع في خيرات البلدان التي يكتشفونها كانوا محتاجين إلى مجموعات ضخمة من الحبال القوية التي تربط بها السفن والبضائع فوق السفن، ولم يكن هناك تطور اقتصادي في ذلك الوقت لذلك كانوا يصنعون الحبال الطويلة هذه في هذا المبنى المسقوف الواسع وقد جعلوه طويلاً لكي يعملوا في الحبال على طولها حتى يمكن تفقدها وإصلاحها واختبار قوتها على الأرض، وبالنظر إلى أن البرتغاليين يعتبرون ذلك من أمجادهم التاريخية فقد احتفظوا بهذا المبنى واحتفوا به، وحُقَّ لهم ذلك.

أكبر كنيسة في البرتغال:

ليس من عادتي أن أضع عناوين للكنائس إلا إذا كان قيل إن أصلها مسجد أو لكون مبناها متميزاً بشيء مهم عن غيره.

وهذه الكنيسة كبيرة وممتدة حتى قالوا: إنها أكبر كنيسة في البرتغال، وقد بنيت بعد العصر العربي، إذْ كان بناؤها في القرن السادس عشر واسمها (موستا يرو دي جيروا نيموش).

كانت الساعة عندما وصلناها هي السادسة عصراً واليوم هو الأحد، ويفترض في مثل هذا اليوم أن يكون المتعبدون في الكنيسة كثراً ولكن العجب أنه كان غير ذلك، فقد دخلناها لأنها مفتوحة الأبواب للسياح وللمتعبدين، فلم أر فيها من المصلين إلا ٨ أشخاص أكثرهم من النساء المسنات مع أنها فيها مقاعد تتسع لألف مصلٍ وهذه قاعة من عدة قاعات في هذه الكنيسة الكبيرة.

قد يقال: إن الصلاة الرئيسية قد انقضت في منتصف النهار أو نحوه ولكن العادة أن يستمر حضور المتعبدين بعد ذلك في موعظة أو نحوها.

وقال أحد المرافقين: لقد أفلست هذه الكنيسة!

والواقع أن إفلاس الكنائس الذي معناه قلة المصلين هو أمر معروف في أكثر أنحاء أوروبا، وأذكر بهذه المناسبة أنني عندما كنت في مدينة (ايسيزي) في إيطاليا عام ١٤٠٩هـ لحضور الاجتماعات التي نادى لها (بابا روما) تحت عنوان (الصلاة من أجل السلام) جعلوا أي المسئولون في الفاتيكان معي مرافقين كبيرين من رجال الكنيسة عندهم أحدهما قس كبير سوري الأصل يعيش في لبنان، والثاني: قس أو ما أدري رتبته في الكنيسة ولكنها رتبة كبيرة، وهو إيطالي فكان الرجلان ملازمين لي من باب الإكرام لكوني قادماً من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، فكان الإيطالي يحدثني كثيراً والسوري يترجم لي ذلك، قال:

إنني أعمل الآن في مشروع يسمى مشروع (سان ديقو) هدفه إعادة ١٤٧ كنيسة في روما القديمة إلى العمل، إذْ أغلقت كلها أبوابها، ولم تعد تفتح للصلاة، ونعمل الآن على إعادة افتتاحها.

فسألته لماذا اغلقت تلك الكنائس أبوابها؟

فقال: لأنه لا يأتي إليها مصلون!

فقلت له: ولماذا لا يأتي إليها مصلون؟

فقال: الناس الآن جرفهم المجتمع الاستهلاكي، فهم يأكلون ويشربون ويتمتعون بالدنيا ولا يبالون بغير ذلك.

فقلت في نفسي: لا شك في أن مرجع ذلك ليس إلى المجتمع الاستهلاكي، وإنما لعدم اقتناعهم بما يقوله رجال دينهم عنه، وإلاَّ فإن الإنسان له حاجات روحية إلى جانب الحاجات التي يوفرها المجتمع الاستهلاكي، ولكنه الآن قد ارتقى تفكيره، وصار يبحث الأمور التي يطلب منه أداؤها بحثاً فكرياً فلا يقتنع بما يقال له عن دينه المسيحي الذي كان آباؤه يأخذونه دون بحث أو تمحيص.

وأقرب رد على ذلك في حالة الدين الإسلامي إذْ نجد الآن أن المساجد القديمة لا تكفي للمصلين، وإنما تعمل لها توسعات، وتنشي بجانبها أو غير بعيد منها مساجد أخرى، ولا نعلم أن مدينة كبيرة أغلقت فيها أعدد كبيرة من المساجد لعدم وجود مصلين! بل إن الشكوى المتكررة هي من ضيق المساجد بالمصلين.

رمز الاكتشافات:

بنوا قبالة هذه الكنيسة الكبيرة المهمة عندهم مبنى رمزياً ذكروا أنه يرمز إلى عهد الاكتشافات التي قام بها البرتغاليون، وقد جعلوه على هيئة مقدمة سفينة، وذلك أن وسائلهم إلى الاكتشافات كانت سفنهم كما هو معروف.

ويقع هذا الرمز في منطقة يسمونها منطقة (بيليم) وبيليم تعني (بيت لحم) التي هي المدينة التي ولد فيها السيد المسيح عليه السلام، و فيها مركز ضخم أسموه مركز (بيليم) الثقافي فيه مكتبة حافلة، وقاعة محاضرات وعرض لأفلام ثقافية متنوعة.

وقلت في نفسي: إنه جدير بنا أن نحتفي بالمكتشفين التاريخيين من بني قومنا الذين سجلوا ذلك في كتبهم أكثر ما سجلته الأمم الأخرى، في وقت سبق عصر الاكتشافات في أوروبا، ويجب أن يكون ذلك في مكان تجمع فيه كل الكتب والمؤلفات المتعلقة بذلك سواء منها ما كان مخطوطاً يجب أن تكون منه نسخ مصورة، أو مطبوعاً يجمع فيه أيضاً وخصوصاً ما يتعلق بالرحلات، وذلك أمر مهم بالنسبة إلى كاتب هذه السطور، لأنه كتب في الرحلات حتى الآن ١٦٩ كتاباً ولا يعرف من سبقه إلى كتابة مثل هذا العدد الكبير من المؤلفات في هذا الموضوع الذي هو موضوع الرحلات باللغة العربية، ولكنه الطمع بالكلام على أحوال المسلمين وأوضاعهم على مستوى العالم، وبخاصة في البلدان التي لا يكون فيه الوضع الثقافي الإسلامي واضحاً.

وقد تساءلت الآن وقبل الآن عن وضع البرتغال الاقتصادي بعد ذهاب عهد الاكتشاف ثم عهد الاستعمار وعهد امتصاص خيرات الشعوب، فأخبرني العارفون بالأمور أن البرتغال كانت أشبه بالذي يعيش على غيره، لأن مواردها المحلية محدودة، والمداخيل التي تدخل خزانتها من المستعمرات قد ذهبت، قالوا: والآن يساعدها الاتحاد الأوروبي مساعدات اقتصادية وفنية كبيرة من أجل أن تلحق بركب الأوروبيين، والظاهر أنها سوف تفعل ذلك، لأنها سائرة في طريق التطور الاقتصادي بنشاط.

ومن منطقة (بيليم) هذه عطفنا إلى منطقة السفارات الاجنبية ولنا فيها مكانان واسعان أولهما السفارة السعودية ومبناها مملوك لبلادنا والثاني: بيت السفير وهو واسع جيد المظهر، في منطقة مرتفعة نوعاً وهو ملك لبلادنا أيضاً.

استمر سيرنا قاصدين أبعد نقطة من اليابسة الأوروبية بالنسبة إلى المحيط الأطلسي فمررنا بحي اسماه أحدهم بلدة استرعى انتباهي فيه اسمه وهو (ريو دي مورو) وترجمتها الحرفية (نهر المغاربة) أو بتعبير علمي (نهر المورسكيين) والموريسكيون قلت فيما سبق إنها تعني العرب الذين بقوا في الأندلس تحت حكم أهلها الكفار بعد سقوط الدولة الإسلامية.

بلدة شنترة:

تجاوزنا بلدة (ريو دي مورو) من دون أن يكون لديَّ عنها خبر يقين ووصلنا إلى مدينة لدينا عنها خبر اليقين المحزن وهي بلدة (شنترة) وهكذا كان ينطق العرب الأندلسيون باسمها بشين في أوله مفتوحة ثم نون ساكنة، وينطق البرتغاليون الآن به (سنترا) كما قد تكون النسبة إلى السنتر بمعنى الوسط، ولكن لا علاقة لاسمها بالسنتر الذي يسميه البرتغاليون، بل كل ذوي اللغات التي ترجع إلى أصل لاتيني (سنترو) وهي الآن مدينة واسعة ذات ضواحٍ متعددة، ومعتنى بها، شوارعها جيدة التزفيت، وأرصفتها تنطق بالعناية ووجه النقص فيها هو ضيق شوارعها الذي لم يقتصر عليها وإنما هو طابع الشوارع في كل تلك المنطقة.

والحقيقة أنني قد قصرت في حق (شنترة) هذه التي ملكها العرب وعمروها بل طوروها وبقيت في أيديهم نحواً من ٤٨٠ سنة، إلى أن انتزعها منهم البرتغاليون في عام ٥٤٣ هجرية أي في القرن السادس الهجري، وتبعد ٢١ كيلومتراً من لشبونة.



المؤلف على رصيف أحد الشوارع في شنترة(سنترة)

وكان ينبغي أن أخصص لها وقتاً استجلي فيه معالمها، وأشاهد ضواحيها ومركزها وأصف ذلك كله لقراء العربية الكرام حتى تنهض هممهم وتتحرك عزائمهم ليس من أجل استرجاعها، فذلك غير ممكن، وإنما من أجل المحافظة على بلادهم التي بأيديهم الآن، بل وحسن القيام عليها حتى يكونوا في مصاف هذه الأمم الراقية في الصناعة والزراعة، وقبل ذلك في الإدارة.

ومدينة (شنترة) أو (سنترا) كما ينطق بها البرتغاليون واسعة، ممتدة النواحي، متفرقة الأحياء، إلاَّ أن أرضها غير مستوية بل فيها ارتفاع وانخفاض، ولذلك صار من أجمل ما فيها تلة تقع في شمالها خضراء ترصعها البيوت والمنازل البيض حتى غدا منظرها مونقاً في النظر.

وتجاورها تلة من تلال الغابات الكثيفة متروكة غفلاً حتى تبقى طبيعية، و قد تبين لنا بعد ذلك أن أكثر التلال التي تقع بينها وبين المحيط مائلة إلى الجنوب عنها قليلة قد بقيت كلها حدائق طبيعية لا تمس، إلا مادعت الحاجة إليه من طرق أو نحوها، خارجاً عن القرى وتجمعات البيوت.



عربة يجرها حصانان في أحد شوارع شنترة (سنترة)

وتكررت هنا مشكلة كثرة السيارات في طرقها حتى خارج المدينة مع ضيق الطرق، فالطريق لا يتسع لأكثر من سيارتين متقابلتين، مفصولاً بين الذاهبة منها والآيبة بخط.

وقد أخبرني من بحثت معهم كثرة السيارات هنا في البرتغال عامة فأجابوا بأن الشعب البرتغالي كله تقريباً يقتني السيارات، إضافة إلى عدم اتساع الطرق الذي يظهر هذه السيارات وكأنها أكثر مما هي عليه في الحقيقة.

قال صاحب الروض المعطار:

شِنترة: من مدائن الأشبونة بالأندلس، على مقربة من البحر، ويغشاها ضباب دائم لا ينقطع، وهي صحيحة الهواء تطول أعمار أهلها، ولها حصنان في غاية المنعة، وبينها وبين البحر قدر ميل، وهناك نهر ماؤه يصب في البحر ومنه شرب جناتهم، وهي أكثر البلاد تفاحاً ويجلّ عندهم حتى يبلغ دورها أربعة أشبار، وكذلك الكمثرى، وبجبل شنترة ينبت البنفسج بطبعه ويخرج من شنترة عنبر جيد، و يخرج أيضاً في شذونة من بلاد الأندلس.

إنتهى.



الأخ المرافق محمد شيشاح في أحد ميادين شنترة (سنترة)

قرية كولاريس:

لم نكد نغادر ضاحية (شنترة) حتى وقعنا في قرية اسمها (كولاريس) بجانبها مباشرة طريق مظلم، لأنه وسط غابة قد تعانقت أغصان أشجارها لضخامتها وضيق الطريق.

ولاحظنا أن أرض هذه المنطقة أخصب من أرض لشبونة، فالمزروعات أكثر نضارة والأشجار الطبيعية أكثر التفافاً وربما كان مرجع ذلك لقربها من المحيط بالنسبة إلى لشبونة وذلك يجعلها تتلقى مقادير من أبخرة الماء ومن الأمطار التي تسقط عليها لكونها عالية الموقع نسبياً، ولم

نكد نترك قرية (كولاريس) حتى وصلنا إلى قرية صغيرة اسمها (موسيفال) الطريق عندها ضيق أيضاً.



قرية كولاريس في منطقة شنترة (سنترة)

وقال مرافقنا الأخ محمد شيشاح: نحن نجلب الذبائح من هذه القرية وما جاورها لأن الغنم كثيرة فيها وهي أرخص من غيرها، وذكر أن سعر كيلو اللحم حيّاً بمعنى أن الخروف يوزن وهو حي ويباع كذلك بالكيلو وسعره ثلاثة يورات أي ما يقارب ٣ دولارات للكيلو الذي فيه صوف وفرث ودم كل ذلك يوزن معه حيّاً، ولم يعرف كم يبيعون اللحم هنا صافياً، وذلك أنهم غير مرخص لهم ببيع اللحم إلا في المجازر، أما بيع الخروف حيّاً فإن ذلك مباح كما هو ظاهر.

والشـارع العـام فـي قريـة (موسيفال) أوسع منـه فـي قريـة (كـولاريس) وقال الأخ محمد المغربي وهو يعرف المنطقة: إن هذا الطريق الضيق كان هو الطريق السريع في القديم، وقد صار الآن طريقاً معتاداً أو أضيق من ذلك.



قرية من قرى شنترة (سنترة)

هذا ولا تـزال المنطقـة التـي نسير فيهـا جبـالاً خضـراً تكثـر المنـازل البيض الصغيرة في الأماكن المنخفضة منها، وتشملها الغابات ما عدا ذلك.

وعلى يمين الطريق الذي نسير فيه وادٍ أخضـر منخفض فيـه البسـاتين والمنازل، وتكاد تتشابك فيه منازل القرى.

ويرد إلى الذهن بهذه المناسبة ضيق بلاد البرتغال التي تبلغ مساحتها مع الجزر التابعة لها ٩٢,٩٣٠ كيلو متر مربع، وعدد سكانها الذي يبلغ عشرة ملايين نسمة، وأننا إذا أخذنا الجمهورية اللبنانية مقياساً نعتبر أنها واسعة فلبنان مساحته عشرة آلاف متر مربع وأربعمائة ونيف، وسكانها ثلاثة ملايين ونصف، فتكون البرتغال أوسع منه أرضاً وأقل سكاناً بالنسبة إلى مساحة أرضها، وهناك شيء آخر مهم في هذا الأمر وهو أن البرتغال مثل أكثر السكان في أوروبا سكانها ينقصون أو هم لا يزيدون بسبب الحياة العصرية الحاضرة، ولذلك يكاد عدد سكانها يكون ثابتاً.

أما في لبنان فإن السكان يزيدون كما هو معروف.

بلدة اسمها عربي:

معظم مدن الأندلس سواء في البرتغال او في إسبانيا ذات أسماء أعجمية عرب العرب بعضها بمعنى أنهم أخضعوا النطق به لبعض القوالب اللغوية العربية، وبقيتها أبقوه على حاله، ومن ذلك لشبونة عاصمة البرتغال و(شنترة) هذه التي فارقناها قبل قليل، ولكن توجد بلدان أسماؤها عربية أبقى البرتغاليون على اسمها العربي القديم مثلما أبقى الإسبان على اسم عاصمتها مدريد الذي هو اسمها العربي- من حيث الثقافة- البربرية من حيث الاشتقاق اللغوي (مجريط).

ومن المدن التي بقي لها اسمها القديم بلدة وصلناها الآن اسمها (ازويا) ومعناها الزاوية هكذا قرر الباحثون من عرب وبرتغال.



الشارع الرئيسي في قلب بلدة الزاوية (بعد غروب الشمس)

أكثر بيوت هذه القرية ذات الاسم العربي من طابق واحد، وهي أقل حسناً في مظهرها من القرى الأخرى، وهذا هو ما رأيناه منها ونحن نسير مع شارعها العام الذي هو الطريق الرئيسي في المنطقة.

وقال الأخ محمد المغربي: إنها بلد المعتمد بن عباد أو قال إن المعتمد بن عباد أقام فيها أو ذكرها في شعره: ولا يتذكر كيف كان ذلك.

ذكر ياقوت الحموي بلدة الزاوية الأندلسية هذه فقال[١]:

(١) معجم البلدان.

الزاوية: أيضاً: من أقاليم اكشونية بالأندلس، وفي رسم (أكشونية) قال: أكْشونية بفتح الهمزة وسكون الكاف، وضم الشين المعجمة، وسكون الواو وكسر النون، وياء خفيفة: مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل (اشبونة) وهي غربي قرطبة، وهي مدينة كثيرة الخيرات، برية بحرية، قد يلقى بحرها على ساحلها العنبر الفائق الذي لا يقصر عن الهندي.

إنتهى.

واشبونة هنا هي لشبونة.



الغابات العذراء في الطريق إلى أبعد نقطة من أوروبا جهة الغرب

رأس روكا:

المراد بالرأس هنا اللسان من الأرض أو الجزء الناتي منها داخلاً في البحر ويسميه البرتغاليون (كابو دا روكا) بهذا المعنى فكابوا رأس بلغتهم، ويتبادر من ذلك إلى ذهني اسم مستعمرتهم السابقة التي هي مجموعة من الجزر في المحيط الأطلسي واقعة تجاه مدينة داكار عاصمة السنغال من جهة الغرب ويسمونها (كابو فردي) فكابوا: رأس وفردي: أخضر وهي التي نعرفها بالعربية باسم (الرأس الأخضر) وقد ذكرتها بالتفصيل في كتاب: (من أنقولا إلى الرأس الأخضر) وهو كتاب مطبوع ذكرت فيه أنها ليست رأساً وليست خضراء.



مجموعة من الناس يتأملون في أبعد نطقة من أوروبا في المحيط الأطلسي من جهة الغرب

وهذا هو هدفنا من الخروج في هذا الأصيل، وهو راس أي مكان بارز من الأرض داخل في البحر الذي هو المحيط الأطلسي ولكنه جبلي مرتفع بحيث يمتد منه نظر المرء إلى مسافات بعيدة من المحيط الأطلسي.

وأهميته عند الأوروبيين أنه أبعد نقطة في القارة الأوروبية ذهاباً جهة الغرب أي أكثرها دخولاً في المحيط الأطلسي من جهة الشرق، ويبلغ أرتفاعه عن مستوى سطح البحر ١٤٠ متراً، وهذا الارتفاع لا يساوي شيئاً لو كان متدرجاً، ولكنه هنا واقف وقوفاً كالجدار الواقف، ولك أن تتصور جداراً ارتفاعه ١٤٠ متر واقفاً بدون انحناء أمامك، ومن هذا الجزء من الجبل الذي هو كالحائط تشاهد مسافات بعيدة من ساحل البرتغال إلى الشمال والجنوب منك وتشاهد المحيط الذي أسماه أسلافنا العرب بالبحر المحيط الأعظم، بل سموه أسماء أخرى مثل بحر الظلمات، والبحر الأخضر، وخلعوا من خيالهم على ما لم يصلوا إليه منه أشياء غير صحيحة، منها أن فيه نهراً عظيم الجرية مع أنه لا يكون في داخل المحيط أنهار ولعلهم يريدون بذلك تيارات مائية أو زوابع، و ذكروا أنه منتن، ولا أدري من أين يأتي النتن إلى ظهر المحيط في داخله.

وصلنا إلى رأس روكا ولا أدري معنى روكا، إلا أن تكون له علاقة بكلمة (رك) بمعنى صغرة الإنكليزية فهو جدير بأن يكون كذلك لأنه رأس صخري وتكون ترجمته الحرفية، على هذا رأس الصخرة أو الرأس الصخري أو نحو ذلك.

كان وصولنا إليه قبل أن تغرب الشمس بـ ٩ دقائق.

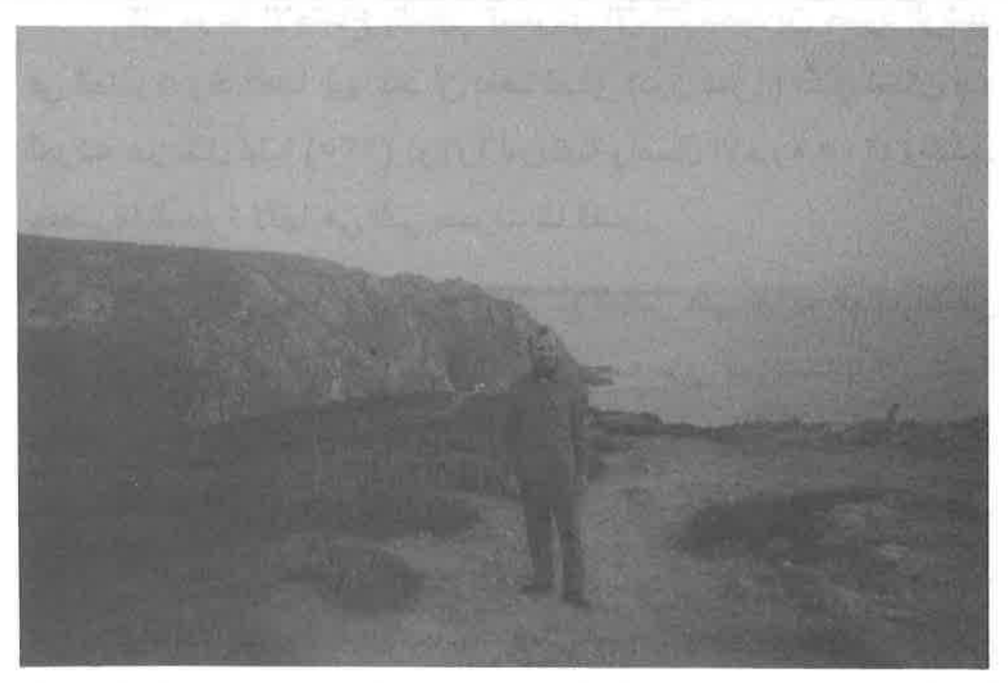


المؤلف واقف بجانب امراة جالسة جلسة تأمل في أبعد نقطة أرضية داخلة في الأطلسي من أوروبا

وكان من أهم ما فيه غير ما ذكرته نصب أنشيء في عام ١٩٧٩م، فوقه صليب.

وقد ذكرني هذا برأس مماثل له من جهة دخوله في المحيط ولكن من جهة أخرى معاكسة لهذه ، وموقعه أقل ارتفاعاً من هذا ويقع في ضاحية لمدينة (سان جورج) عاصمة جزر (نيوفوند لاند) الواقعة في أقصى شرق كندا، وهي منضمة معها في اتحاد فيدرالي، إذْ نصبوا نصباً شبيهاً بهذا وكتبوا عليه إن هذه النقطة هي أقرب نقطة من اليابسة في العالم الجديد (الأمريكيتين) إلى قارة

أوروبا، و قد ذكرت ذلك في كتاب: (جولة في جزائر المحيط الأطلسي) كان الهواء فوق هذا الرأس البرتغالي بارداً، لأن الشمس غربت ونحن فيه ورأيت عدداً من السياح يرتعشون من البرد، لأنهم لم يأخذوا للأمر أهميته.



المؤلف يقف في أبعد نقطة من أوروبا داخلة في المحيط الأطلسي من جهة الغرب

وقد غادرناه بعد غروب الشمس بقليل عائدين إلى فندقنا في لشبونة، ويبعد عن أول مدينة لشبونة بـ٣٤ كيلومتراً.

وقد مررنا في طريق العودة بقرية الزاوية فالتقطت صورة لشارعها بعد غروب الشمس ولا أدري أتكون واضحة أم لا.

يوم الاثنين: ١٤٢٣/٨/١هـ:

اجتماعات في السفارة السعودية:

كان موعد الاجتماع بالسفير السعودي الأستاذ محمد بن حمود الرشيد في العاشرة، وقد ذهبنا إليها بعد أن دفعنا لفندق (دون بدرو) الذي نسكن فيه أجرته عن كل ليلة (١٣٥) دولاراً أمريكية وأصل الأجرة ٢٠٥، ولكنهم خفضوها للسفارة لأنها هي التي حجزت لنا الفندق.

الغرض من هذا الاجتماع الاتفاق مع السفير على توزيع المبلغ المالي الذي أمر المقام السامي الكريم في بلادنا بتوزيعه على المؤسسات الإسلامية وأماكن الصلاة في البرتغال وقدره ١٨٥ ألف ريال، وليس هو وحده، بل إن معي مبلغاً من المال من رابطة العالم الإسلامي لهذا الغرض أيضاً فعلى سبيل المثال اتفقنا على أن نعطي الجمعية الإسلامية في (بالميلا) ثلاثين ألف ريال من هذا المبلغ الذي كان الأمر الحكومي السعودي بأن تتفق السفارة مع الرابطة على توزيعه على المؤسسات الإسلامية في البرتغال وأعطيتهم أيضاً ثلاثة آلاف دولار أمريكية مما معنا.

إضافة إلى مبلغ آخر كان السفير جزاه الله خيراً قد حصل عليه من أهل الخير في بلادنا وهو الذي حملنا منه عشرة آلاف دولار إلى المركز الإسلامي في مدينة (بورتو).

اتخذنا محضراً مع السفير على توزيع المبلغ حسب مرئياتنا، وحسب ما لدى السفارة من معلومات سابقة عن تلك الجمعيات وأماكن الصلاة في البرتغال.

ثم قضيت بقية الوقت مع السفير في أحاديث عامة تتصل بالأحوال العامة في هذه البلاد وبأحوال المسلمين خاصة.

وكان يعاقب علينا القهوة العربية والشاي تحضرها عاملات برتغاليات في السفارة.

وعندما دخل وقت صلاة الظهر صليناها مع الإخوة في السفارة جمعنا إليها العصر قصراً أيضاً.

مأدبة وداعية:

أبى السفير الكريم محمد بن حمود الرشيد إلا أن يضيف إلى كرمه السابق كرماً لاحقاً فطلب أن نذهب معه إلى مأدبة غداء وداعية يقيمها لنا، وكان أقام حفلة عشاء واسعة حضرها إلى جانب كل العاملين في السفارة أشخاص عدة من زعماء المسلمين وبعض سفراء المسلمين، فذكر أن مأدبة الغداء هذه سيقتصر حضورها على موظفي السفارة.

ذهبنا معه إلى مطعم آخر فخم غالٍ جداً واقع على شاطئ نهر (تيجو) العظيم وهو مطعم متخصص بتقديم وجبات الأسماك والأحياء البحرية.

ومن أهم ما فيه أنك تذهب لترى الأسماك والأحياء البحرية ومن بين ذلك الأربيان الذي تسميه العامة عندنا (الربيان) وهو عند المصريين (الجمبري) فتطلب ما تريد منها فيطبخونه أو يشوونه حسبما تريد.

ورأيت من بين الأسماك أنواعاً لم نعرفها في بلادنا.

كانت الوجبة كثيرة ومنوعة وشهية ومن المقبلات فيها سردين مملح ومع الملح فيه الثوم يأكله الإنسان جميعه كما يأكل الجراد.

وقد حضر المأدبة أربعة من موظفي السفارة.

مغادرة لشبونة:

في الثالثة ظهراً كنا نفرغ من الغداء ونودع سفيرنا الحصيف الأستاذ محمد بن حمود الرشيد والذين معه من أهل السفارة، ونخرج إلى المطار معنا الأخ المرافق محمد شيشاح المغربي، وكانت معه بطاقة رسمية تخوله دخول المطار كما فعل عندما قدمنا إلى لشبونة.

وقد بقي هذا الأخ المغربي الكريم معنا حتى تجاوزنا منطقة الجوازات، بل حتى دخلنا غرفة الدرجة الأولى فودعناه شاكرين.

وجدنا قاعة كبيرة اطلقنا عليها غرفة الدرجة الأولى تجوزاً وإلا فإنه ليس في أكثر طائراتهم التي تسافر داخل دول الاتحاد الأوروبي، ومنها هذه التي نسافر عليها درجة أولى وإنما أعلى ما فيها هي درجة رجال الأعمال.

وفي غرفتهم هذه مأكولات خفيفة ومشروبات منوعة باردة وحارة، ولكنها أقل في ذلك من مثيلاتها في الخليج العربي كالبحرين ودبي فضلاً عن سنغافورة وماليزيا.

ثم دهبنا إلى بوابة الخروج إلى الطائرة، وكان تفتيشهم للآمن رمزياً، ولم نلاحظ أنهم خصونا بأي شيء من زيادة التفتيش أو ما يشعر بأنهم يشكون بنا، كما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الخامسة والثلث عصراً كنا نقلع مغادرين مطار لشبونة إلى مدريد، وللحديث عن مدريد وبلاد الأندلس في أسبانيا كتاب آخر عنوانه: (رحلة الأندلس) بإذن الله.

الاقتصاد البرتغالي في سطور:

أدت الجهود الكبيرة التي بذلتها البرتغال خلال السنوات الأخيرة إلى أحداث موجة من التطور الاقتصادي والاجتماعي الكبير بالإضافة إلى تحديث كافة مرافق المعيشة، ويتسم الاقتصاد البرتغالي في المرحلة الحالية بإمتلاكه لقدر كبير من الانفتاح على الخارج، وذلك كنتيجة مباشرة لظاهرة التدويل الاقتصادي التي يشهدها العالم، كما يتميز بقدر واضح من التطور والتحديث مما مكن البرتغال من الأنضمام المبكر إلى مجموعة دول العملة الأوروبية الوحدة (اليورو)، وقد تعززت في البرتغال خلال فترة السنوات الأخيرة ظاهرة تدويل وخصخصة الشركات الوطنية وتأسيس الشركات والمشروعات الأجنبية في البرتغال.

وتعتبر البرتغال بمثابة شريك مهم في مجال التجارة الأوروبية كما تعزز دورها خلال السنوات الأخيرة في مجال التجارة العالمية.

كما تعد البرتغال مقصداً سياحياً يرتاده السياح من كل أنحاء العالم خاصة من دول الإتحاد الأوروبي، وقد ساعد على ذلك المناخ الممتاز وكثرة الشواطئ التي تمتد من جنوب البلاد إلى شمالها وتعدد وتنوع المناطق الطبيعية وثراء المعروض السياحي وتحديث المرافق الأساسية.

كما تمكن قطاع السياحة في البرتغال خلال فترة السنوات الأخيرة من تحقيق معدل نمو مرتفع نتيجة للزيادة الواضحة في عدد السياح والزائرين بصفة عامة.

الجدير بالذكر أن البرتغال قد إحتلت خلال عام ١٩٩٩م المركز الـ١٥ في قائمة أهم المقاصد السياحية الكبرى في العالم مما يعكس نجاح البرتغال في إستمرار تواجدها في مجال السياحة العالمية، وذلك على العكس مما حدث لبعض منافسيها الأوروبيين.

مما يذكر أن عدد الزائرين الذين تستقبلهم البرتغال سنوياً يبلغ ٢٨ مليون زائر من بينهم نحو ١٢ مليون سائح.

هذا ويمكن القول إن أبرز مظاهر قوة الاقتصاد البرتغالي تتمثل فيما يلي:

- انخفاض تكلفة الأيدي العاملة نسبياً.
- إرتفاع معدلات الاستثمار المباشر المحلي و الأجنبي.
- صلابة قطاعي البنوك والسياحة حيث تمثل السياحة ٩% من الناتج القومي الاجمالي وهي أعلى نسبة في دول الاتحاد الأوروبي.
- التحسن السريع الذي شهدته البنية التحتية وبصفة خاصة في قطاع المواصلات والطرق.
- ارتفاع كفاءة ميناء لشبونة البحري.
- ارتفاع إنتاجية قطاعات الغزل والنسيج والملابس الجاهزة.
- ارتفاع الإنتاج القومي من الموالح والفواكه والفلين والسردين.

وسائل الإعلام:

- توجد حرية تعبير كاملة في البرتغال كما تتميز الصحافة بالاستقلالية التامة.
- وعلى الرغم من ذلك فإن معدل تداول الصحف يعد من بين أقل المعدلات في دول الاتحاد الأوروبي.
- ويمثل كل من الإذاعة والتلفزيون المصدر الرئيسي للأخبار مما يعكس نسبياً ارتفاع نسبة الأمية في البلاد مقارنة ببقية دول الاتحاد الأوروبي، وفي عام ١٩٩٢م بدأت في البث محطتان تلفزيونيتان تابعتان للقطاع الخاص هما: (SIC) و(TVI) مما وضع نهاية للإحتكار التلفزيوني من جانب الدولة التي ما تزال تسيطر على قناتين هما : (RTPI) و(RTP)،

كما توجد في البرتغال ١١ صحيفة يومية و٥ صحف أسبوعية والعديد من المحطات الإذاعية العامة والخاصة.

البرتغال ومستعمراتها السابقة:

تنعكس العلاقات الثقافية والتاريخية الثرية والعرقية للبرتغال مع العالم من خلال اللغة البرتغالية التي يتحدث بها اليوم أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة موزعين على القارات الأوروبية والإفريقية والأمريكية.

وقد كانت البرتغال من الدول المستعمرة الرئيسية خلال القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي، حيث قامت بتوسيع رقعة نفوذها في الخارج وحصلت على مواقع مهمة في كل من أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا، وكان لهذا الموروث الاستعماري أثر كبير على العلاقات البرتغالية مع عدد من الدول مثل إندونيسيا، والصين، والبرازيل، واستراليا، وأنجولا وموزمبيق.

احتفظت البرتغال بعلاقات خاصة مع مستعمراتها المستقلة في إفريقيا (الرأس الأخضر وموزمبيق وغينيا بيساو وساو تومي وأنجولا) وذلك من خلال إقامة رابطة الدول الإفريقية الناطقة باللغة البرتغالية والذي يُطلق عليها اسم (PAIOP) في عام ١٩٩٥م، وتهدف إلى دعم وتعزيز العلاقات السياسية والتجارية والاقتصادية بين الدول الأعضاء، كما إنضمت إليه أيضاً تيمور الشرقية بصفة مراقب.

أما إقليم تيمور الشرقية، الذي كان يخضع للبرتغال، فقد ضمته إندونيسيا في عام ١٩٧٥م، مما أدى إلى نشوب حالة من العداء بين البلدين

على مدى الثلاثة والعشرين عاماً الماضية إلى أن تم استعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين من خلال فتح مكاتب لرعاية المصالح في عام ١٩٩٩م، ثم تم تبادل السفراء في عام ٢٠٠٠م، وذلك في أعقاب التغييرات السياسية التي شهدتها إندونيسيا بعد إبعاد الرئيس الإندونيسي سوهارتو والاستفتاء الذي جرى بشأن إقليم تيمور الشرقية.

أما بالنسبة لإقليم (مكاو) الذي كان خاضعاً للإدارة البرتغالية فقد إنتقل من الإدارة البرتغالية إلى السيادة الصينية في ديسمبر ١٩٩٩م.

العلاقات البرتغالية- العربية:

العلاقات العربية البرتغالية ثمرة قرون من التواجد وحسن الجوار، فقد ترك العرب المسلمون أثر بقائهم في البرتغال لأكثر من خمسة قرون تراثاً ضخماً من الثقافة والعلوم الإنسانية مما أسهم بشكل جذري في صياغة الحاضر البرتغالي في جميع مظاهره الحضارية والبشرية والثقافية، وتسعى البرتغال إلى تعزيز علاقاتها مع الدول العربية أخذة بعين الإعتبار القواسم التاريخية المشتركة والتقارب الجغرافي الذي يميز الدول العربية في جنوب المتوسط، وقد إنفتحت البرتغال بدرجة كبيرة على دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خلال فترة السنوات الأخيرة، وذلك إنطلاقاً من سعيها في أن يكون لها دور إقليمي ودولي فعال.

العلاقات البرتغالية السعودية:

منذ أن بدأ التمثيل الدبلوماسي بين المملكة العربية السعودية والبرتغال في ١٨ يونيو ١٩٨٠م، والعلاقات الثنائية تنمو بشكل متين وتشهد تطوراً كبيراً وملموساً في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية.

كما تجلى هذا التطور من خلال موقف البرتغال الإيجابي إبان أزمة الخليج، حيث أيدت البرتغال كافة القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي ذات الصلة بالعدوان العراقي على دولة الكويت وساهمت بفريق طبي مع قوات التحالف الدولي فضلاً عن السماح باستخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقاعدة الجوية في جزر الأزور وذلك لتقديم الدعم والإمدادات للقوات الجوية الأمريكية إبان العمليات العسكرية لقوات التحالف.

كما تم خلال السنوات الأخيرة تبادل الكثير من الزيارات بين المسؤولين ووفود رجال الأعمال في كل من المملكة العربية السعودية والبرتغال كما كللت هذه الخطوات بالزيارة الرسمية الحالية التي يقوم بها للبرتغال صاحب السمو الملكي الأمير/ سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض تلبية لدعوة من الحكومة البرتغالية.

التراث العربي في البرتغال:

استمر الوجود العربي والإسلامي في البرتغال- التي كانت تشكل آنذاك الجزء الغربي من الأندلس- لمدة تزيد على خمسمائة عام، وقد قامت

الحضارة العربية والإسلامية بدور حاسم في تحديد خصوصية الثقافة ونمط الحياة في البرتغال والهوية البرتغالية بشكل عام.

وعلى رغم تعرض معظم الآثار الإسلامية في البرتغال بشكل عام وفي مدينة شلب بشكل خاص لعمليات تدمير متعمدة بعد إنتهاء الوجود الإسلامي وعودة المسيحيين للسيطرة عليها إلا أن آثار الثقافة الإسلامية ما تزال واضحة في أنحاء متفرقة من البرتغال خاصة في مدينة شلب التي كانت لفترة طويلة عاصمة للحكم الإسلامي وشهدت مولد عدد كبير من علماء وشعراء وأدباء وفلاسفة الأندلس.

ورغم صدور قرار الملك البرتغالي دون مانويل الأول في عام ١٤٩٦م القاضي بطرد العرب واليهود إلا أن عملية التغلغل الثقافي الإسلامي قد استمرت، حيث تواصلت عملية تدفق المفردات الثقافية العربية الجديدة إلى اللغة البرتغالية.

ولهذا فإن المؤرخون يجمعون على أن الخصائص الثقافية والحضارية للبرتغال تعد ثمرة لماضٍ روماني- عربي مشترك انتهى في أواسط القرن الثالث عشر بضم آخر البقاع الإسلامية في البرتقال.

كما أن الشعب البرتغالي واللغة والعناوين والأساطير والثقافة ما تزال تكشف في كثير من جوانبها وحتى يومنا هذا عن مظاهر هذا الإندماج العتيد والعريق الذي نجح في البقاء التاريخي.

إن عملية الإنبهار بالإسلام من جانب البرتغاليين الأوائل كانت أمراً لا محيص عنه، وذلك نظراً لسمو وتفوق الثقافة العربية بالمقارنة مع قسوة وغلظة شعوب شمال أوروبا آنذاك.

لذلك فإن العرب يرتبطون في ذاكرة الشعب البرتغالي- ومنذ أزمان بعيدة- بكل ما هو ساحر وبديع وزاخر.

كما أن الروايات والقصص العربية تشكل جزءاً مهماً من الفلكلور والتراث البرتغالي.

ولم يأت هذا الإرث من غرب الأندلس فحسب بل أتى أيضاً من الكنوز التي جلبها المستعمرون والبحارة البرتغاليون من مناطق المغرب والمشرق والشرق الأقصى حيث احتكوا مراراً وتكراراً بحضارة الإسلام.

وإن ما حصل عليه البرتغاليون من هذه الرحلات البحرية لا يتمثل فقط في البهارات والأحجار الكريمة، بل وايضاً وبصفة خاصة في المعايشات والمفردات والعادات.

وبالإضافة إلى ذلك فإن المظاهر العرقية و الثقافية والإنسانية والمادية والحضارية للشعب البرتغالي قد تاثرت كثيراً بالحضارة والثقافة الإسلامية، حيث دخلت اللغة البرتغالية أكثر من ١٠٠٠ كلمة عربية كما تم إطلاق الأسماء العربية على العديد من المدن والقرى والتجمعات السكنية البرتغالية التي ما تزال تحتفظ بتلك الأسماء حتى يومنا هذا، بل إن الشعر البرتغالي ذاته- خاصة الشعر الغنائي- قد تأثر هو الآخر بالقصيدة العربية.

ويتجلى تأثير الحضارة العربية والإسلامية في البرتغال في العديد من المجالات من أهمها:

مجال الأدب: حيث نجد التأثير العربي واضحاً في الشعر البرتغالي وذلك من خلال المقارنة البسيطة بين بعض القصائد الغنائية البرتغالية- الجاليكية وبين (كتاب الألحان) لابن قزمان مثلاً، بل إن المفردات المستخدمة مثل صور (الحبيب) أو (الرقيب) تؤيد مثل هذا التشابه، بل وحتى العالم الفلسفي والشعري للشاعر البرتغالي الشهير (لويش دي كامويش) والذي يمثل أحد أبرز أتباع تيار التنوير يعتمد على أنماط التفكير الإسلامي والشعر البروفنسي- مثلما حدث مع الشاعر الإيطالي دانتي أليغيير- حيث نجد أن الأحداث في بعض مؤلفاته الأدبية مستوحاة من مصدر عربي.

في مجال القانون: نجد بعض مسميات وهياكل الوظائف الإدارية تشير بدورها إلى مظاهر التأثير الثقافي.

في مجال الأغذية: يكفي أن نقارن بين أوصاف العادات المذكورة في الدلائل الأندلسية وبين وصفات إعداد الأطعمة في العصور الوسطى والتي وصل كثير منها كما هو إلى أسلوب الطهي البرتغالي الراهن.

وفي مجال الأزياء: نجد التأثير الإسلامي ممتداً ليشمل من يمتهنون حرفة الخياطة (الخيط Alfaiate)، (الجبّاب Algibebe) وكذلك مسميات قطع الأزياء مثل (الجبة Algibeira).

إن هذا التأثير الإسلامي الذي برز طوال فترة العصور الوسطى ما يزال ملحوظاً في الأزياء الخاصة بعصر التنوير ثم بدأ فقط في الإضمحلال في العصور الحديثة بتأثير من شمال أوروبا وبصفة خاصة فرنسا.

في مجال الفنون المعمارية والعمرانية: حيث تبرز تقنيات البناء العسكري والأبنية الطينية وأبنية الطوب اللبن، والتي أصبحت اليوم موضوعاً للاهتمام من جديد من جانب المصممين المعماريين، وذلك مع ظهور الاتجاه إلى العودة إلى الأبنية الطينية وأبنية الطوب اللبن.

ولا ننسى الأسلوب المعماري السائد في منطقة (ألينتيجو Alentejo) البرتغالية والذي يطلق عليه اسم (المودجار Almodejar) نسبة إلى الكلمة العربية (مدجّن) إلى جانب الأسلوب المعماري الآخر الذي يُطْلق عليه اسم (ماتيلينو Manuelino) بالإضافة إلى التفاصيل المعمارية الأخرى مثل الرسومات الهندسية في واجهات المنازل في ألينتيجو و(الجرف Algarve) والنوافذ والأبواب المزودة بشعْرية أو المشربيات والسُطيحات، وأشكال وهياكل المنازل والمداخن في مطقة ألينتيجو كذلك والمداخن ذوات الشكل الدائري في منطقة (الغَرْف) وتلك المستخدمة في المراقبة والخزانات.

بل إن البيوت الريفية المتفرقة في منطقة ألينتيجو ما تزال تحتفظ بكثير من السمات الخاصة بالبيت العربي التقليدي، ونشير أخيراً إلى الهيكل التقليدي للمناطق السكنية في الأجزاء الداخلية من البرتغال حيث نجد بها المركز العمراني الذي يعادل (المدينة) تحيط به الضواحي والحقول والمزارع.

وفي مجال الزراعة: نجد أن الزراعة البرتغالية قد تمكنت من الوصول إلى أيامنا الحالية من خلال التمسك بالطرق والأساليب العربية القديمة في الزراعة والري، كماأن البرتغاليين ما يزالون يستخدمون نفس الأنواع من الخضروات والفواكه التي عرفتها وأدخلتها الأندلس والتي أضيفت إليها أنواع أخرى جلبتها الاكتشافات البحرية.

في مجال الصناعات التقليدية البرتغالية: والذي يدين بالكثير لأبناء الحضارة العربية والإسلامية الذين برعوا في هذا المجال قبل وبعد حروب الاسترداد، وتشمل تلك الصناعات الفخار، النحاس، الساج، الخوص، السلات، الحصير، المشغولات الذهبية والفضية، الأشغال الجلدية، التغليف وذلك دون أن تفوتنا الإشارة إلى الأثاث المزخرف الذي تتميز به منطقة (ألينتيجو Alentejo).. إلخ.

وفي مجال التقاليد والعادات: حيث تكثر قصص وحكايات (الفتيان العرب والفتيات العربيات المغرمين)، ولقد بلغت درجة الصدى الذي تركته هذه القصص والحكايات لدى الشعب البرتغالي مبلغاً كبيراً حتى إنه ما يزال يبحث عن أصل عربي لأي أطلال أو مغارات أو أماكن غامضة أو كل ما يحدثه عنه الخيال.

ومن بين المناطق والمعالم الأثرية غير الإسلامية في لشبونة نجد:

- برج بيلي (Torre Belem) تم إنشاؤه في القرن السادس عشر الميلادي.
- دير جيرونيموش (Mosteiro dos Ger nimos) استغرقت عملية إنشائه أكثر من ١٠٠ عام.
- مصعد سانتا جوشتا (Elevador de Santa Justa).
- أطلال الكارمو (Ruinas do Carmo).

- الكاتدريائية الرئيسية (Se de Lisboa).
- الحي المرتفع (Bairro Alto) يتميز بوجود عدد كبير من المطاعم حيث يمكن لروادها الاستماع إلى الغناء الشعبي البرتغالي الذي يُطلق عليه اسم (فادو) والذي يقوم بتأديته مجموعة من أفضل وأشهر المغنيين البرتغاليين.
- جسر ٢٥ أبريل (Ponte 25 de Abril).
- متحف العربات الملكية التي تجرها الخيول (بجوار القصر الجمهوري بمنطقة بيليي).
- المتحف القومي للآثار، متحف البحرية، متحف الشمع، متحف الموسيقى، متحف الإكتشافات البحرية، متحف الفنون الشعبية، متحف الزليج، المتحف القومي للمسرح.
- وأما بالنسبة للمزارات الحديثة:
- (ساحة الأمم Parque das Nac'es) التي أقيم فيها معرض الإكسبو لشبونة ٩٨ على ضفة نهر تاجو، ويحتوي على عدد كبير من المطاعم ومناطق التنزه بالإضافة إلى جناح المحيطات بأحيائه البحرية المتنوعة.
- مركز كولومبو التجاري الذي يعد أكبر مركز تجاري في شبه الجزيرة الإيبيرية.
- مركز فاسكو دا جاما التجاري (يوجد في ساحة الأمم).
- منطقة وسط المدينة التي تكتظ بالمحال التجارية.
- وأما بالنسبة للمزارات الليلية فتمتلك مدينة لشبونة عدداً كبيراً منها وبصفة خاصة في مناطق الحي المرتفع (Bairro Alto) وساحة الأمم (Parque das Nac'és) ومنطقة الدوكاش (Docas) التي توجد بها أفضل المقاهي والمراقص عندهم.

أهم المعالم الإسلامية في مدينة لشبونة:

يقع الجزء التاريخي من مدينة لشبونة العاصمة داخل المنطقة التي يُطلق عليها أسم السور الإسلامي (Cerca da Moura) وهي عبارة عن سور شيَّده الرومان.

وكما تشير التسمية فقد جرى تعديل تلك المنطقة وإعادة استخدامها في عصر الوجود العربي الإسلامي، وتتمثل أهم المعالم الإسلامية لمدينة لشبونة فيما يلي:

- قلعة سان جورج (Castelo de S. Jorge): كانت القصبة- وهي مقر إقامة القائد- توجد في المنطقة المرتفعة من مدينة لشبونة، حيث توجد (القلعة)، كما أنها تمثل منطقة مركزية للدفاع عن التجمع العمراني، ويمكن للزائر- إنطلاقاً من أسوار القلعة- أن يستمتع برؤية واسعة للمدينة الإسلامية وضواحيها.
- أبواب الشمس (Protas do Sol): يمكن للزائر – عند النزول إلى الباب الشرقي لمنطقة السور العربي- وإلى جانب منطقة (أبواب الشمس) رؤية السور الإسلامي للمدينة وكذلك ضواحي منطقة (الفاما Alfama)، وجميعها ما يزال إلى يومنا هذا يمثل أثراً عمرانياً حيّاً للغاية للمدينة العربية الإسلامية.
- بهو الكاتدرائية (مسجد) (Cluastro da Catedral): يمكن للزائر- بعد المرور عبر المحور الرئيسي للمدينة والذي يمتد من منطقة (أبواب الشمس) حتى منطقة (باب الحديد Porta do Ferro) أمام الكاندرائية- أن يرى في البهو الخاص بهذه الكنيسة المسيحية مجموعة ضخمة من الآثار التي تعود إلى العصر الإسلامي، ومن بينها جزء من الحوائط الخاصة بالجمسد (الجامع) الذي تحدث عنه المؤرخ المسيحي الشهير أوسبيرنو.

- ضواحي المدينة الإسلامية (Baixa de Lisboa): بعد الخروج من منطقة وسط المدينة الإسلامية يصل الزائر إلى ضاحية الميناء حيث يجد نفسه بين أثار مدينة قائمة قبل وصول العرب المسلمين إليها بـ ١٥٠٠ عام، كما يمكنه أيضاً- من خلال النواة الأثرية بشارع البريد (Nucleo Arqueol gico da Rua dos correios)- ملاحظة الأثار العمرانية السابقة على إعادة الإستيلاء المسيحي عليها ومن بينها هياكل صناعية ومقتنيات تعود إلى عصر الوجود العربي- الإسلامي.

أهم المعالم الإسلامية في منطقة سينترا (Sintr):

تعد منطقة سينترا التي تبعد عن لشبونة بحوالي ٢٠ كم من أجمل مناطق البرتغال نظراً لطبيعتها الخلابة ومنازلها المميزة وتلالها المرتفعة ولكثرة المعالم الأثرية بها، وقد تم تصنيف هذه المنطقة منذ عامين من قبل اليونيسكو، ويوجد بها متحف يحتوي على ٢٠,٠٠٠ قطعة أ ثرية تعود للفترة من القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين، كما أنها مشهورة عالمياً بملاعب الجولف والتنس والفروسية، وتمتلك هذه الضَاحية شواطئ جذابة ومطاعم متنوعة يوجد بها منطقة ساحلية يُطلق عليها إسم (كابو دا روكا) (Cabo da Roca) تمثل أقصى نقطة في غرب القارة الأوروبية، حيث يتم منح الزائر شهادة تفيد بأنه قد تواجد في أقصى منطقة في غرب أوروبا.

وبالإضافة إلى ذلك فإن منطقة سينترا تزخر بالعديد من الآثار الإسلامية ومن أهمها:

قلعة العرب (Castelo dos Mouros):

عبارة عن حصن تم تشييده في العصور الوسطى في فترة الوجود الإسلامي ومن المحتمل أن يكون ذلك قد تم بين القرنين التاسع والعاشر، وتمثل هذه القلعة إحدى القلعتين المنيعتين اللتين تحدث عنهما الحميري أثناء تناوله لمنطقة سينترا، ومن موقع القلعة المذكورة يمكن لنا ملاحظة وإدراك النسيج والتصميم العمراني التقليدي لمدينة سينترا وتطورها التاريخي منذ عصر الوجود الإسلامي إلى أيامنا هذه.

الزاوية (Azoia):

تقع (الزاوية) في منطقة (كابو دي روكا) التي تمثل أقصى نقطة في غرب العالم القديم حيث تنتهي اليابسة ويبدأ البحر، وتعود تسمية المنطقة إلى أصل عربي يعتبر شاهداً على الوجود القديم في المكان لمؤسسة إسلامية كانت تعمل كمسكن لرجال الدين وكمدرسة قرآنية في نفس الوقت.

القصر الملكي بسينترا (Pa Orela De sintra):

يرى بعض المؤرخين أن أصل القصر الملكي بسينترا يعود إلى العصر الإسلامي وقد شهد تعديلات ضخمة في أوائل القرن الخامس عشر على يد الملك دون جواو الأول، كما أن هذا المكان كان يمثل منطقة مركز سينترا الإسلامية بقصورها ومساجدها وكذلك أحياؤها التجارية والسكنية، وبما أنه جرى في عام ١١٤٧م، ضم منطقة سينترا بدون معارك أو صراعات إلى مملكة البرتغال فقد أمكن لسكانها من المسلمين الاستمرار في العيش بحرية في مدينتهم وهم يمارسون شعائر دينهم وأنشطتهم الإعتيادية.

كما اقتصرت عملية إنشاء الأحياء الجديدة للمسيحيين على منطقة الضواحي مع المحافظة بصورة رئيسية على الخلية العمرانية القديمة.

ومن ناحية أخرى فإن ملوك البرتغال أنفسهم- الذين ساهموا في تشييد وشغل قصر سينترا الملكي وبصفة خاصة الملك دون جوا الأول في أوائل القرن الخامس عشر ودون مانويل الذي أتى بعده بمائة عام- قد حرصوا على الإستعانة بأيد عاملة وتقنيات عربية، وكان نتيجة ذلك هذا البناء الفريد من نوعه الذي تتناسق وتمتزج فيه التقاليد المعمارية والفنية الأوروبية بالتقاليد المعمارية والفنية الإسلامية، وأخيراً فإن قصر سينترا الملك يشكل كتاباً من الحجارة حول التسامح الثقافي والديني.

ويتفق علماء الأثار على أن هذه القصور والمباني قد شُيدت إنطلاقاً من قصر عربي حيث ورثت منه خطوط التوزيع العامة كما لم تفلح التعديلات- التي أمر الملوك المسيحيون بإدخالها على تلك القصور- في إخفاء البصمات الواضحة التي تركها المصممون والبناؤون العرب خلال فترة الوجود الإسلامي وما تلاها من فترات، فكل شيء في هذه القصور- يتحدث عن أسلوب حياة وفن معماري وعمراني لا علاقة له بالمسيحية، بحيث نرى مثلاً أن عملية تصميم البناء في مجملها أقرب إلى قصر الحمراء في غرناطة.

والله أعلم.

انتهى الكتاب.

الفهرس

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.

٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.

٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).

٤- جـولـة فـي جـزائـر المحـيـط الأطلسي.

٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.

٦- رحلة المسافات الطويلة.

٧- حول العالم في خط متعرج.

٨- الإشـــراف عـلـى أطــراف مـن المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.

١٠- العودة إلى غرب إفريقية.

١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.

١٣- من كوبنهاجن إلى كييف مروراً بباريس.

١٤- رحلة الشمال.

١٥- خلال أوكـرانـيـا بحـثـا عـن

١٦- زيارة لإيطاليا وحـ...

شؤون المسلمين.

١٧- تجوال في بلاد البرتغـ...

١٨- رحلة الأندلس.

١٩- زيارات خـاطـفـة لمدن أوروبيـه مختلفة.

٢٠ - العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١- على أعتاب الهملايا.

٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.

٢٣- في الشمال الغربي من الهند.

٢٤- في أقصى شرق الهند.

٢٥- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٦- رحلات في بلاد الملايو.

٢٧- في مـهـد الـتـرك : تركـسـتـان الشرقية.

٢٨- في أحناء إندونيسيا.

٢٩- في شمال شرق آسيا.

٣٠- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.

٣١- إلى تاجيكستان، ثانية.

٣٢- قـازاغـسـتـان بعـد أوزبكسـتـان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٣- الحـل والـرحـيـل فـي بـلاد البرازيل.

٣٤- رؤية جـديـدة للجـانـب الأبعـد من أمريكا الجنوبية.

٣٥- رحلة الجنوب.

٣٦- شمال البرازيل.

٣٧- وسط البرازيل.

... بغداد.

...كا الشمالية

... الإسـلامي فـي الولايات المتحدة الأمريكية.

٤١- تلبية النداء لزيارة كندا.

الرحلات الصينية

٤٢- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤٣- المارتينيك، وبربادوس.

٤٤- دومنيكا وقواديلوب وأنتيقوا.

٤٥- بـور تـوريـكـو وجـ ـهـ ـهـ وريـة الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٧- في شمال أستراليا.

٤٨- في جنوب أستراليا.

٤٩- في شرق أستراليا.

٥٠- في غرب أستراليا.

٥١- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.

٥٢- الإلمام بالمحـيـط الهـادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥٣- بلاد المكسيك وقواتيمالا.

٥٤- السفر والأوبة من كوبة.

٥٥- التـشـريق بعـد التـغـريـب ، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٦- جمهورية القبائل الروسية.

٥٧- إلى الشرق الأقصى الروسي.

٥٨- مـقـال في السـفـر إلى منطقة الأورال.

الرحلات السيبيرية

٥٩- غرب سيبريا.

٦٠- شرق سيبريا.

مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

ردمك: ٢-٤-٩٠٣٠٩-٦٠٣-٩٧٨